عبد الفتاح أبو مدين

وتلك الايام

الطبعة الأولى

جدة في ١ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ
الموافق ١٠ فبراير ١٩٨٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى الأستاذين الكريمين الفاضلين .
محمود عارف وحمزة سعداوي .. اللذين
أعانانى على القراءة والفهم واستقامة
العبارة . أرجو الله أن يحسن إليهما
كفاء عونهما لى وإخلاصهما فى رسالة
الأدب ولغته الجميلة الشاعرة ›

أبو مدين



مقدمة
للدكتور عبدالله الغذامى

وتلك الأيام ..

عبارة ذات آثار تغور فى النفس ، وهى معى تدور بذاكرتى سنين وأعمارا ، ولما كانت هذه العبارة عنوانا لهذا الكتاب ، وكاتبها هو عبد الفتاح أبومدين فان مركز الصورة ـ اذ تدور ـ هو ابومدين نفسه ، ومع الصورة تتراءى لى جريدة الرائد بكل بهائها المضىء فى سنى اليفاعة حيث كنت فتى أدُبٌ فى مسارب الحرف والكلمة بين كتب التراث وجرائد الحاضر وكان ازهى كتب التراث عندى هو العقد الفريد وازهى الجرائد عندى هى الرائد . تلك الجريدة القادمة بريدا من جدة الى مكتبة المعهد العلمى بعنيزة وتلك السنة كانت ٨٢ هجرية وانا فى السنة الثالثة وكانت يدى هى اولى الأيادى الممتدة تتخطف الجريدة من بين أيدى سائر الطلاب ، وما ذاك الا لأن لهذه الجريدة فى نفسى مكان الاثرة والتفضيل على سائر ماعداها من جرائد ومجلات . ولم اسأل نفسى عن هذا السر الذى جعل الرائد اقرب من سواها الى نفسى حتى مضت السنون وزالت (الرائد) من بريد المعهد ولم يعد لها فى النفس غير ذكرى اثيرة كلما عاد الذهن الى عهود اليفاعة فى مراحل الدراسة

الاولى ومراتع الطفولة فى الفيحاء . وماكان لخيالى طاقة لتصور دورة الايام وتفتح الذكريات على حقائق حسية ترتكز على ماضيها الوجدانى البهيج ، حتى اذا ماكان العام ١٤٠٠هـ وساقتنى الظروف الى تحمل مسئولية رئاسة قسم الاعلام بكلية الاداب بجامعة الملك عبدالعزيز - على الرغم من ان تخصصى هو الأدب ونظرياته ولكن عدم وجود متخصص فى الاعلام اضطر الجامعة الى تكليفى بتلك المهمة فتحملتها مكرها - وكان لابد للقسم من جريدة تصدر عنه يتدرب فيها الطلاب وتكون لسان الجامعة الناطق بأخبارها والمبلغ عنها . وذهبت من أجل هذه المهمة الى دار البلاد للطباعة لاتفاوض مع الدار بشأن طباعة صحيفة (أخبار الجامعة) عندهم لكى تكون نصف شهرية . وكان الساعى فى ذلك هو الاستاذ غازى عوض الله المعيد فى قسم الاعلام وقتذاك . وبينما كنا نسير متجهين الى مكتب مدير المطابع قال لى الأخ غازى ان المدير هو الاستاذ عبد الفتاح ابو مدين قلت له : ابو مدين صاحب الرائد ! فضحك غازى وقال نعم . لقد ضحك الاستاذ غازى لانه لم يكن يتوقع منى ان اتحدث عن جريدة احتجبت منذ سبعة عشر عاما ، وان أربط اسم أبو مدين بها وكان الاقرب للذهن هو ربط اسم الاستاذ عبد الفتاح باحد مقالاته الاسبوعية فى (اقرأ) او (البلاد) او حتى بالعدد الاسبوعى من عكاظ وكلها اقرب للعهد الذهنى من (الرائد) . وهذا صحيح بأى معيار كان الا معيار الذكرى الخلابة التى تخلب الوجدان لتقيم فيه صورتها هى وتزيح

ماعداها . ولقد كانت الدقائق التى استغرقها مشوارنا انا وغازى من السيارة الى مكتب مدير المطابع كانت زمنا خارج الزمن .. لقد ذهبت بروحى الى عام ٨٢ هجرية وغصت فيه حتى لكأنى اشم رائحة ورق جريدة الرائد وألمس الصفحات وأقلبها وكان اسم رئيس التحرير يرن فى أذنى وفى تلك اللحظة كانت يدى تمتد لتمسك بيد الواقف امامى وتصافحه وأنا اسمع كلمات الاستاذ غازى تعرفنى به فاختلط عندى صدى الماضى ومرآه مع صوت التعريف ومع كلمات الترحيب . وعندها نسيت ماقد جئت من أجله وأخذت اتحدث الى الرجل الوقور الجالس امامى بهدوء خاشع ، عن الرائد وعن معرفتى به منذ ذلك الزمن . كنت اتحدث وهو صامت وكأننى اردت ان ارد له بعض حقه على حيث كان يعطى دون أن يأخذ وذلك من خلال جريدته التى كنا نقرؤها دون ان نقوى على الكتابة فيها لقصور فى السن يمنع الصغير عن امتلاك ناصية الكلام .. وها أنذا أعطى صاحب الرسالة شآبيب من حماسى الجديد الذى املاه على تحملى لرئاسة قسم الاعلام فصرت اطالبه بأن يكتب عن تاريخ الصحافة عندنا وذلك لندرة ماكتب فى هذا المجال . وهو مجال يحتاجه طالب الاعلام ـ وطالب التاريخ والسياسة والمكتبات .. كنت اتحدث مندفعا والرجل مازال يستمع الى بوقار وانذهال . ثم خرج من وقار الاستماع الى وقار التحدث فأخذ يروى لى بنغم خاشع قصته مع الصحافة ومع الكلمة المكتوبة واستمر الحديث مايقرب من ساعتين وقفت بعدها امد يدى الى الاستاذ عبدالفتاح أبى

مدين وأقول له انني اطالبك بأن تكتب ماقلته لى الآن على ورق لانه يمثل قصة كفاح لابد ان تسجل وهذا جزء من تاريخنا لايجوز اضاعته .

ولو ان كل ذى تجربة ناجحة توفر على كتابتها لخرجنا من مجمل هذه التجارب براوية لتاريخنا تصور لنا حقائق الامور وبواطنها مما يعين على فهم مجريات حياتنا ويقربنا الى الحقيقة اكثر .

ومرت سنوات خمس على هذا الموقف دون ان يحقق الاستاذ أبو مدين مطلبى ذاك ولكن حقق بدلا عنه نجاحا مذهلا فى رئاسته للنادى الادبى فى جدة مما جعل النادى يشق طريقا لم يكن ليشق لولا صدق الارادة لدى رئيسه وتفانيه فى سبيل تحقيق رسالة النادى على الوجه الامثل دوما .

وهذا جعلنى اخاف على وقت الاستاذ ابى مدين من ان يضيع فى تحقيق مطالب النادى فينشغل بها عن الكتابة عن تجربته الصحفية حتى كانت اجازة الربيع ١٤٠٥هـ ويسافر أبومدين الى القاهرة ثم يعود ليفاجأنى بكراسات اربع يضعها امامى ويقول : وتلك الأيام .

واذا بها تحمل رواية مسرودة سردا تلقائيا عن تجربة أبى مدين فى الصحافة مؤسسا وصاحبا وكاتبا . واعتمد فيها على اسلوب السرد الاستطرادى الحر . فهو لايكتب كتابة منهجية ولايقدم احكاما ولايقيم تجربة .. وانما هو يروى فقط .. يقول لقارئه حكاية التجربة .. يقولها بأمانة وصدق وتفصيل ، واذا ما اقتضى الامر ايضاحا فانه يطلق

عنان قلمه ليوضح اطراف التجربة فيتحدث عن اسماء المتعاونين معه وكتاب الجريدة ويعطى القارىء جانبا من تواريخهم ثم يعود الى متابعة الرواية .. ولكنه مع هذا يظل ملتزما بموضوعه وهو (التجربة الصحفية) فلا يتطرق الى حياته الشخصية بشىء . فالكتاب ليس مذكرات شخصية وليس قصة حياة رجل ولكنه قصة حياة (صحافة) اى انه صورة خلفية لتجربة صحفية قامت ونجحت وأثمرت فى فترة زمنية مبكرة من عمرنا الثقافى الحديث . وجاء احد شهود هذه الفترة ليسجل شهادته ويروى كفاح الكلمة مع قلمه وعلى مضمار صحافته .

وهذه الاوراق إذاً هى شهادة شاهد يقول ماحدث ويروى القصة مفصلة بصدق وصراحة .. وهو بهذا يرود مجالا فى التأليف الصحفى عندنا لم يتطرق له رواد الصحافة فى بلادنا بعد . وكما كان أبومدين رائدا فى (الأضواء) حيث كانت هذه الصحيفة أول من تبنى اصدار الكتب الأدبية فأصدرت ديوانا للشاعر محمود عارف وكتابا للدكتور العوضى ، فانه يأتى اليوم ليرود كتابة قصة التجربة الصحفية وكم يغرينا هذا بالتطلع الى ظهور كتب أخرى مماثلة عن قصة الصحافة فى بلادنا اضافة الى ماكتب عن تاريخ ظهورها كما فعل الاستاذ عثمان حافظ والاستاذ حسن قزاز فى مشواره معها أو عن فهرستها كما فعل الدكتور منصور الحازمى وكذلك الدكتور عباس طاشكندى وحسين بدران فى فهرسة (ام القرى) ، ولعل كتابنا هذا يكون مفتاحا لكتب تتلوه يروى فيها الرواد

تاريخ انطلاقاتهم لتكون بذلك دروسا من التاريخ نجلو بها بعض صفحاته .

ومن هنا فاننا نسجل تقديرنا للمجهود الذى بذله رجل عصامى طموح هو عبدالفتاح ابو مدين الذى شق طريقه بعزيمة وارادة ولم يكن له من سلاح سوى الصدق والاخلاص بعد أن اتكل على الله وعقل امره فصنع للفكر فى بلده صفحات اشرقت بعزائم الرجل وضوعت بصدقهم فصار ابومدين بها رائدا من الرواد الصحفيين مثلما كان احد حاملى لواء النقد الأدبى (النصوصى) من خلال كتابه (أمواج واثباج) الصادر فى طبعته الاولى عام ١٣٧٨هـ والذى كان كتابا نقديا جريئا وصريحا فى تعامله مع النصوص المدروسة .

وانى لعلى يقين ان قارىء هذا الكتاب سيجد فيه مبتغى الباحث عن تاريخ صناعة الكلمة المكتوبة صحافيا فى بلادنا وان لفى ذلك كسبا لتاريخنا واى كسب .

عبدالله محمد الغذامى

جـــــدة

٥/٩/١٤٠٥هـ

توطئة

● أحمدك ربى وأصلى واسلم على خير خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

كثيرٌ من البدايات .. يأتى عفويا ، لايسبقه اعداد ولاتفكير .. يهيء لما سيأتى فجأة او عرضا . انها الأمور تأتى بها اقدارها .. التى لايحيط الانسان بها ، غير ان الانسان المهيأ .. لعمل شيء ما ، حينما تواتيه الفرصة ، يقدم اليها ، ويستقبلها باستعداده .. وارادته ، لأن الفكرة التى ألقيت أمامه ، أو جاءت على خاطره ، صادفت هوى فى نفسه ، فأقبل عليها ، وهو قد لايحسب نتائجها ، ولكنه راغب فيها ، يريدها .. ويطمع فيها .

والبداية لهذه التجربة ، .. ليست فى محاولة الكتابة للصحافة .. بين حين وحين ، وقد بدأت بكلمات .. اكبر الظن انها كانت فى عام ١٣٦٩ فى جريدة «المدينة المنورة» ، وهى خواطر .. بدأت بزاوية ، بعنوان «أحاسيس» ، تتعلق بملحوظات لقضايا اجتماعية ، تتناولها الأقلام بالمعالجة ، خاصة قلم المبتدىء ، لأنها طريق سهل ، ليس اكثر من تعبير عما رأى من اخطاء ، ويريد لها ان تصلح ، فيتناولها بالنقد ، الذى قد يكون هادفا .. وقد يكون جامحا ، الا أن البدايات .. تمارس عادة هادئة ، لان هذا

المحاول .. الذى يريد أن يشق طريقه فى عالم الكتابة .. من ذوى الطموح ، لابد له أن يبدأ متزنا ، حتى يكون مقبولا .. من اصحاب الصحف ، ويجد طريقه الى القراء . اما اذا جمح من البداية ، فقد يحال بينه وبين مايريد الوصول اليه ، خاصة فى الصحف التى تصدر .. فى بلد محافظ ، لاسيما فى مجالات النقد ، لان النقد وقول الحق ثقيلان على النفوس .

ولابد لهذا المبتدىء .. لكى يجد طريقه الى الصحافة .. فى بلادنا خاصة ، بجانب التزامه بالاتزان ، ان تكون كتابته صحيحة ، سليمة من الاخطاء ، ذات اسلوب يغرى رئيس التحرير .. بنشر كلمات الكاتب المبتدىء ، الذى لايعرفه ، ولابد ان يشفع له تعبيره الجميل ، لانه الطريق الى أبصار القراء ، حتى اذا وصل الى سفح الشهرة ، أمكن ان يكون مقبولا .. عند رؤساء تحرير الصحف ، اما القراء ، فالمجال بينه وبينهم مفتوح ، قبولا ورفضا .

والكتابة «معاناة» ، وهى مهمة صعبة ، ولايقوى على الاستمرار فيها الا اولو العزم ، أما الكتابات التافهة .. وما اكثرها فى صحفنا العربية ، فسبيلها سهل ميسور ، والذين يعنون بهذا الرخيص من الكتابة .. من الكاتبين كثير ، وليس على المرء .. الا ان يمد يده الى اية صحيفة ، ليجد فيها «العجر والبجر» .. مما لاغنى فيه ، لان الصحف .. تتوسع فى صفحاتها ، تحسب ان ذلك تقدم ونهضة ورقى ، وليس امامها .. الا ان تملأ تلك الصفحات العراض ، بما يتاح لها وبما يصل اليها .. من الكاتبين وانصافهم ، لتملأ

الكثير من صفحاتها بكلام .. لايسمن ولايغنى من جوع . والكتابة الجادة ابداع وجمال ، والابداع فى كل عصر .. وفى كل شىء اصحابه قلة ، والا .. لو كان الناس كلهم مبدعين ، لما أصبح للعبقرية قيمة .

والكاتب الناشىء .. لاسيما الفقير ، مستعد ان يدفع ثمنا لما يكتب ، ليشبع رغبته من الشهرة والذيوع ، ولأن النشر يقوى فيه الرغبة الى المتابعة والقراءة ، والكتابة بغير قراءة ..تصبح شيئا فارغا .. لاقيمة له .

والكاتب المبتدىء .. يبدأ بتناول الشىء السهل ، على قدر قدرته ، حتى اذا تمرس واشتد عوده ، اذا كان ذا طموح وموهبة وعلو نفس ، استطاع ان يقوى ، وان يظهر ذلك فيما يكتب ، بتناول موضوعات شتى ، وهو حريص .. على سمعته ، فلا يقدم الا على تناول شىء يحسنه ، والا سقط من عين القارىء .. والصحيفة التى يكتب اليها ، وأصبح يتحرك فى مكانه ، الا اذا أدرك خطأه ، واستطاع ان يصحح مساره ، ليكون له «دور» ولايكون ذلك .. الا اذا كان له «موقف» .

قلت ان بداية ممارستى للكتابة .. بدأت مع عام ١٣٦٩ فى صحيفة «المدينة» . ولااستطيع الحكم على نفسى .. بأنى أملك موهبة الكتابة أم لا أملكها .. ولا أستطيع أن اقول أو أحكم .. بأن ما أكتبه له تأثير .. وله قيمة ، أم أنه لايستحق شيئا من هذا وذاك . هذا حكم لا أملكه ، وليس هذا من قبيل التواضع ، الذى كثيرا .. ما استغله الفارغون

كقضيــة وحجة عــلىَّ ، بأن مــاكتبت .. لايصلح ان يقدم للقارىء .. بشهادة صاحب الشيء نفسه .

ولعــل من جهــل هـــؤلاء وخــطل الرأي عنـــدهم ، ان الانسان .. الذى يعرف قدر نفسه ، لاينبغى له ان يضعها فى مراتب السمو والكمــال البشرى ، وانمــا واجبه .. ان يقول انه حاول ، وهذا ما استطاع ، ولكنه غير راض .. عما صنع .

هذا فى تقديرى هو منطق الكبار ، كبار النفوس ، الذين يبعدون عن الغرور ، لانه اسقاط وخسران .

غــير ان التحدى فى منــطق الجدل ، ان ينــازل المــرء اقرانه ، وحتى الذين دونهم ، حين يجادلونــه بالبــاطل ، ليقيموا عليه الحجة ، ولكن التافهين .. ليس لهم حجة ، وليس لهم وعى ، وليس لهم قدرة على النزال ، لانهم ليسوا أسوياء ، وليسوا أقويــاء على الجــدل المنطقى .. وقــرع الحجة بالحجة ، وهذه هى مأساتنــا فى عالمنــا العربى ، فالجدل سقيم ، والنقد ساذج اكثــره ، ذلك انه ســرعان مايتحول الى تراشق بالسهام .. وعبث وسخرية وصراخ ، لأن الصحافة فقدت القيادة الجادة الواعية ، واذا وجد فى بعضها ، فانها لاتمارس دورها .. كما ينبغى ، ولاتستطيع ذلك ، فقد اتسع «الخرق على الراقع» .. كما تقول العرب . وترك النقد للعابثين ، وتركت الابواب مفتوحة .. ليلج منها كل قاصر وعاجز ليمارس مالم يستطع ، وترك الاشراف على صفحات الثقافة وسواها .. لاناس غير مؤهلين ، فقبلوا كل مايصل اليهم ، بغير النظر فيــه ، ولا الحكم عليه ، فــلا

يخضع لتقويم ، ولايـركن الى قوة ، ولايصـدر عن فهم ، ولايحاجج بمنطق .

وبعض مدركات الصف الثانى والثالث فى صحافتنا ، انهم يحبون الاثارة ، ويحبهـا أيضا ذوو الصف الأول ، وليس فى هذا كبير مأخذ ، غير ان الاثارة .. تتطلب اتزانا ووعيـا وجمـال تنـاول ، وان تمـارس بـوعى وادراك . فالاثارة . ليست عبثا وصخبا وسبابا وسـوء أدب . وانما الأدب والحياة والتعامـل مع البشر خلق ، والخلق مسلك ومنهاج تعامل ، فاذا خلت الحيـاة من الخلق الفاضـل ، أصبحت سخرية ، وأصبح من فيها أولى بالرثاء ..

مع ثقتى .. بأنه ليس للكلام الضعيف وزن عند اولى الابصار ، الا ان افساح المجـال له .. ليطفـو على وجـه صحافتنا .. شيء مزر ومخل بالقيمة الصحافية الجادة ، وان هذه التوافه .. محسوبة على الصحافة ، وعلى من يعمل فيها ، لاسيما قيادتها .

ومن المخل بالعمل الصحافى .. ان تكونالممارسة فيهـا «وظيفة» ، والوظيفة لاتأتى بالابداع ، والذى أعرفه .. ان الصحافة هواية قبل كل شيء ، فاذا تحولت الى وظيفـة ، هبـطت وتخلت عن رسالتهـا . ولايمنع أن تكـون وظيفة وراءهـا موهبـة ، فهذا أمـر مقبول ، أمـا تكون وظيفـة «مجردة» .. فحينئذ يصبـح العمل فى الصحـافة مجـرد ممارسات «روتينيـة» هزيلة ، وهـذا مانـراه .. فى بعض صحفنا ، حتى اننا نرى .. ان القيادات فيها ، تعهد الى «الموظفين» ـ على مفهوم المنطق نفسه ـ ، يمارسون أكثر

المسؤوليات .. فى النشر ، فترى العجب العجاب فى خلط .. لايربط بينه رابط ، وقس على ذلك حركة النقد ، والمعارك النقدية ، ان صح ان تسمى كذلك ،ولكن غالبيتها هراء وعبث ورغاء .

نحن ندرك .. ان الصحافة الجادة «رسالة» وامانة ، وليكن فيها بعد ذلك .. الجانب التجارى والدعائى ، وماشئت من ألوان حديثة جاء بها العصر ، تتصل بالتطور والتجديد والتنويع والرقى .. الخ .

فاذا كان من أسس الصحافة «الحرية» ، فان الحرية وسام شريف .. لايحمله الا الجدير به . والحرية ليست عبثا من أجل استغلال مسماها .. فى غير سبيله ، واذا كانت الحرية فى التعبير ، فليكن هادفا وبجانبه القوة والصدق فى النية ، وأنا أجزم انه لايمكن ان تكون فى أية بقعة من العالم صحافة بلا حرية ، ولكن هذه الحرية لاتكون فى أيدى من لايحسن ممارستها ، ولايقدر قيمتها ، ولايدرك حدودها . والحرية لاتمنح .. ولكنها تؤخذ ، وطريق ذلك .. هو الشجاعة فى نفس من يباشر العمل الصحافى ، ولكن العمل الوظيفى فى الصحافة .. لايوصلها الى شىء من الحرية ، لان الوظيفة «مرتب» فى آخر الشهر فهو رباط ، والالتزام بالحرية .. لايمكن مع الارتباط «بالمعاش» الشهرى . وعلى هذا المفهوم ، يمكن قياس الصحافة .. فى الدول النامية والدول المتقدمة .

وإنى أؤكد .. أن الحرية ليست تهورا وممارسات غير مسؤولة ، ولكنها التزام بالمثل والقيم ، والصدق

والامانة .. قبل كل شيء ، فالحرية خلق عال ، لأنها ضياء وشعلة .. فى دروب السائرين .. ليلا ونهارا ، والحرية الصادقة طريق الحق .

اننى لا اقدم هنا دراسة عن الصحافة ، ولا أؤرخ لها ، ولكن هذه التقدمة ضرورية ، لأضعها كتمهيد امام هذه المحاولة .. التى اسميتها «وتلك الايام» ، والصحافة التى اعنيها .. هى التى مارستها عبر صحيفتى «الاضواء» و «الرائد» ثم العدد الاسبوعى من عكاظ وكتابات فى اقرأ وغيرها ، وقد اعرض فى اثناء حديثى عن تجربتى .. الى الصحف التى كانت تصدر فى تلك الفترة ، التى كانت فيها الاضواء والرائد .

ولعله من المهم بدءا .. أن أذكر الدوافع التى حدت بى الى ممارسة الكتابة وأوصلتنى الى ان أشارك فى اصدار صحيفة الأضواء ، ثم الى اصدار صحيفة الرائد ، لان ذا أمر .. قد يتطلبه الحديث عن تجربتى الصحافية والادبية .. وممارسة الكتابة .

ان دراستى المنتظمة فى مدرسة «العلوم الشرعية» .. فى المدينة المنورة ، على ساكنها أزكى الصلوات والتسليم ، لم تتجاوز أربعة أشهر فى السنة الرابعة الابتدائية ، والسنة السادسة الدراسية .. من نفس المرحلة ، أما مقرر السنة الخامسة ، فقد درسته .. فى الحرم النبوى الشريف .. فى فصل الصيف ، خلال ـ العطلة المدرسية ـ ، لأوفر على نفسى سنة دراسية ، وهذه نصيحة شيخى وأستاذى «محمد الحافظ بن موسى» ، المدرس يومئذ فى مدرسة العلوم

الشرعية ، والذى أصبح قاضيا فيما بعد .. بالمحكمة الشرعية فى المدينة المنورة ، والذى رأى أن كبر سنى .. يحتم علىّ انهاء دراسة المرحلة الابتدائية فى اقصر وقت ، وهى نصيحة رجل كريم مخلص وفى .

فدراستى المنتظمة .. لم تتجاوز اربعة أشهر .. فى السنة الرابعة الابتدائية وعاما دراسيا فى السنة السادسة ، اما الخامسة ففى المسجد النبوى .. خلال العطلة الصيفية ، وهى لاتبلغ ثلاثة أشهر .

ولعل الدافع الى القراءة الفردية والاصرار .. على أن أكون شيئا ما فى الكتابة هو أننى فى امتحان الشهادة الابتدائية .. «أكملت» فى مادة «الانشاء» أو ـ التعبير ـ . فقد كنت ضعيفا فى ذلك ، لأن الدراسة القصيرة .. التى اشرت اليها آنفا ، لم تعطنى القدرة على التعبير .. الذى يؤهلنى فى مادة «الانشاء» ، كما كانت تسمى يومئذ الى النجاح ، وكيف يتاح ذلك لانسان لم يدرس سوى هذه الفترة القصيرة ؟

وقبل ذلك .. درست القرآن الكريم ، من سورة الناس مع الفاتحة الى منتصف سورة «الحج» .. على الطريقة القديمة ، وهى كتابة الآيات الكريمة من الكتاب العزيز .. على «لوح خشبى» ، حتى اذا حفظتها محوتها .. لاكتب آيات أخرى ، عند من كان يسمى بالفقيه ، معلم القرآن الكريم ، فيما يسمى «بالمكتب» «بضم الميم وكسر التاء» .

قلقت وقلق شيخى «الحافظ» .. لاكمالى فى درس

«التعبير» فى العام الدراسى سنة «١٣٦٥» هـ . وأذكر أنه قال : ان هذه المادة تكتسب بالمرانة .

مرت العطلة المدرسية ثقيلة على نفسى ، وأنا أحاول أن أقرأ مايتيحه لى فهمى المحدود ، حتى اذا انتهت فترة العطلة .. دخلت فى امتحان مادة «الانشاء» مع الطلبة المكملين .. فى مواد مختلفة ، ولا أذكر .. اذا كان من بينهم «مكمل» فى مادة «الانشاء» سواى . وكتبت مافتح الله به علىّ .. فى الاجوبة على الاسئلة ، وقدر الله لى النجح .. فى هذه المادة ، التى لم تكن أصعب من قواعد اللغة العربية والحساب والتاريخ والجغرافيا والفقه الى آخر المقررات ، والتى نجحت فيها فى امتحان آخر العام .

كنت متقدما على زملائى فى الحساب ، وهم أسبق منى اليه خلال دراستهم الاطول منى .. المنتظمة ، وكنت لابأس بى فى مادة النحو . أما بقية المواد .. فهى تعتمد على الحفظ ، وكنت متوسطا فى ذلك . وينبغى ان اذكر للحق ، ان زملائى .. كانوا أصغر منى سنا ، فقد كنت أسن من فى الفصل ، ولم أقبل الا بوساطة خالى .. المرحوم «مصطفى بدر الدين» ، وكان يومئذ «ناظرا لعموم الرسوم» فى المملكة العربية السعودية ، وهى الادارة العامة للجمارك ، أو كما كانت تسمى «نظارة عموم الرسوم» .

كان خالى .. حين قدمت عليه مهاجرا ،يريدنى أن أمارس عملا حرا .. أعيش من ورائه ، ادراكا منه اننى قادر على ذلك . وصادف .. ان جاء الملك فاروق ملك مصر .. رحمه الله زائرا للمملكة ، وزار المسجد النبوى ، ورأيت

طلبة المدارس بثيابهم البيض .. يرددون اناشيدهم ، وهم صفوف مشرقة ، فأخذتنى الحماسة الى التعليم ، وانا لا أفقه كثيرا .. مما ينشدون .. من أجـل ذلك .. كتبت الى خالى ، وهو فى جدة ، يمارس مركزه كناظر لعموم الرسوم ، وانا .. فى المدينة المنورة ، أعيش فى كنف ابن خالى «عبدالله بدر الدين» بعد وفاة والدتى يرحمهـا الرحمن الرحيم فى المدينة ، وقـد كنا نسكن مستقلين ابـان حياتهـا . كتبت اليه .. اعلمه برغبتى فى التعليم ، الذى لانصيب لى منه . وامـام اصرارى .. عـلى التعليم ، لانى لا أفقه شيئـا فى الحياة، حتي انى بعثت الى خالى يومئذ برسالة، يعلم الله .. ركاكة التعبير فيها وخطها ، الذى ينطبق علىّ بما يعبر عنه اليوم : بأن فلانا «يفك الحرف» . هذه الحصيلة الزهيدة .. جاءتنى مما تعلمته فى المكتب ، ابان حفظى لسور من كتاب الله ، لاتسل عن ضعف التعبير وعفويته ، ورداءة الخط ، وقد وجدت بعض هذه النماذج .. بعد سنوات ، أوشكت أن انكرها ، لولا انهـا شاهـد علىّ .. لا أستـطيع انكـاره . فسبحان معلم الانسان مالم يعلم .

امام اصرارى على رغبتى الجامحة فى التعليم ، سعى خالى رحمه الله الى ادخالى .. فى مدرسة العلوم الشرعية ، وهى مدرسة أهلية .. فى المدينة ، تخرج فيها كبار الرجال ، من الأدباء والعلماء[1] . اما المدارس الحكـومية ، . فلن

---

(١) منهم : الشيخ محمد الحافظ بن موسى ، والاستاذ عبدالعزيز الربيع ، والاستاذ محمد عمر توفيق ، والاستاذ امين عبدالله القرقورى وغيرهم كثير .

تقبلنى لكبر سنى . وحتى مدرسة العلوم الشرعية نفسها ، اعتـذرت عن قبـولى .. للسبب نفسـه ، ولكنهـا امـام الضغوط ، التى ترجع الى اصرارى ، قبلتنى مشكورة ، وانا مدين لها بالفضل ، لأنها اعانتنى على تخطى مرحلة .. تسمح للطامحين المضى فى الوثوب ، ليصلوا الى ان يطرقوا أبواب المعرفة ، مرحلة ليست مؤهلة ، ولكنها تقود .. الى مراحل التأهيل ، فالابتدائية فى عام ١٣٦٥هـ توظف ، ثم هى تفتح الطريق الى دخول المعـاهد العلميـة والمدرسـة الثانوية . وتعين امثالى .. على البدء فى ولوج سبل المعرفة تدريجيا

وفضل هذه المدرسة ومـدارس الفلاح فى جـدة ومكة لاينسى ، ويجب ان يذكر الفضل لذويه ، كلتا المؤسستين الفلاح والعلوم الشرعية .. انشئت لتسهم فى تعليم أبناء الحرمين وجدة ، ينفق عليها من مال خاص ، من انـاس مؤمنين ، ارادوا الخير لأنفسهم ، حين ارادوه للآخرين .

كانت الفلاح والعلوم الشرعية .. منارات فى وقت كان التعليم فى البلاد .. ضيقا محدودا ، فأسهمت هذه المدارس فى حركة التعليم ، وتخرج فيها رجال كثير ، شاركوا فى شغل مناصب ووظائف فى البلاد ، وكان التعليم قويا .. مخلصا فيه ، صادقا ، فعلاقة المدرس .. لاتنتهى بانتهاء الدرس او اليوم الدراسى ، ولكن المتابعـة متصلة .. خارج الفصـل والمـدرسة ، وتلك امـة قد خلت ـ ومـرحلة ـ .. كان لـهـا مابعدها .

كانت امنيتى بعد ان نجحت فى الحصول على الشهادة الابتدائية ، أن أذهب الى «الأزهر» . فاستنجدت بخالى مرة أخرى ، رحمه الله برحمته الواسعة ورطب ثراه .. كفاء عونى وتعليمى والاحسان الىّ ، والله سبحانه وتعالى لايضيع اجر من احسن عملا .

طلبت الى خالى أن يتوسط لى فى بعثة الى الأزهر ، ولكن الشيخ «محمد بن مانع» ، وكان يومئذ مديرا عاما للمعارف .. رفض الطلب ، بحجة ان فى مكة المكرمة معهدا علميا ، وأنه علىّ الالتحاق به .. اذا كنت راغبا فى مواصلة دراستى ، ولم اعرف قيمة هذا المعهد يومئذ ، ولكن سمعة الأزهر وقيمته العلمية .. فى العالم العربى والاسلامى .. كانت أوسع وأشهر ، فهو مركز العلم والعلماء الكبار .. خلال الف سنة مما يعد الناس .

رفضت الالتحاق بالمعهد العلمى ، ورغبت الالتحاق بالمدرسة الثانوية ، فلم يكن فى ذلك العهد مرحلة متوسطة ، بين الابتدائى والثانوى ، كانت للمرحلة الثانوية .. على ما أذكر أربع سنوات .. ثلاث يحصل فيها الطالب على شهادة «الثقافة» ، وفى الرابعة .. ينال الشهادة الثانوية .

غير ان تقدير الانسان وأطماعه .. لاتهىء له دائما السبل التى توصله الى مايريد ومايطمح اليه .

فى اثناء المحاولة لأصل الى الدراسة فى الأزهر أو الى المدرسة الثانوية الوحيدة يومذاك فى المدينة المنورة ـ تقاعد ـ خالى ، فثقل على نفسى .. أن انتظر من بيته مائدة

ثلاث مرات يوميا ، صباحا وظهرا وليلا ، رغم حرصى على التحصيل من منابع المعرفة ، لانها نور واشعاع .. يملأ الارض ثقافة وعلما ، من ينبوع لاينضب ، ذلك ان معرفة وعلم الانسان المحدودين ، من علم الله الواسع ، والعلم بحر .. كما يقولون . ولم يؤت الانسان من العلم الا قليلا .. كما جاء فى الكتاب العزيز .

يئست من مواصلة دراسة المرحلة الثانوية ، لم يعلن لى خالى ذلك ، ولكنى أنا الرجل الذى بلغ العشرين من عمره ، أبت علىّ نفسى .. ان أكون عائلا على خالى «المتقاعد» وبيته ، وليس خالى من الأغنياء ولا من الملاك ، ولكنه رجل فقير ، لانه نزيه ومثالى فى امانته ، فلم ينل من حطام الدنيا شيئا .. يكون له او لأبنائه ، ونعم المسلك الاستقامة وعفة النفس .. والترفع عن الحرام ، والغنى هو غنى النفس ، والرضا بما قسم الله منهاج القانعين . ولم لايكون ذلك ، والله سبحانه وتعالى .. قد تكفل بأرزاق من خلق ؟ «ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» ، وكذلك الاجل بيده سبحانه وتعالى . ولاينقطع رزق حتى يستوفيه صاحبه ، أو لايأتى أجل .. قبل أن يستوفى كل مخلوق رزقه .

ربما دون تفكير أو تردد ، طلبت الى خالى ان يتوسط لى فى وظيفة آعيش منها ، ولما كان خارجا من توه من رئاسة الجمارك ، فليس صعبا ان يوصى علىّ بعض كبار موظفى الجمارك .. لكى يلحقنى بالوظيفة اليسيرة ، تتمشى مع قدرتى وضعف حيلتى . وكان لى ما أردت ، فالتحقت

بـالجمارك فى جـدة ، فى عـام ١٣٦٦هـ ووضعت فى «قلم التحرير» .. كما كان يسمى ، وأخذت مسارى الحياتى وأنا شاب عزب ، نصيبه من المعرفة .. أقل من محدود ، يريد ان يعيش بعرق جبينه ، ويريد فى الوقت نفسه ان يتعلم .. وان ينال من المعرفـة مايقـدر له ، ومايعـين عليه جهـده المحدود الضعيف .

بدأت اقتطع من مرتبى المحدود ، وهو خمسة وتسعون ريالا لاشترى بجزء من المرتب «كتابا» يعيننى على الفهم ، بل انى اقتر على نفسى ، لاشترى كتابا ، فانا مدين لتعليمى المحدود الى الكتاب .

وتعرفت على استـاذى .. الانسان الصـادق المخلص الوفى محمود عارف . فكنت اقرأ عليه «نظرات المنفلوطى» ، ويصحح لى اخطائى ويدلنى عليها ، ودلنى بعـد ذلك على قراءة مجلة «الرسالة» ، وأخذت بعض دورس النحو على استاذى الفاضل «حمزة سعداوى» .. ابن مدارس الفلاح بجدة ، لتعيننى على استـدراك بعض الاخطاء ، ولاقـوم لسانى ، لاسيما وقد اصبحت «محررا» فى جمرك جدة ، فلابد لهذه الوظيفة من ادوات ، وأهمها جمال أو استقامة التعبير وسلامة اللغة ، لكى استطيع أن أتطور وأكون ، لان من لاظهر له ، لابد له من وسائل تعـوض مايفتقـد .. فى محيط منطقه القوة والمادة والوجاهة والانحناء والتذلل . وعلى الانسان ان يختار المنهاج الذى يريد أن يسلكه ، وانا أحب الطريق الصعب القوى . ربما كان هذا شيئا فى طبعى ونفسى ، وليس لى فيه خيار .

انا لا أريد أن أؤرخ لحياتى ، فهى لاتستحق شيئا من ذلك ، وانما يؤرخ لحياة العظماء من الرجال ، وكم أتمنى ان يكون لى أيسر الخصال الكريمة ، التى تجعل من آدميتى انسانا .. ذا خلق ومسلك عزيز الىّ . ولعل ماقدمت يكفى كتمهيد .. الى موضوع تجربتى الصحافية ، وربما اسرفت فى الاطالة ، وعذرى ان حياتى ملأى بالكفاح اليسير .. على قدر حظ انسان بسيط ، من عرض الناس ، غير ان الحياة مسرح كبير للتعليم والعبر .. والتجربة الواسعة . وكل انسان له قصة حياة ، وان اختلفت القصص وتنوعت تأثيراتها ، الا أن الحياة الراكدة .. لاتعطى الا قصصا تافهة لاغنى فيها ولا معنى لها ، ولاعبرة منها ، ومثل هذا لايعد فى الحياة شيئا .

وانى اترك هذه المقدمة او هذا التمهيد مفتوحا ، لأعبر من خلاله .. الى الحديث عن تجربتى الصحافية ، التى هى هدف هذه المحاولة .. ليقرأها الجيل الجديد ، فان وجد فيها مايستحق أن يعطيه فكرة عن مرحلة سبقته فذلك ما أريد ايصاله اليه ، وان لم يجد فيها .. مايبحث عنه ، أو مايستحق اهتمامه ، فليعتبره .. من هذا الغثاء الكثير ، الذى يصادفه مصبحا وممسيا . ولا ينتظر منى وامثالى .. تقديم دراسة منهجية عن هذه «التجربة» ، فالمنهجية كما اشرت آنفا سبيل الاكاديميين والمحققين والدراسين ، وانما انا اقدم اليه تجربة «مجردة» أخص .. ماتحفل به الصدق ، فالحياة صدق ، والعقيدة صدق مع الخالق

والنفس ، ولاخير فى عمل .. مهما كان صاحبه وقيمتــه ، لاخير فيه .. اذا تجرد من الصدق ، وقــد قرن الصــدق بتقوى الله عز وجل .. فى قوله تعالت اسماؤه : «يــا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» .

○ ○ ○

الطريق إلى الأضواء

عـرفت الأخ «محمد سعيـد باعشن» ، .. عنـد خـاله المرحوم الاستاذ «محمد حسن عواد» .. فى الغرفة التجارية بجدة ، يوم كان الاستاذ العواد رئيسا لهـا . وقد عشق محمد سعيد الأدب .. عن طريق خاله ، وكان مثلى يحاول أن يبرز وينشر انتاجه ، وهو انتاج شاب ، يحتاج .. الى المزيد من الصقل والقراءة والمرانة .

كانت المعرفة مع محمد سعيد باعشن اذن عن طريق استاذنا محمد حسن عواد ، وطرف اللقاء الثالث .. الأدب وعشقـه ، ذلك أن الأدب جمال وسحـر ، وهو جمـال فى النفس ، قبل أن يكون اداء ، وهو أدب ناقص ،. اذا لم يكن صاحبه على خلق .

كان الاستاذ «عبد السلام طاهر الساسى» .. يـرحمه الله ، وهـو من عشـاق الأدب وراويـة من رواة الأدب فى المرحلة المزامنة له . وحبه للأدب دفعه الى ان يجمع (أولا) قصائد للشعراء : حمزة شحاته ومحمد حسن عواد وأحمد قنديل ، صدرت فى عام ١٣٦٩هـ بعنوان «الشعراء الثلاثة» و «ثانيا» .. جمع فى عام ١٣٧٠هـ قصائد لسبعة وعشرين

شاعرا .. اسماه : شعراء الحجاز فى العصر الحديث .

وجهد الأستاذ الساسى .. ليس هدفه الكسب المادى ، فطبع الكتب ليس له مردود مادى فى اكثر الاحيان ، لاسيما هذا النوع من التجميع ، لأن الأستاذ الساسى .. لايقدم دراسة لما يجمع ، وانما عشقه للأدب .. يدفعه الى هذا الصنيع ، ليقدم شيئا من أدب امته الى ابنائها .. فى وقت كان فيه الاقدام على طبع كتاب مغامرة ، ولم يصدر خلال تلك الفترة التى صدر فيها الشعراء الثلاثة وشعراء الحجاز .. أو قبلها الا بضعة كتب لمشاهير أدبائنا ، أو لبعضهم على الأرجح .

والطباعة مكلفة ، والانتاج الجيد ندرة ، لأن رعيلنا الأول من الأدباء .. دراستهم ومدرستهم هى الكتاب ، الى جانب ما أتيح لهم من دروس فى النحو وبعض علوم العربية فى المسجدين ، وبعض التلقى من العلماء فى غير مكة والمدينة ، والأدب هواية تعمقه المواهبة والدرس ، والمطالعة غير الجادة لاتكون أديبا وان كان ذا موهبة ، ولكن الهواية القوية .. تدفع الى الاطلاع والاستزادة من الفن الذى يميل اليه الانسان .

وأدباء الرعيل الاول .. كانوا كلهم موظفين ، غير أن الموهبة الحقة لاتحد منها الوظيفة ، فالنابغة .. يبرز حيثما كان ، ولذلك نجد ان الكتاب والشعراء .. بدءا من العصر الجاهلى ، نشأوا فى صحراء قاحلة ، فكان منهم الفحول الكبار ، . لأنهم نوابغ ومهيأون بالفطرة .. ليكونوا شعراء وكاتبين .

ونحن نجد فى رعيلنا الأول انماطا من المبرزين .. وان كانوا قلة ، ونجد بعضهم وسطا فى قدرته على الاداء والابداع ، وبعضهم .. يحاول ، ولكنه لايرقى بانتاجه الى المستوى الذى يهيئه الى الصدارة .

لست بهذه السطور .. ادرس تقويم ادبائنا ، ولكنها مدخل الى القول .. بأن الجيلين اللذين قبلى وكثيرا من جيلى ، ليس له مصدر فى المعرفة الا الكتاب ، وهى اجيال .. اكثرها فقير ، لم تصل الى الجامعة فى خارج البلاد .. والدراسة المتقنة ، ولعل بعض ابناء الاغنياء .. اتيح له أن يوفد ليدرس فى مصر أو العراق ولبنان .. دراسات جامعية ، تعتمد على اللغة الانجليزية أو بعض التخصصات الادارية ، لتتيح لصاحبها مركزا وظيفيا مرموقا ، وهى قلة محدودة العدد . وبعض الافراد .. درس الطب فى مصر ، وبعضهم دخل الازهر او دار العلوم بمصر ، ولكنهم أفراد معدودون .

لست متأكدا من دقة اليوم والشهر .. اللذين زارنى فيهما الاخ محمد سعيد باعشن .. فى مكتبى «بجمرك جدة» ، ولكنى أرجح أن يكون الشهر «رجب» ، ولعلها أول مرة .. أرى فيها صاحبى يزورنى فى مكتبى ، وأخذنا نتحدث عن الأدب ، فليس لنا شغل سواه . فوجدت محمد سعيد يلقى على بفكرة جمع بعض مقالات المشهورين .. من ادبائنا ، ونخرجها فى كتاب على نحو ماصنع الاستاذ «عبد السلام الساسى» فى جمعه وطبعه للعديد .. من انتاج شعراء البلاد .

وأخذنا نتحاور فى هذا الموضوع ، فنحن شابان .. عندنا ولوع بالأدب ، ونريد المزيد من الشهرة ، لاننا نرى أنفسنا صغارا .. بجانب الأدباء الكبار الذين حولنا ، والذين نقرأ لهم فى الصحف ، كما نرى المعارك الأدبية حولنا .. بين الكبار ، وقد اسهمت أنا فى نقد كتاب «شعراء الحجاز فى العصر الحديث» .. الذى أصدره الاستاذ الساسى [٢] ، وأحدث نقدى معارك ضارية .. بينى وبين بعض الشعراء الذين نقدتهم وبعض الكاتبين .

وخلال حوارى مع محمد سعيد باعشن .. عن اصدار كتاب بمقالات مختارة لكبار الادباء ، دخل علينا الأديب .. الأخ «محمد كامل الخجا» من المدينة المنورة ، ومضى حديثنا فى مساره .. فى هذا اللقاء الذى لم يتجاوز الساعة والنصف ، وفجأة طرأ على بال احدنا ، ولا استطيع أن احدد .. من صاحب الفكرة ، وهى أن نصدر «جريدة» ، تبدأ اسبوعية ، حتى اذا قدر لها النجح ، تحولت تدريجيا الى ان تصدر مرتين فى اسبوع ، ثم ثلاث مرات .. الى ان تصبح يومية .

هكذا انداح حلمنا فى دقائق ، وكانت عزائمنا أكبر منا . فأنا موظف بالجمارك مرتبى الشهرى يومئذ «٣٤٥» ريالا وصاحبى محد سعيد موظف فى وزارة التجارة ، واظن

---

(٢) انظر كتابى امواج واشباح صدرت الطبعة الاولى منه فى عام ١٣٧٨هـ عن صحيفة الاضواء .. ضمن سلسلتها ، والطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ عن النادى الادبى الثقافى بجدة .

مرتبه الشهرى لايزيد عنى كثيرا ، ولكنه أحسن منى حالا ، فهو صهر تاجر كبير «احمد محمد صالح باعشن» ولزوج محمد سعيد نصيب فى تجارة اخيها ، أما أنا فليس لى الا مرتبى الشهرى ، أسكن منه وأنفق على نفسى وزوجى ، وكان قد مضى على زواجى اقل من عامين ، ونحن على وشك الانجاب .

اتفقنا انا ومحمد سعيد على فكرة اصدار جريدة وكأنها مجرد حلم ومنى ، وعلى رأى الشاعر :

منى أن تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ثم افترقنا على اللقاء بعد العصر .. فى منزل المرحوم الشيخ «محمد الطويل» (٣) .. يرحمه الله ، لنطلب منه السماح لنا بأن نجلس فى مكتب معهد الملك سعود . (٤)

التقيت ومحمد سعيد فى دار الشيخ الطويل .. بحارة الشام ، وعرضنا عليه فكرتنا ، فرحب بنا وبارك سعينا ، وقال : غدا تجدون «الفراش» بعد العصر فى المكتب ، يصنع

---

(٣) رجل وجيه شهم من اهل جدة ، تقلب فى مناصب كبيرة فى عهد الشريف الحسين والعهد السعودي ، وهو شخصية فذة .. تصنع المعروف والاحسان وتشيع الخير وتعمل له . وبيت الطويل مفتوح لقاصديه ، ليحل لهم مشاكلهم ويسعى فى عون من يقصده ، لايتردد ولايقصر فى واجب ، يرحمه الله .

(٤) مشروع معهد الملك سعود ، جاء نتيجة التبرعات التى جمعها اهل جدة لجلب الماء اليها ، وحين قامت الحكومة بمشروع العين العزيزية رؤى استثمار التبرعات ليكون منها مشروع المعهد ، ثم صرف النظر عنه .

لكم الشاى ، واكتبوا واجتمعوا حتى تنتهوا من مهمتكم .

ولعل الاخ محمد سعيد باعشن .. نقل الفكرة الى صديقه «عبد العزيز عطيه ابو خيال» والذى أصبح صديقا لى كذلك ، ولعلى انا نقلت ايضا الحلم لصديقى «محمد امين يحيى» واذا بنا نجتمع «أربعتنا» .. فى مكتب معهد الملك سعود ، ونكتب طلب منحنا اصدار جريدة .. اخترنا لها اسم «الاضواء» ، ولم يكن الطلب باسم صاحبى الفكرة والمشروع محمد سعيد باعشن وانا ، وانما كان باسمائنا نحن الاربعة . لم يكن فى نفوسنا اثرة وانانية ، ولكنا كنا اخوة يجمعنا الايثار والحب والوفاء ، يجمعنا الأدب وحبه والاهتمام به .

كتبنا طلب الترخيص على الآلة الكاتبة ، وكان الطابع محمد سعيد باعشن ، باسم المدير العام للاذاعة والصحافة والنشر ، وكان يومئذ الاستاذ (عبدالله بلخير) ، ووضعنا المغلف الذى يحمل الطلب فى البريد المسجل الى الرياض .. مقر المدير العام ، وأخذنا ننتظر فى حلم ، نترقب .. متى يتحقق الحلم ، وهو حلم جميل يراود شبابا لهم طموح .. جادين ، بل مغامرين . والا كيف يتاح لهم وهم لايملكون المال ولا الثقافة والعلم .. ان يصدروا صحيفة ، تزاحم جريدة (البلاد السعودية) .. التى تصدر اسبوعية فى مكة المكرمة ، وكان فى المدينة «جريدة المدينة المنورة» ، وهى رغم قدمها ، فقد بدأت الصدور عام ١٣٥٦هـ ، لكنها لم تكن ذات خطر ولا مزاحمة . وكانت هناك جريدة حراء .. التى صدرت يوم ١٣٧٦/٥/٦هـ

لصاحبها الاستاذ «صالح محمد جمال» أى قبل صدور «الاضواء» بستة أشهر ، وكانت تطبع فى مطبعة الاصفهانى بجدة ، وتصدر اسبوعية ، والاستاذ صالح جمال اقدر منا مادة ، فهو صاحب مكتبة الثقافة العريقة فى مكة ، وهو ذو صلات ومعارف بالأدباء ، والى جانبه .. اخوه الاستاذ احمد محمد جمال ، عضدا له ، وقد مارس الاستاذ احمد العمل الصحافى فى البلاد السعودية .. قبل حصول أخيه على امتياز حراء ، الى جانب انه كاتب مجيد ، فى الشؤون الاسلامية والأدب والشعر والنقد .

وصدرت بعدنا جريدة «عرفات» اسبوعية بتاريخ ٢/٦/١٣٧٧هـ ، لصاحبها «حسن عبد الحى قزاز» . وكان صدورها بجدة . وجدة كانت ومازالت المركز الاكبر للحركة التجارية .. عبر عشرات السنين ، وكانت الطباعة فيها متطورة ومتقدمة ، فقد بدأت المطابع المتطورة بمطبعة «مجلة الرياض» .. التى أصدرها السيد «احمد عبيد» الكاتب الشجاع والمواطن الغيور ، والرجل السمح ذو الخلق والوفاء وتجارب الحياة. وهذه المطبعة انشئت فى عام ١٣٧٣هـ . وبعد توقف «مجلة الرياض» ، وهى مجلة قوية .. سبقت وقتها ، بيعت المطبعة الى السيد «حسن عباس شربتلى» . وانشأ بعد ذلك «محمد حسين اصفهانى» مطبعة .. تطورت حتى وصلت الى مستوى راق فى فن الطباعة .

لذلك نرى كل الصحف بلا استثناء تطبع فى جدة . حتى جريدة البلاد السعودية .. التى كانت تملك مطبعة فى مكة

تحولت الى جدة ، لتطور الطباعة ، وكذلك انتقلت جريدة المدينة المنورة ، الى جدة ، جريا وراء التطور الطباعى ، وصحيفة عكاظ كان امتيازها فى «الطائف» لكنها صدرت فى جدة .. من أجل الامكانات الطباعية .

وكان هذا التزاحم فى جدة باسم المطابع ، يضاف الى ذلك السوق التجارية والتجمع الكثيف فى الاعمال ، اوجد ربكة فى تزاحم صدور الصحف فى هذه المدينة .. الجذابة الساحرة (وفات على جهة الاختصاص عملية التنسيق بين الصحف وموازنة عدد ماتصدر فى كل منطقة من مناطق المملكة) .

وصدرت بعدنا جريدة «الندوة» .. بتاريخ ١٣٧٧/٨/٨هـ لصاحبها الاستاذ «احمد السباعى» اسبوعية حتى العدد الثالث . ثم مرتين فى الاسبوع .. من العدد الرابع .. والاستاذ السباعى أديب وكاتب وذو شهرة ، فقد كان مفتشا فى وزارة المالية ، ثم ممثلا ماليا ، وقبل ذلك مدرسا ، ومؤلف كتب الهجاء المدرسية ، وهو ذو تاريخ حافل . اكبر منا سنا ، وذو امكانات مالية وخبرة وممارسة ، وهو أحد الرجال .. الذين تولوا رئاسة تحرير صوت الحجاز .. فترة من الزمن ، وهو صاحب تاريخ البلد الحرام ، الى جانب مؤلفاته العديدة .. فى الادب ، ومع ذلك ، فقد كنا أسبق منه ومن حسن قزاز .. حين أصدرنا الأضواء .

بعد انتظار دام خمسة وأربعين يوما ، هتف الينا من فرع المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ، الاستاذ

«سيف الدين عاشور» .. ليبلغنا ان الحكومة قد وافقت على منحنا اصدار صحيفة الاضواء .. وعلينا ان نحضر لاستلام الأذن . وهرعنا الى مبنى الاذاعة والصحافة والنشر ، فى مبناها بشارع المطار .. والأرض لاتسعنا من الفرحة ، حين تسلمنا «الاذن» ، وهى ورقة لاتكوّن جريدة .. ولاتطبعها ، ولاتنفق عليها ، انقشع شىء من الحلم .. واصبحنا فى واقع ، يتطلب الكثير من الجهد والعمل والعرق والسعي والحركة .

أخذنا إذن السماح لنا باصدار الصحيفة ، ولابد من التحرك والسعى .. لتحقيق الحلم ، فقد جد الجد ، وليس امامنا الا العمل ..

بدأت الاجتماعات بين شبان مفلسين .. لايملكون سوى عزائمهم ، وأخذت منا الاجتماعات اوقات طائلة .. ولكنها مثمرة وجادة وسريعة ، لم نضيع الوقت ، ولم نشطح ونبعد فى تفكيرنا ، بل كنا عمليين مضحين لتحقيق الحلم الجميل ، نخطط لننفذ مشروعنا ، ولنترجم الامل الى حقيقة .. مهما كانت المصاعب ، فنحن امام امتحان ، أقدمنا عليه بارادتنا ، فاما ان نكون فى مستوى طموحاتنا وحمل المسؤولية .. التى اقدمنا عليها ، والا أصبحنا مثال الشباب الفاشل ، الذى يقدم على عمل .. لايستطيع النهوض به ، ويخيب الامل فى الشباب وطموحه وعزائمه .

نحن كنا نقرأ الأدب .. بقدر فهمنا وما أتيح لنا ، ونقف على معانى العزائم ، وانها ارادة وقوة واقدام ، ونقرأ لشوقى رحمه الله قوله :

شباب قنع لاخير فيهم
وبورك فى الشباب الطامحينا

كنا خلال وجه النهار .. نسعى على رزقنا فى وظائفنا ، أما آخره ، فهو للاجتماعات فى بيت أحدنا .. أو فى مكان بعيد عن اعين الناس ، ندرس .. ونفكر فى التحرك ، وكيف يكون ، وماهى اقرب السبل .. لكى نرى حلمنا حقيقة . نملك جريدة ، ونعبر ونكتب من خلالها .. مايدور فى عقولنا المتواضعة ، وليدفعنا هذا المشروع الى المزيد .. من الاطلاع والاحتكاك وتوسيع معارفنا واتصالاتنا ، ولتتسع شهرتنا ، ليكون لنا دور ، اما المال .. فلم تكن لنا اليه سبيل فنحن لانحلم ان نكون أثرياء . والأديب عنده اقتناع .. ان بينه وبين الغنى مساحة لاتطوى .. اما المال .. فانه لايجلب الا التعب ، وان كان المال يحل بعض المشاكل .. ولكنه يهىء الكثير من المشاكل . والشعور بنشوة الأدب .. لاترقى اليه البهجة بكثرة المال ، لان المال منغص والادب حياة لاتنغيص فيها .. سوى قلة ذات اليد ، غير أن الانسان اذا كان قوى الايمان بخالقه ، لايضيق بقلة المال فى يديه ، لأنه يوقن ان الرزق تكفل به خالق الانس والجن والكون ، فكيف يخشى الجوع من رزقه على الله القوى القادر ، الحى القيوم .. الذى لايعزب عنه مثال ذرة فى السماوات والارض ، الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا . سبحانه وتعالى .. القائل فى كتابه العزيز على لسان لقمان الحكيم : «يابنى انها ان تك مثقال حبة من

خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير» ؟

وصلنا فى تخطيطنا وتفكيرنا الى ان يأخذ تحركنا مساره التالى :

أ ـ استئجار شقة من عمائر البنك الاهلى التجارى .. لتكون مقرا لادارة الصحيفة ، وكانت المبانى ميسورة .. يعلن عنها فى الصحف .. بحثا عن مستأجر .

توجهت ومحمد سعيد .. الى الأخ «محمود بغدادى» من أهل جدة ، وكان يومئذ مديرا لادارة املاك البنك الاهلى التجارى . واتفقت مع محمد سعيد .. ان يكون منطقنا الصدق مع الناس ليحترمونا ويثقوا فينا ، ويحسنوا التعامل معنا ، لاننا اذا لم نكن صادقين فشلنا واحتقرنا الناس ، فالصدق مع العمل طريق النجح .. بعون الله وتوفيقه ، لان الله سبحانه وتعالى امرنا بالعمل ، وعلى المرء ان يستنفد وسائله وطاقته ، وبعد ذلك .. يترك الامر لصاحب الامر ، المعين القادر .

قلنا للاخ محمود بغدادى ، ان عندنا مشروع اصدار صحيفة اسبوعية فى جدة ، ونريد شقة من املاك البنك الاهلى ، وليس بأيدينا مال ندفع منه الايجارة ، ولكن مقابل ذلك عرضنا عليه ان تتولى جريدتنا الاعلان لادارة الاملاك .. عن تأجير املاكها ، فكان الرجل سمحا فاضلا ، لم يحوجنا .. الى الاتصال بصاحب البنك والى وساطة وسعى عند غيره ، فقبل عرضنا وكانت الايجارة شهرية ،

لاتزيد عن مائة وستين ريالا . ونتحمل مانستهلك من تيار كهربائى وقيمة ماء «مقطوعة» كل شهر .

تسلمنا شقة «على البلاط» تتطلب «دهنا» لجدرها وسقفها ، ثم فرشا ومروحة ، فلم نكن نحلم بالمكيف .. لاننا لانقوى على قيمته .

ب ـ كان فى سوق الحراج .. الشيخ «اسحق نواب» يبيع الكراسى والطربيزات وشيئا من ذلك . وقد عملت مع هذا الرجل .. حين كان مديرا «لجمرك جدة» ، وهو رجل ادارى ، حازم مدرك لعمله ، وكان قبل ذلك امينا لجمارك الاحساء .

ذهبت الى الشيخ اسحق نواب .. بحكم المعرفة ، وشرحت له الحال ، وقلت : نريد كذا وكذا ، على ان نعطيك بعض القيمة والبقية تنظرنا فيها بعض الوقت ، فوافق مشكورا على طلبى ، على ان اعود اليه خلال يومين ، ليجمع لى ما أريد واعطيه بعض القيمة .

ج ـ وجاء دور (الهاتف) ، وهو حكومى لايعطى الا بعد دفع المصاريف ، وقيمته (٣٧٥) ريالا ، اكثر من مرتبى ، وأنا لا أدخر من مرتبى الشهرى خمسين ريالا .

فكرنا فى امر الحصول على شىء من المال ، واقترح محمد سعيد الذهاب الى معالى الشيخ (محمد عبدالله رضا) ، وكان يومئذ وزيرا للتجارة ، ومحمد سعيد يعرفه .. بحكم عمله معه، اما انا فرجل قليل المعرفة بالتجار وأصحاب الجاه والمال ، انسان محدود التحرك والمعارف .. الا فى

حدود الادب والأدباء فى جدة ، «كالاستاذ العواد واستاذ محمود عارف» والجهاز الجمركى الذى أعمل فيه . شاب فقير ، ليس له ظهر ولاسند من اسرة ورجال .. الا عون الله ، والله سبحان وتعالى عون من لامعين له .

ذهبنا ، انا ومحمد سعيد الى الشيخ محمد رضا فى مركز آل زينى التجارى .. فى شارع الملك عبدالعزيز ، اما زميلانا عبدالعزيز ابو خيال ومحمد امين يحيى ، فلم نكلفهما .. السعى معنا ، لاننا لانريد الاثقال على الناس ، حين يسعى اربعتنا جميعا ، يكفى اثنان ، يحسنا شرح الاهداف والطلب .

قلنا للشيخ محمد رضا : نحن ابناؤك ، وعندنا مشروع اصدار صحيفة فى جدة بلدك ، وهى جزء من وطنك .. الذى تحبه وتعمل له ، والرجل شجاع لماح ، له ارادة ومهابة ، رجل من الرجال القليل فى المواقف الجادة ، بعيد النظر ، يعرف قيمة الرجال .. والرجال يعرفون قيمته ومكانته ، لا لانه تاجر .. يملك المال ، ولكنه ذو موقف شجاع ، وأمثاله قلة فى الرجال الذين يعدون ، يرحمه الله برحمته الواسعة ، فقد كان وطنيا غيورا .

شرحنا له هدفنا ، فرحب وشجعنا .. على تحقيق حلمنا واملنا ، وقلنا له : ليس عندنا نقود ، وجئناك .. لا لنطلب منحة ، وانما قرضا يكون رده بنشر اعلانات لبيتكم التجارى . وكان بيت آل زينى وكيلا لسيارات فورد ومنتجات «ويستنق هاوس» وغير ذلك .. من الاعمال التجارية . وحددنا له طلبنا ، مبلغ الفى ريال ، فاستجاب

مشكورا . وكلم رئيس محاسبة بيته التجارى ، وقال له : اتفق معهما على نشر اعلانات واعطهما الفى ريال .

ذهبنا الى المحاسب وكان باكستانيا ، ونحن لانعرف قيمة الاعلان ، ولكننا قلنا له : حسب ماتدفعون للصحف الاخرى .. تحاسبوننا بنفس القيمة . وقبضنا الالفى ريال ، وسعينا الى ادارة الهاتف .. ودفعنا المبلغ المقرر ، وخلال اسبوع .. كان عندنا هاتف اوتوماتيكى . واخذنا الاثاث المتواضع القديم ، ماصتين وبعض الكراسى من الشيخ اسحق نواب ، واشترينا مروحة ، واتينا بفراش .. شاب حضرمى هو «جمعان بن عبيد» ، فقد عمل معنا فى الاضواء ، ثم فى الرائد ، وكان نعم الرجل ، هدوئا واخلاقا وامانة .. وتفانيا فى العمل وصدقا ووفاء ، ادعو الله له بالخير والجزاء الحسن ، كفاء عوننا .. واخلاصه معنا وجده ووفائه النادر .

د ـ وكانت الخطوة التالية المهمة «المطبعة» . سعيت ومحمد سعيد الى الاخ «محمود رضا» .. مدير مطابع السيد «حسن الشربتلى» .. فى الكيلو الخامس .. من طريق مكة ـ جدة ـ عشية احد الايام ، لنتفق معه على طبع الجريدة . وبينما نحن عنده .. نتحدث عن طبع الجريدة . مر به شيخنا المرحوم «احمد بن ابراهيم الغزاوى» .. نائب رئيس مجلس الشورى وشاعر الملوك ، عبد العزيز وسعود وفيصل .. يرحمهم الله ويغفر لهم بفضله ومنه .

سأل الشيخ الغزاوى .. وهو بهامته وقامته ومركزه الادارى والأدبى : من هؤلاء ؟ فقال له محمود رضا :

هذان : فلان وفلان ، جاءا ليبحثا معى طبع جريدة .. يريدان اصدارها اسمها «الاضواء» . فما كان من الشيخ رحمه الله ، وهو قد عرف اننا نكتب ونمارس النقد ، لاسيما انا .. حين تصديت لنقد كتاب شعراء الحجاز ، وكان الشيخ الغزاوى .. احد هؤلاء الشعراء ، وقد لمسته لمسا خفيفا ، حين وصفته بأنه شاعر مناسبات ، وانه لاداعى .. لان نقف عنده . هذه الغمزة ، لعلها باقية فى نفس الشيخ ، وهو يدرك .. ان شبابا يمارسون النقد بعنف ، اذا ملكوا وسيلة النشر ، فسوف يشتطون فى كتاباتهم .. التى يصيبه منها شر ، فالنقد اداة عنف ، ولاسيما حين يأتى من شبان .. همهم الهجوم ، لأن الذى يرونه أمامهم ، أو كثيرا من الذى امامهم .. من الانتاج الادبى .. غير جدير بالبقاء ، وانه لابد من هدمه .. لاقامة بناء جديد ، اشد قوة ، واكثر ايجابية ، وأعمق أثر .. لاسيما فى نفوس الشباب ، الذى يتوق الى الجدة والقوة والمصارحة ، ولايجد هذه السمات .. فى كثير مما ينشر اليوم فى الساحة الادبية ، من شيوخ الادب ، أو من اكثرهم .. اذا شئت الدقة .

ما أن سمع الشيخ الغزاوى باسمى وباسم محمد سعيد ، حتى «لوح» بعصاه فى الهواء وقال : أنا اضرب ، فضحكنا فى نفسينا وبداخلنا من هذا التخويف .. الذى يهدد به الشيخ ، لانه شيء قديم ، وكأنا نقول لبعضنا حين نظر كل منا الى الآخر : « أبشر بطول سلامة يامربع » . وهى قولة جرير .

ولم نرد على الشيخ .. حياء وأدبا ، واحتراما لكبر السن والمركز ، ولكنا صمتنا فى حرج ونفسى تحدثنى بان يوما ما آت ، لأقف مع الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوى .. موقف الناقد المحاسب له .. جزاء هذا التهديد ، الذى مضى عصره . اسررتها فى نفسى ، وحين سنحت الفرصة .. بعد سنة ونصف ، وقفت من الشيخ موقف الناقد ، فى مناسبة من مناسبات انشاده (٥) ، سأشير الى هذا النقد وغيره .. ان شاء الله ، حين اتعرض للمواقف النقدية .. فى الاضواء أو الرائد .. فى وقفة قادمة .

انصرف الشيخ احمد الغزاوى ، مودعا بحفاوة الأخ محمود رضا ، ووداعا فاترا منا .. لانا أحسسنا انه اساء الينا بهذا الوعيد ، بل اساء الى نفسه ، لأنه لم يكن فى بالى ولا بال محمد سعيد .. ان نتصدى له .

واذا اتيح له نشر شيء من شعره .. غير شعر المناسبات فسيكون لنا شأن معه ، قبولا أو رفضا .. او استحسانا ، أما ان يبادر الشيخ الغزاوى بهجومنا مباغتة ، فهذا مانرفضه ، وقد رفضته أنا .. على الأقل .

بعد انصراف الشيخ الغزاوى .. اكملنا حديثنا مع الأخ محمود رضا .. حول طبع الصحيفة عنده ، على اساس ان نجد عنده عرضا فى اليوم الثانى مكتوبا ، يكون اساس التعامل بيننا وبين المطبعة . وعدنا الى مكتبنا فرحين

---

(٥) انظر الاضواء ـ العدد (٨٩) الصادر بتاريخ ١٣٧٨/٧/٣هـ

ظافـرين ، لان خطوة الطبـاعة .. كـانت تشغلنا ، وكنـا متخوفين منها ، لاننا نجهلهـا ، لاسيما وان الجمـع على طريقة حديثة هى «اللونيتايب» أى الصف او الجمع الآلى ، وهو يجعل الحروف تتجدد كل يوم ، فلا طمس ولا تفكك بينها .. كما هى الحال فى صف الحروف اليدوية المفرقة .

○ ○ ○

الإعداد للإصدار

لم يبق أمامنا .. الا ان نعد العدة لاصدار العدد الأول من الصحيفة ، ثم نشمر على ساعد الجد .. لمواصلة اصدارها اسبوعيا ، وهو جهد كبير ، يتطلب جهازا وعملا متواصلا ، ولكن العمل .. مهما كثر، فهو يسير وسهل امام همة الشباب وعشاق العمل الذى سعوا وراءه ، حتى تحقق حلمهم ، فهل هم سيتقاعسون .. والفرص امامهم متاحة ، وهى ماكانوا يريدون ويأملون ؟

بدأنا نتصل بالأدباء الكبار .. ليسهموا معنا بالكتابة الى الصحيفة ، لاننا نريدها ان تكون قوية ، ولا مجال للعبث أو التراخى فيها ، فالصحافة الناجحة .. هى الصحافة الجادة الصادقة القوية .

استجاب الادباء والكاتبون ، الاستاذ محمد حسن عواد ، ومحمود عارف والدكتور محمد سعيد العوضى .. وغيرهم .

وكتبنا الى الادارات الحكومية ، لكى تعطينا اعلاناتها .. وفق تعاملها مع الصحف الاخرى ، وكان امامنا عمل كثير ، نحن اثنان .. محمد سعيد وانا ، اما

الاستاذان ، عبد العزيز عطيه ابوخيال ومحمد امين يحيى ، فهما يشاركان فى الاجتماعات وبالرأى .

لابد من السعى ، ولابد من العمل .. ليل نهار ، لاننا لانملك مالا نوظف به .. من يعيننا على هذا العمل الشاق ، ولان : ماحك جلدك مثل ظفرك .. كما يقول المثل ، فجهد الموظف أو المتعاون ، لايرقى الى حيوية وشعور صاحب الشىء .. الحريص على كل شىء ، وان يكون كاملا ، او قريبا من الكمال .. الذى ينشده البشر ، أو الفئة العاملة .. فى تخصصها وشؤون حياتها .

امامنا ادارة وتحرير وشىء من دعاية .. قبل اصدار الصحيفة ، وهو عمل لاينهض به رجلان .. مهما اوتوا من قوة وعزم ، غير اننا يشع فى نفوسنا قول ابى الطيب : على قدر اهل العزم تأتى العزائم .

لم نضع رأس مال ، لاننا لانملك المال ، ولكننا نملك الارادة والطموح وعزم الشباب ، ونأنس بحكمة الشيوخ ومشورتهم ، ورغم اننا نبدو أقوياء .. امام انفسنا وامام الآخرين ، الا ان استاذنا الشيخ محمود عارف .. اشفق علينا ، وقدر اننا لانستطيع اصدار صحيفة اسبوعية بجهودنا المحدودة .. وغياب امكاناتنا الثقافية والمالية وقلة خبرتنا .. فى هذا الفن الجديد علينا ، ولكننا كنا كما نرى انفسنا .. فى مركز التحدى ، نتحدى انفسنا ، ونتحدى الصعاب ، فالصعب .. يهون امام العزم الجاد ، الذى لايعرف الخور والتردد .. والاقدام ، شعارنا الطموح والارادة القوية .

فى خلال اجتماعاتنا .. واعدادنا واستعدادنا ، عرض علينا زميلنا الاخ عبدالعزيز عطيه ، ان نكل اشراف التحرير .. للاستاذ «فؤاد شاكر» رحمه الله ، لانه اكثر خبرة منا فى الصحافة ، واكبر سنا ، واكثر تجربة ، وهو يمثل الاتزان ، ويدرك سياسة الدولة اكثر منا ، بمعنى انه يمثل التوازن .. بين اندفاع الشباب وحرص الشيوخ .

وكان الأخ عبدالعزيز عطية .. قد صاهر الاستاذ فؤاد شاكر ، فأحب عبدالعزيز ان يكون لصهره يد ، فيرأس شبابا ، ويكون له الكلمة الاولى . فيما ينشر ومالا ينشر ، اى ان الاستاذ فؤاد .. يرعانا ، ويصبح رئيسنا ، وان كنا نحن اصحاب امتياز الصحيفة .

وقد حسبنا الموقف .. فوجدنا ، انا ومحمد سعيد انه لاينبغى ان نضع قيادتنا فى يد غيرنا ، لاسيما .. ونحن اصحاب الجهد والسعى ، وان لنا انطلاقتنا وحيويتنا وطموحاتنا ، وان وجود الاستاذ شاكر .. على رأس الصحيفة ، التى هى لنا ونريد من ورائها نجحا ، ونريد لها دورا كبيرا وموقفا .. يحقق طموحنا ، قد تصبح وصاية تعيق اكثر مما تدفع . فرفضنا الوصاية .. كما أسميناها ، ولعل الأخ عبدالعزيز قد حادث صهره فى هذا الموضوع ، فلما رفضناه .. انسحب الأخ عبدالعزيز من المشاركة ، وقبلنا انسحابه اذا كان بقاؤه سيظل مشروطا ، وليس لنا رأى أو سلطان على صحيفتنا ، مع تقديرنا للاستاذ فؤاد شاكر . واحترامنا له كأب ، وصاحب تجارب واتزان ومعرفة ، فهو أديب .. وشاعر وكاتب ، ولكنه لايرضى

طموحاتنا . وقدرنا ان الصحيفة ستموت ، او سوف لاتكون لها قيمة ولا دور .. اذا اسلمناه قيادتها وقيادتنا ، لانا ندرك مسار الاستاذ فؤاد .. من خلال كتاباته ومنهاجه فى تناول الامور ، فهو انسان «مسالم» .. او اكثر من مسالم ، ان صح هذا التعبير ، نحن شباب مقاتلون ، يسيرنا طموح وأمل ، نريد ان نجمز وان نعارك ونصارع لاتهمنا النتائج .. كثيرا ، وانما يهمنا الموقف المتحمس والانطلاق .. نحو اقامة صحافة قوية جادة ، تواكب العصر وتطلعات الشباب وهمته القعساء .

ودعنا صديقنا ابا خيال ، وبقينا ثلاثة ، محمد سعيد باعشن ومحمد امين يحيي وانا . واخذنا نتناقش فى دور كل منا وانا رجل اؤثر المبدأ القائل : اذا عز اخوك فهن . اما السن .. فانى اسن من محمد سعيد ، ومعارفنا متقاربة كما أتصور ، فلايزيد عنى ثقافة ، ولا أزعم ان لى نصيبا منها يقاس عليه .

قبلت ان يكون محمد سعيد رئيسا للتحرير ، وكما اشرت آنفا ، محمد سعيد وانا المقدمان .. واصحاب الرأى والاتفاق ، ونحن اصحاب المشروع ، والاخوان عبد العزيز ابو خيال ومحمد امين يحيى .. انضما الينا حين عزمنا على التقدم بطلب التصريح .. باصدار الاضواء . فضما الينا بقبولنا ، لانهما صديقان .. واخوان عزيزان ، وليس فى نفسينا شىء من انانية ، وقلنا حين انضما الينا .. انهما سيعيناننا بالجهد والرأى ، لأنا ندرك متطلبات اصدار

صحيفة ، ندرك العناء والجهد ، وان اليد مع اليد .. تبنى ويدعم بعضها بعضا و «يد الله مع الجماعة» .

قبلت انا الادارة ومحمد سعيد فى التحرير ، والاخ محمد امين يحيى .. فى دور المستشار ، وبعد فترة رغب الأخ محمد امين ان يكون له اسم فى «ترويسة» الصحيفة ، فضممته الى الادارة ، لنكون معا مسؤولين عنها ، فانا اقوم بكل اعمال الادارة ، وهى ليست فى حاجة الى شرح ، وكذلك اصحح «البروفات» واشارك فى التحرير ، كتابة واخراجا .. وقراءة مواد ، وانوب عن رئيس التحرير حين يسافر ، واكتب بعض الافتتاحيات ومقالا اسبوعيا وزاوية اسبوعية ، وارد على بريد القراء ، وهو عمل طويل عريض لاحد له ، ولكنى كنت سعيدا به ، لأنه اشبع نهمى وحقق تطلعاتى واماني .

حينما اجتمعت لدينا مواد التحرير لبعض الاعداد ، أخذنا نفكر فى يوم نختاره لنصدر فيه صحيفتنا ، فاتفقنا على ان يكون «الثلاثاء» من كل اسبوع . ولعلنا اخترنا ذلك لنوائم بيننا وبين الصحف الاخرى .. التى تصدر فى جدة أو مكة والمدينة والرياض .

واتفقنا كذلك ان يكون حجم صحيفتنا فى مساحة «التابلويد» ، نصف حجم الجريدة العادية ، فهو حجم مقبول وملائم .. لصحيفة اسبوعية .

تكاملت عندنا المواد الرئيسية ، وهى فى الادب والاقتصاد ونحوهما ، حيث استكتبنا من استجاب لدعوتنا ، وفى مقدمتهم الاستاذ محمد حسن عواد

والاستاذ محمود عارف ، والاستاذ احمد صلاح جمجوم مدير عام الزكاة والدخل ، والذى أصبح وزيرا للتجارة فيما بعد . ورغم انه من اسرة عرفات ، فقد اسهم بكلمة للعدد الأول ، لانا فى حاجة الى اسماء .. فى بداية عملنا ، وحاجتنا الى موضوعات . كما انه كتب فى بعض اعداد اخرى من الاضواء .

لقد كتب فى العدد الاول الاساتذة :

محمد حسن عواد ، وعبد العزيز الرفاعى ، وعبد الحميد جودة السحار ، والدكتور محمد سعيد العوضى ، ومعالى محمد عبدالله رضا وزير التجارة ، وعبدالله الغاطى ، وعبدالكريم نيازى ، وعدد صفحات العدد ثمان ، وقيمة الاشتراك عشرة ريال فى داخل المملكة ، وعشرون فى الخارج . وليس على وجه الجريدة قيمة بيع النسخة ، ولكنها كانت «تلاثة قروش» ، كما ظهرت على العدد الثالث ..وما بعده . وزادت الصفحات الى عشرة واثنى عشرة وست عشرة وعشرين ، ولكنها .. ليست ثابتة ، وذلك فى العام الثانى ، واصبحت القيمة ربع ريال وستة قروش للنسخة ، وظلت قيمة الاشتراك عشرة ريالات فى السنة لداخل المملكة .. وعشرين للخارج .

قبل ان نصدر العدد ، اخذنا نعد لشىء من دعاية ، إذ ليس عندنا مال .. نعلن او ننفق به عليها فى الصحف التى تنشر لنا اعلانات عن قرب .. او عن موعد صدور الاضواء .. وليس امامنا الا اختيار المسلك الذى ينتهجه التجار ، فى كتابة اعلانات على مساحات من القماش

الابيض ، نعلقها قبل صدور العدد بـأيام .. فى مـواضـع معينة ، لتكون ايذانا للناس بذلك .

ذهبنـا الى خطاط .. يكتب «اللافتـات» والاعلانـات ، بجانب مسجد بن محفوظ «فى باب شريف» وأتفقنا معه على كتابة الاعلانات التى اخترنا كلماتها مثـل : الاضواء .. الصحيفة الاولى فى جدة . الاضواء .. صحيفة الشبـاب والاقلام الجادة ، ونحو هذا الهوس الشابى واندفاعه .

كتبت الاعلانات ، ويبقى من «يعلق الجرس» ؟ . نحن نحرص على كل قرش فى أيدينا .. من الالفى ريال اللذين اقترضناهما من شركة الحاج عبدالله على رضا ، وقد انفقنا اكثر من ثلاثة ارباع المبلغ .

من حسن الحظ ، ان لى بعض الاصدقاء .. وهم قلة ، أجدهم فى حوازب الامور ، منهم أخى حمدان صدقة ، فهو صديق العمر .. فى السراء والضراء .

الاخ محمد سعيد رجل «شيك» فيه بعض الرفاهية و «النزاكة» ، وهو لايقدم عـلى الاعمال الشـاقة قلت لاخى حمدان ، ان الاعمال الشاقة .. ليس لها الا رجالها ، الذين يواجهون الصعاب ، قال ماذا تريد ؟ قلت هذه الاعلانات نريد أن نعلقهـا امام قهـوة «بشيبش» [٦] . ولايمكن هذا العمل الا بعد العشاء ، حين تخف حركة السيارات ، لاننا خلالها لانستطيع ان نؤدى هذا العمل .

---

(٦) قهوة بشيبش كانت حيث مبنى ال باعشن ، فى باب مكـة شرق مقبـرة الاسد ، عند التقاء طريق باب شريف وباب مكة .

اتفقت وابا يحيى [7] على الموعد ، لعله كان اليوم الثانى . حددنا مكان اللقاء ، انا معى حبالى واعلاناتى .. وهو بجهده ، وليس عندنا وقت للتفكير والانتظار والتردد ، فقد حددنا موعد صدور الجريدة ، وحملنا بعض المواد الى المطبعة .

ومضينا الى ذلك الميدان فى باب مكة .. حوالى الساعة العاشرة ليلا ، واخذنا «نتشعلق» على الاعمدة القائمة ، وهى اعمدة من جذوع الشجر ، باعلاها كهرباء او اسلاك هاتف ، واشواكها .. تدخل فى ايدينا ، ولكن لانحس به .. كاننا عشاق لا نأبه لما يصيبنا فى سبيل هذا العشق المضنى ، لكن ماذنب ابى يحيى ؟. انها ضريبة الوفاء والصداقة .

ادينا مهمتنا فى نصف ساعة أو ثلاثة ارباعها ، ثم تحولنا الى شارع قابل ، امام مسجد عكاش ، وكان بأعلى عمارة «عبدالبديع» .. رجل ايطالى طبيب ، فطرقنا باب شقته ، وبعد الاعتذار والتأسف .. على الاقلاق ، شرحت له : ان عندنا جريدة .. سنصدرها قريبا ، ونريد تعليق قطعة قماش فى عرض الشارع ، ونستأذنه فى ربط حبل فى شرفة شقته ، فاستجاب الرجل .. بطيب نفس ، وربطنا فى لحظات الحبل .. وكان فى طرف الاعلان ، لانا كنا مستعدين ، فلا نقلق الناس ونضيع وقتهم . وفى الجهة

(٧) الأخ حمدان صدقة

المقـابلة ، حيث مسجد عكـاش ، ربطنـا حبلنـا فى نفس الليلة .. التى كنا فيها عند قهوة بشيش ، وصحا الناس فى صبيحة اليوم التالى .. على هذه الاعلانات .. فى اكبر سوق فى جدة ، وفى اكبر ميدان حركة ، حيث تقف سيارات النقل الى مكة والمدينة ، الى جانب مرور السيارات من باب شريف ومن طريق مكة ، ومن داخل جدة ، ولو عملنا هذا اليوم بغير اذن البلدية .. لازالته من توه ، ولكن الامور يومئذ كانت ميسورة ، والمدينـة كانت محـدودة المساحـة والسكان ، ليست فى حالها اليوم سعة وحركة وتنسيقا وامتدادا وكثافة سكـان . واحداثنـا هذه كـانت فى شهر شـوال من عـام ١٣٧٦هـ ، اى قبل ثلاثين سنة .

لا ابالغ .. اذا اشرت الى الدهشة التى احدثتها هذه الاعلانات المتواضعة ، وترقب الناس هذا الشىء الطارىء فى عالم الصحافة ، ذلك ان جدة ، لم تعرف الصحافة .. منـذ ١٣٤٣هـ ، حيث صدرت فيهـا جريـدة الاصـلاح الحجازى عام ١٣٢٧هـ لبضعة اشهر ثم توقفت ، وكذلك بريد الحجاز عام ١٣٤٣ ، وتوقفت بعد عام وشهرين .

وفى المدينة جريدة ضعيفة الامكانات والطباعـة ، وفى مكة اخرى صحيفة «البلاد السعودية» يقوم على تحريرها .. رجل يملك خصائص الصحافة القـوية المتـزنة ، هـو الاستاذ «عبدالله عريف» .. رحمه الله . ثم صدرت جريدة عرفات فى جدة ، وكذلك حراء والندوة فى مكة .. والصحف الجـديدة .. لبست ثيـابا جـديدة ، طبـاعـة واخـراجـا و«مـانشتات» بخـطوط بارزة وملونـة ، أو هـى حمر عـلى

التحديد ، وهذا لانعرفه الا فى الصحافة المصرية .. المتقدمة علينا بسنين طوال .. خبرة وحرية وامكانات فنية وكاتبين ، بل ومبدعين .. فى كل مجال . فاذا كان لكل قادم دهشة ، فكذلك لكل جديد دهشة .

اتجهنا الى المطبعة .. نلم موادنا ونسأل كيف نخرج الجريدة ، ولم تكن المطبعة فى ذلك الوقت مهيأة بمخرجين ، لأنها لاتمارس الصحافة ، وانما اعمالها تجارية ، حتى «عرفات» اتجهت الى الاصفهانى لتطبع فيها وكذلك «حراء» ، لان امكانات الاصفهانى اوسع واكثر تطويرا من مطابع «الشربتلى» ، وفرق بين من يمتلك مطبعة اسهم فى رأس مالها ومعه شركاء .. ينتظرون منه ربحا ، وبين رجل ثرى مثل السيد حسن شربتلى ، يشترى مطبعة .. فقط لتكون ملكا له ، ويعين فيها من يتلاءم معه ، ويتركها تعمل .. ولو بمصروفاتها ، لايهتم كثيرا بالربح ، لانه لايضيف اليه أية اضافة جديدة ، ولاقيمتها تُنقص من ماله الوفير ، لله مزيد الثناء الجميل ، فهو سبحانه المعطى والممسك .

تحادثنا مع الاخ محمود رضا فى اخراج الصحيفة ، وقلنا : اننا لا علم لنا فى هذا الفن ، فقال : ان السيد «سلامة حمودة» عامل فنى فى «الجمع» وهو من مدرسة «اخبار اليوم» المصرية ، يذهب اليكم فى مكتب الجريدة .. ليجرى الاخراج . وطبع من «سلخ» البروفات نسختان ، واحدة نصحح عليها المقالات والاخرى تلصق بغراء .. على صفحات من حجم الصحيفة ، لتكون «الماكيت»

جاءنا الاخ سلامة حمودة فى مكتبنا ، وجلسنا بجانبه .. وكلنا عيون وعقل ، ننظر كيف يصنع ، فرأيناه يضع المقال الرئيسى .. فى رأس الصفحة ، ويكمل البقية باعلانات وزوايا ، ونحن نتابع حركاته .. فى قص «السلخ» ولصقها بالغراء على صفحة الماكيت ، حتى اتم عملية الصفحات الداخلية الست ، ولم يبق .. الا الصفحتان الاولى والاخيرة ، فهما آخر شىء فى عملية الاخراج .

تابعنا العملية من بدايتها الى نهايتها ، محد سعيد وانا ، وقلنا لانفسنا : المسألة بسيطة وسهلة ، وفعلا ، حينما قدمنا مواد العدد الثانى ، اخبرنا الاخ سلامة .. انه سيأتى الينا ليجرى عملية الاخراج من جديد ، فقلنا له شكرا جزيلا ، اننا سنحاول بأنفسنا .. اداء هذه المهمة ، فعجب من جرأتنا واقدامنا على شىء جديد . ليس لنا فيه خبرة . قلنا : سوف نجرب ، وأنت تعدل لنا اخطاءنا ، واقدمنا على هذا العمل .. محمد سعيد وانا ، نأخذ نسختين من «بروفات» المواد ، واحدة للتصحيح ، والاخرى للماكيت ، وافلحنا بفضل الله فى المهمة .. لاننا عشاق لهذا العمل ومحبون له حتى العظم . نجلس محمد سعيد وانا .. نقص ونلصق ، ثم انا اصحح بمفردى الموضوعات لثمانى صفحات ، واتقنا العمل .. من حبنا له وغرامنا به .

✓ صدر العدد الاول من الاضواء ، يوم الثلاثاء ٦/١١/١٣٧٦هـ فلم تسعنا الارض .. من الفرحة والنجح الذى كان بتوفيق الله عز وجل ، فالفضل لخالقنا ، فهو

سبحانه وتعالى اعاننا ، ثم عزيمتنا واصرارنا .. على الوصول الى طموحاتنا . وكان لصدور العدد الاول .. صدى فى الاوساط الصحافية والادبية ، عرفنا به ، اذ ليس وراءنا سوى توفيق الله وعونه ، ثم همة الشباب وفورته وقوته وجده .. ونكران الذات ، والعمل الناجح .. لايكون الا بالتضحية التى تذلل الصعاب ، وكان شعارى قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال الا لصابر

كنا صابرين ، ولست اضفى على نفسى هالة .. من الفخر ، حين اقول : اننى اكثر صبرا وتحملا وتضحية . ذلك مايتطلبه العمل الجاد ، والا فان الفشل اقرب كثيرا من النجح . فالذى يعمل ليس امامه .. سوى سبيلين لا ثالث لهما ، اما الظفر واما الاخفاق ، وان وراء الظفر .. عون الله عز وجل ، ووراء الاخفاق .. تقصير الانسان او اخطاؤه وسوء عمله .

ooo

إنطلاقة المسيرة

اخذت الاضواء .. تشق طريقهـا ، تتلمس الضعف ، فتسلط عليه اشعاعاتها ، وتنـظر الى الاهداف القـوية .. فتشيد بها وتباركها ، أخذت تمارس النقد .. بشيء من قوة وعنف ، لان اخطاء البشر .. لاتقوم الا بتسليط الاضواء عليها وكشفها والتنبيه اليها ، وممارسة النقد الهادف للحد من الاخطاء ، والا استمرأت المضى فى ممارستها الخاطئة .
وبلد بغير صحافة قوية .. تتراكم فيه الاخطاء ، وتتداح على مساحته الفوضى ، ويكثر فيه الباطل ، ويضيع فيه الحق .. ويشيع فيه الشر ، ويضمر فيه الخـير . وانا اتصـور ان الصحافة المتزنة .. التى تعرف رسالتها ومسؤولياتها ، ينبغى ان تمـارس روح ومضمـون الحـديث النبـوى الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه ، والصحافة .. لاينسحب عليها الشطر الاخير من الحديث ، وانما هى لسان حال الامة وضميرها وقلبها .

غير أن الاتزان شيء اساسى ، وقد لايكون جليا امـام الشبـاب ، فالقـوة تعلم الصراع .. كمـا يقال . اخـذت صحيفة الاضواء طريقها ، تكتب بنشاط وحدة ، غير ان قلم

الرقيب يخفف كثيرا من الحدة التى تمارسها ، بما تحمله المقالات .. التى تصل اليهـا من الكاتبـين ، واراء القراء ونقداتهم .. لكثير من الاوضاع الخاطئة .

وانـا اعتقد انـه لايعالج التسيب سـوى القوة ، لان الانسان اذا بعدت عنه الرقابـة وأمن العقاب .. انسـاح يمارس الخطأ ، لايبالى بنتائجه ، المهم .. ان يرضى غروره واطماعه ومتطلباته ، على نحو رأى ابى فراس :

« اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر » . ولابد لهذا التسيب من قمع وتحد ليقف ، ولئلا يصبح شرا وعدوى وامراضا .. يصعب علاجها . النقد اذن والتصدى للاخطاء بشجاعة وقوة ، دور .. ينبغى ان تنهض به الصحافة ، تنبه وتحذر اولا ، ثم تكشف العبث .. لتعين السلطات التنفيذية ذات الاختصاص .. فى الحفاظ على ان تسير حياة الناس وفق منهاج سليم صحيح ، لاسيما فى بلد يحكم بشريعة الله ، دستورا ومنهاجا وسلوكا وحكما .

وهذا النقد الجرىء ، لايعجب المنتفعين ، لانهم يرون فيه خطرا عليهم وتضييقا ويعد بعض الخائبين المتخلفين ، الذين لايحسنون الا العبث والنفاق .. بما يقولون ويكتبون ان الجرأة التى كنا نكتب بها شىء عارض فى نفوسنا ، أو هو اندفاع وتهور ، وعدم تحسب للعـواقب أو انه عن سـوء قصد .. او لاسمح الله حقد على الآخرين ، الى غير ذلك .. من هذه العبثية الصبيانية السخيفة الجاهلة ، والكارهة لاى نجح يصيب غيرها . الذين يعرفون اقدار انفسهم .. لايحقدون على احد ، ولايجنحون الى سوء القصد ، والذين

يحملون امانة الرسالة .. التى يؤدونهـا .. لايندفعـون ، ولكنهم جادون ، وحق للجد ان يتسم به منهاجهم ، وان يظهر فى تعبيرهم وممارسـاتهم لدورهم ، لانهم لم يجدوا سبيلا غيره ، فاذا كان التنبيه والتحذيـر .. لايجديـان ، فماذا بقى ؟ الكشف عن العبث والممارسات الخاطئـة .. والانتهازية ، والكسب غير الحلال واستغلال النفوذ ، الى غير ذلك من امراض المجتمع العربى وغير العربى ، فهى امـراض بشر ، وحق لهـا ان تعـالج بمختلف السبـل ، والصحـافة احـد وسائـل العـلاج ، لهـذه الادواء غـير العضوية ، والحديث يطول فى هذا الموضوع .. للذى يريد ان يتابعه أو يكتب فيه .

مـاهو دور الصحـافة اذن .. اذا لم تكشف الا عيب العابثين ، كمـرفق مساعـد للدولة وعيون لهـا .. يكشف الوصـوليين ، والذين يمـارسون فى الخفـاء الاستغـلال والانتهازية والعبث وشتى ضروب الاستغلال ، غير مبالين لان ضمائرهم مـاتت .. فلا يسمعـون الا رنين الذهب ، ولايرون الا اكداس أوراق النقد .. من حلال ومن حرام ، ولايهمهم شىء سوى ذلك ؟

مـاهو دور الصحـافـة .. اذا لم تعـالج امثـال هـذه الامراض ؟ أتبقى تربت عـلى الاكتاف .. وتبـارك العبث والاخطاء الفادحة والاستغلال والانتهازية والفوضى ؟ إن هـذا هو منـطق المنـافقـين الجبنـاء المـرتـزقـة ، الذين لايستـطيعـون العيش الا فى الظلام ، لان النـور يعشى

ابصـارهم ويحرمهم الرؤيـة فى دهاليـز المرض والتلخف والجهل .

كانت رسالة الاضواء .. غير المكتوبة بيننا ، ان نبحث عن الاخطاء وندل عليهـا ، ليتداركهـا المسؤولون ، وان نكون امناء .. فى الرسالة التى نحملها ، وتحملنا اعباءها وهمومها ، ويوم نصبح غير قادرين عليها .. نتخلى عنها . وهذه الجدية اقلقت المنتفعين .. من الضعفاء ، لم يطيقوا وخـز الكلمات .. والاشعاعات الباهرة التى تتابع تسلطهم وضعف نفوسهم حتى ان احدهم وقف مرة امام مكتبـة الاصفهانى[8] حيث تباع الاضواء .. رافعا صوته منبها للناس ، ولايدرى انه قد خدمنا بما صنع ، قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقرأ «الضوضاء» . لو كانت الاضواء تنشر باطلا .. لرد عليها ولما استطاعت ان تمارى فيه ، وحينئذ يرفضها القارىء ، ولكنها جاءت فى وقت .. كانت البلاد احوج ماتكون الى صحافـة قويـة جادة ، لا صحافة هزيلة .. يقتات صاحبها الفتـات ، والكذب عـلى الناس .. وعلى التاريخ .

انـا لا أؤرخ للصحـافـة ،حتى أتعـرض للمسـاوىء والمحاسن ، ولكنى أكتب عن «تجربة» مع الصحافة التى كانت لى .. أو شاركت فيها . غير أن الشىء بالشىء يذكر . فقد لايرضى القـارىء سرد المتـاعب والمعانـاة ، والنجح والفشل .. ومالاقيت ، وماكسبت أو خسرت . ربما لايرضى

(٨) بجانب مسجد عكاش من الشرق .. فى السوق الكبير بجدة .

القارىء هذا ، وانما هو يتطلع .. الى جوانب أخرى . فقد يسأل سؤالا عرضيا : لماذا انشأتم الاضــواء أو أنشأت انت بمفردك «الرائد» ؟ ، ماهى اهدافكم من وراء ذلك ، وماهو هدفك أنت ؟ اذا قلنا ان الأدب وحده هو الهدف ، فانا نكذب ، ولكنا إذا قلنا إننا نريد خدمة بلادنا فلسنـا بعيدين عن الحقيقة ، واذا قلنا إننا نريد بجانب ذلك شيئا من شهرة .. لانها شىء من طموحنا ، تعوضنا عما لانملك من علم أو جاه أو مال ، فأنا كذك صادقون .

انا أرى من معارفى المحدودة .. ان الانسان صــاحب رسالة فى الحياة ، وأولى خصائص هذه الرســالة توحيـد خالقه وعبادته ، وان يسهم فى تعمير الكون ، ولايعمر الكون بــالخطأ ، وانمــا بالعمــل الجاد الصــادق ، وهو مــأمور بــالاستقامــة والتقوى .. والقــوة ودفع الظلم ، واحقــاق الحق .. واقامة العـدل . فاذا قصر الانســان فى شىء من ذلك .. تحمل تبعة تقصيره ، وحوسب على مافرط واقترف . ومــطلوب منه ان يعمــل الصالحــات ، ليحى حياة طيبــة وليجزيه ربه بأحسن ماكان يعمل . ورسول الهدى صلى الله عليــه وسلم ، نهى أن يكون الانســان امعة ، يقــول اذا احسن الناس احسنت وان اساءوا اسأت . والله سبحانه وتعــالى يقول فى حـديث قدسى : انى حـرمت الظلم عــلى نفسى .. فلا تظالموا .

اذن الانسان عليه مسؤوليات جسام فى الكبد الذى خلق فيه ، واذا تخلى عنها فهو مقصر ، وهو بعد ذلك مؤاخذ . أنا لا أقول انه يصلح الكون .. وعليه ان يفعل اذا استطاع ،

ولكن عليه ان يعمل وان يحسن صنعا ، وان يذكّر غيره ، ويتذكر هو ، وان يصلح .. وان ينصح . لقد قدم القرآن الكريم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان .. فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. يقود إلى الايمان . واذا شاع الخير وغاب الشر ، واصبحت الحياة سعيدة ، ينعم فيها المرء بالامن والامان ، اذ لا اعتداء ولا شرور ولا انحراف ، وانما هى استقامة ، والاستقامة طريق الى كل خير ، حينئذ يتفكر الانسان فى خلق السماوات والارض . ويتأمل .. ليقوده تفكيره وتأمله الى الايمان بالله ، وهو اى الانسان قد جاءته رسالة السماء .. هادية ، فكل الرسل جاءوا ليقولوا للناس : اعبدوا الله ولاتشركوا بـه شيئا ، ويعلنون لقومهم بأنهم لايريدون اجرا على هذا النصح ، ذلك ان اجرهم على رب العالمين . والرسـل .. لايكرهـون الناس حتى يكونوا مؤمنين ، والله سبحانه وتعالى قال لخاتم رسله صلى الله عليه وسلم : « لست عليهم بمسيطر» وقال جل وعلا «لا اكراه فى الدين» .

والمؤمن مطالب .. ان يـدعو الى سبيـل ربه بـالحكمة والموعظة الحسنة ، وان يجادل الناس بالتى هى احسن . وفى منطق القوة .. قد يكون الهدم سبيلا الى البناء ، وانا موقن : ان الرفق مادخل شيئا الا زانه ، وان العنف مادخل شيئا الا شانه . ولعل العنف آخر الطب .. مثل الكى ، ولولا العنف فى مواقفه لفسدت الارض . نجد هذا فى التشريع السماوى .. فى مسائـل العقاب : السن بـالسن ، والعين بالعين والاذن بالاذن ، والعبد بالعبد والحر بالحر والجروح

قصـاص ، وكذلك الحـال فى السـرقـة والقتـل ومختلف الجـرائم .. التى تزلزل كيـان المجتمـع ، اذا لم تعـالج بـالردع .. دبت الفوضى وهلك الحـرث والنسـل ، واعلن خالقنا بأنه لايحب الفساد ، ولا تستقيم الحياة الا بالعدل ، والعـدل ميزان الحق .. وميـراث الاستقامـة . والطبيعة البشرية .. مركبة من خـير وشر ، يقوى الخـير احيانـا ، ويطغى الشر احيانا اخرى ، فنجد الظلم ينتشر ، والباطل والحق .. فى صراع ازلى ، ولكن الباطل زهوق . واذا كان للباطل جولة .. فان للحق الف جولة ، وانصـار الحق .. مجاهدون ، واصحـاب الباطل يعملون فى الظلام والدس والكيد ، فالبـاطل غبن ، والحق انصاف وعـدل ، والحق اسم الله عز وجل . والجهاد .. لايقوى عليه الا الصابرون الصادقون المؤمنون حقا برسالة السماء ، فهى اذا شاعت فى الارض ، عاش الناس فى سلام وأمن وطمأنينـة ودعة ورضا ، حيث يشيع الخير والمعروف والعدل .. بين الناس .

هذه الخواطر والصور .. سقتها لا دلل على ان الاصلاح وظيفة صعبة ، لاينهض بها الا اولو العزم .. من الناس ، والرسل كان منهم اولو عزم ، وكذلك قال الله لخاتم رسله .. عليه الصلاة والسلام : « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل » . فالنهوض بأعباء الرسالة ، والنهوض برسالة الاصلاح اعباء ثقيلة ، والحق ثقيل على النفوس ، ولا أدل على ذلك .. من قول رسولنا صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات» . ولو ان الناس التزموا بـالتوجيـه النبوى الكـريم : «قل آمنت بـالله ثم

استقم» .. لصلح امرهم ، قال تعالى : «وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً» .

قال ابو ذر رضى الله عنه : قول الحق لم يدع لى صديقا ، والذى يلتزم بهذا المسلك .. عليه ان يتحمل تبعته واعراض متاعبه وهمومه ، واذا آثر العافية ، يصبح دوره ثانويا ، وربما لايكون له اثر ولا تأثير . ونحن فى الاضواء .. ركنا الى الصعب ، لانا لسنا حراصا على كرسى هـذه الوسيلة التى منحت لنا ، اذا لم نستطع ان نحقق الهـدف ، وهو اعلان كلمة الحق .. من أجل الاصلاح قدر مانستطيع ، فلا غرابة ان يكثر خصومنا .. ويقل اصدقـاؤنا ، الذين وقفوا بجانبنا ، يؤازروننا .. وهم مع ذلك مشفقون علينا ، من هجمات شرسة ، تباغتنا .. من حيث ندرى ولاندرى ، وكنا لانأبه لذلك ، فالتضحية سبيل الاقـوياء الجـادين ، ولانزعم لانفسنا اننا أقوياء ، ولكنا .. نستطيع أن نقول فى اعتزاز اننا جادون ، لانا نقرأ فى تراثنا ان امتنا العربية الاسـلامية .. أمـة جـادة ، ولولا هـذا الجـد ، مـابنت امجادها ، وملأت الارض عدلا ومجدا وايثارا ، ودانت لها الدنيا ، بشجاعتها وسماحتها وجودها ، ومكارم اخـلاق، ذلك ان مكارم الاخلاق طبيعة فيها متوارثة ، ولا أدل على ذلك .. من قول رسولنا صلى الله عليه وسلم : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » . الاخلاق كانت اذن موجودة فى امتنا قبل الاسلام ، ويؤكد هذا .. ما أعلنته ابنة حاتم الطائى حين اسـرت .. وجىء بهـا الى النبى صـلى الله عليـه وسلم ، فقالت .. مامعنـاه : ان اباهـا كان يقـرى الضيف ويفك

العـانى ويغيث الملهوف ويحمى الجـار الخ . فقال عليـه السلام : دعوها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق .

مضت صحيفتنا الاضواء .. تشق طريقهـا ، تخطىء وتصيـب ، ومن طبـع البشر هـذه السمـات ، والذين يـخـطئـون .. هم الذيـن يعـملون مـن البشر ، والذين لايخطئون هم الاموات ، لانهم لايعملون .

كنت اختلف مـع صـديقى وزميـلى محمـد سعـيد باعشن .. فى بعض ماينشر ، فانا لست هيابا ، ولكنى اميل الى الاتزان ، اما هو .. فكان احيـانا يشـط ، فينشر مالا اراه ، واذا كان هو رئيس التحرير ، فانا شريكه .. اتحمل معه الغرم ، كما نقتسم الغنم ، إن صح ان فى الصحافة غنما ، كنا نختلف ولكنا لانختصم . ولعل شطحات زميلى .. هى التى اودت بصحيفة الاضواء الى التوقف .. قبل ان تتم عامها الثانى ، وسأذكر ذلك ان شاء الله فى الصفحات التالية ، او حين تأتى المناسبة .. فى الحديث عن احتجاب الاضواء .

أحـد تـلك العـثـرات ، تـوقـف الاضـواء .. مـن ١٢/٣/١٣٧٧ الى ١٥/٤ من العام نفسه ، مدة اكثر من شهـر .. اثر مقـال كتبه محمـد امين يحيى عن «المـولد النبوى» رأى فيه علماؤنا .. مخالفة لما ينبغى ان يكون عليه المؤمن تلقاء رسالة سيد الاولين والآخرين ، وهى ان حب صاحب الرسالة .. اتباع ما ارسل به وأمر ، اما الابتداع فلا محل له فى نفس المؤمن الصادق . والاحتفال بالمـولد

النبـوى .. أحد الأمـور التى لاتقدم ولاتـؤخر ، لاتنفـع المحتفى ولا المحتفى به .

اذكر .. حين صدر الامر بـايقاف الصحيفـة ، ذهبت ومحمد سعيد الى الطائف ، لمقابلة جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز ، وكان يومئذ وليا للعهد ، فشكونا له حـالنا ، فقال لنا : اننى لا أتساهل فى ثلاثة : كيـان الدين وكيان الدولة وكيان الشعب ، وفيما عدا ذلك .. يمكن ان نتفاهم ونتناقش ، ثم قال : ان الصحافة تجارة ، والتجارة قابلة للربح وللخسارة . فاعتبروا توقفكم فى جانب الخسـارة . نحن لانعرف مدة التوقف ، لذلك قلنا لسمو الامير : هـل ننتظر هنا ، وكان فى الطائف ؟ قال : لا ، عودوا الى بلدكم وماسيصدر سيبلغ اليكم . وكان التوقف كما اشرت ثلاثة وثلاثين يوما . ثم اذن لنا بالصدور مرة اخرى . وبالطبع .. سجل فى ملفنا هذا المأخذ .

ثم كانت المعركة الكبرى مع شركة «الارامكو» وهـذه الشركة دأبت على استضافة الرجال الكبار والصحافيين .. ليقفوا على منشآتها واستخـراج البترول وتكـريره .. فى المنطقة الشرقية من البلاد ، ولعل الارامكو ينطبق عليها المثل العربى (على اهلها جنت بـراقش) ، فعادت عليهـا زيارتنا بكثير من المتاعب وهى السبب فيها ، لانها حرمت اربعة عشر الف مواطن ، او نحو هذا العدد ، من حقوق مشروعة وقد استغلت أرامكو مركزهـا فأعـطت الموظف الامريكى الأولوية وتـركت المواطن يـطالب بحقه ولا من مجيب . والعامل العادى فى اوروبا مثلا ، له مستواه المميز

وحياته .. التى ليس فيهـا حرمـان من شىء ، فهو يعيش حياته كغيره ، وله حقوق كمـا ان عليه واجبـات ، علاج وتـأمين اجتمـاعى ، منـه التـأمـين الصحى ، وحقـوق الشيخوخة والعجز عن العمل ، ومرتب شهرى حين يبلغ الستن أو الخامسة والستين .

اما الاربعة عشر الف عامل السعودى ، فمحرومون من كل الحقوق . يلتحق احدهم بالعمل وهو شاب فتى قوى ، حتى اذا بلغ السن التى لايستـطيع فيهـا ان يعمل وان ينتج .. استغنى عنه ، وخرج الى الشارع لايملك شيئا ، لا قيمة له ولا ضمان له .. بل ولا حق له على الاطلاق .

هذا ما أثـار حفيظتنـا . وبدأنـا نطالب الارامكـو ان تنصف العامل المواطن ، مجرد مطالبة ، وكانت الارامكو ترد احيانا ردودا .. لاتحقق شيئا ، بـل فيها الكثـير من المغالطة والالتواء ، حين تعلن انها ترعى العامل وتعامله المعاملة الكريمة ، وكانت الحقيقـة غير ذلك . وصلنـا الى الحقائق التى تدمغ الارامكو ، وحاججناها بها مـواجهة بالنشر فى الاضواء ، فلم تستطع المواجهة ، وظلت الكتابة عن الارامكـو وتعسفها مـع العامـل المواطن هـاجسنا ، وامتدت وقتا غير قصير ومن آراد الوقـوف عليها ، فـانه واجدها فى اعداد الاضواء [٩] .

---

(٩) راجع الاعداد : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ .

وفقــدت الارامكو الامل فى صمتنا ، وكانت الحكومة قد تركت لنا فرصة الكتـابة فى هـذا الموضــوع دون وجل ، ولعلها .. كانت تريد للعامل المواطن ان ينال بعض الحق ، وان لم يوجد نظام عمل أو تأمينات اجتماعية تكفل له حقه الشرعى أو المشروع .

وفى نهاية المطاف ، جاء الى مكتبنا المتواضع جدا! .. فى عمائر البنك الاهلى التجارى .. فى الكيلو واحد من طريق مكة ، حيث أصبح مقر الاضواء . جاء الينا المستمر «بتلر» مدير عام العلاقات العامة فى الارامكو ، يصحبه الاستاذ (شكيب الاموى) أحد كبار موظفى الارامكو فى جدة . اما المستر بتلر .. فهو قادم من الظهران . جاءا زائرين ، بل ان السيــد بتــلر .. جــاء مفــاوضــا لهــذيــن الشــابــين العنيـدين ..اللذين تتقد فى نفسيهما الوطنيـة والعنف . فتصديا للارامكو فى «حرب» لاتهدأ بهذه المجابهة القوية ، والحجج الدامغة .. والموقف الصلب ، والتصادم مع شركة كبرى ، وراءها شركات خمس ، تستطيع شراءنا غير ان الاحرار لايشترون الا بالمعروف ، ومن المعروف الحق ورده الى اهله ، ولم تصنع هذا الارامكو . ولاتريد ان ترد شيئا من حق ، ولاتهــون عليها كبــرياؤهــا ان تخضع لاقــلام شباب ، تدفعــه وطنية الى هــذه الملاحــاة والمطالبــة «غير النظامية» .. فى عرفها .

هذه التصورات .. كانت فى نفوسنا ونحن ننشر ونكتب عن الارامكو ، فهى وان كانت تنقب عن الثروة البترولية وتستخــرج الزيت ، تــظل الحــريصــة عــلى مصــالحهــا

ومكاسبها .. من كل الوجود ، وان كان على حساب الاخرين . وان وجه الولايات المتحدة فى تاريخها الطويل معروف . بسرقة الافارقة واذلالهم ، وحملهم فى سفن شراعية الى بلادها .. مسلسلين ، مهينين جياعا ، ومن مات من العذاب والمرض .. فى الرحلة الطويلة ، يرمى فى البحر ، وليس ادل على ذلك من كتاب الجذور لـ «الكس هيلى» .

وحرب الابادة التى مارستها الولايات المتحدة فى «فيتنام» صورة صادقة لحضارة اكبر دولة فى الارض ، ولكن شعب فيتنام لقن امريكا المتعجرفة درسا لن تنساه ، ولا تنساه اجيالها .. عبر التاريخ ، لانه عار على امة حضارية .. غزو شعوب فقيرة مطحونة ، من اجل الاستعلاء عليها والايغال فى اذلالها واستعبادها .. والهيمنة عليها . ولكن القوة فى النفوس وليست فى العتاد وحده . وهكذا كانت حال فيتنام ، كبدت امريكا خسائر فادحة فى المعدات والارواح ، واذا كانت المعدات لاتهم امريكا ، فان شبابها الذى قتل فى هذه المعركة الخاسرة ، وصمة عار فى جبينها ، لانهم ذهبوا الى الجحيم بغير داع ، سوى عجرفة دولتهم وحبها السيطرة واذلال الشعوب ، وياليتها انتصرت .. حتى يقال ان اهداف السيطرة تحققت ، ولكنها هزمت .. شر هزيمة ، وارغمتها فيتنام .. ان تجلس امامها فى باريس على مائدة المفاوضات ، جلوس الند الى الند ، وقبلت امريكا صاغرة .. شروط الفيتناميين ، وهو الانسحاب من اراضيهم ، وربما نالوا شيئا من تعويض .. عن التخريب والتدمير .

وامريكا فى صورها البشعة لاتخفى على احد ، فهاهى تناصر «اسرائيل» الحيزبون فى ارض العرب فى فلسطين ، منذ ثمان وثلاثين سنة ، فهل هناك اكبر من هذا الظلم .. من دولة تدعى انها تحمى حقوق الانسان والديموقراطية والحق والعدالة ؟

ولكن امتنا خليقة بهذا الذل ، لانها امة ممزقة ، وقد امرت ان تعتصم بحبل الله جميعا ولاتفترق ، ولكنها جنحت أو اعرضت عن امر ربها .. فاذاقها الله الهون والذل .. وستبقى كذلك .. الى ان تفىء الى امر الله . والى ان تجتمع على كلمة سواء . حين تعود الى الله ، لينصرها ، ولنكون الاعلون .. كما سمى الله المؤمنين . فهل نحن اعلون اليوم ؟ كلا والف كلا . ذلك اننا نسينا خالقنا .. فانسانا انفسنا ، وحق علينا الهوان والتفرق ، والتمزق والتناحر ، واصبح بأسنا بيننا شديدا ، فلا حول ولا قوة الا بالله . ولن ينتصر العرب الا اذا رجعوا الى الله .. حتى لو ظلوا الف سنة وسنة .. ولعلهم قد رضوا بالذل ، فحق عليهم الهزائم ، ولو رضوا بذلهم الى خالقهم ، فهم بذلك أولى ، وهو جل شأنه قد ذلت له هامات الجبابرة ، والذل لله عزة ورفعة وسمو ونصر ، لانه الخالق الرازق القوى العزيز . لو فعلوا ذلك لكان خيرا لهم واشد تثبيتا . ولكنهم اذلهم الشيطان فاطاعوه ويومئذ يتبرأ منهم ويقول لهم : « وماكان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما اشركتمونى من قبل » .

هكذا نحن .. حتى نعود ونفر الى الله ، اذا أردنا أن تكون لنا الغلبة والعزة . الامر بأيدينا وارادتنا واستعدادنا ، فهل نحن فاعلون ؟ . اللهم اعنا على انفسنا حتى لانضل ، واعنا على اعدائنا حتى لانذل ، والهمنا الرشد والرشاد ، لنعود الى صراطك المستقيم ، انك على كل شيء قدير .

أخذ المستر «بتلر» يحاورنا عن الهدف من الحملة على الارامكو ، وقلنا له رأينا .. الذى اعلناه على صفحات الاضواء ، وهو انصاف العامل المواطن واعطاؤه حقه ، وليس لنا على الارامكو سوى ذلك ، فنحن لسنا تجارا ولا منقبين فى سوق البترول ، ليس لنا مزاحمة فى اختصاصات ارامكو ، ولانتدخل فى سياسة اتفاقيتها مع الحكومة ، لان الحكومة اقدر منا ، وهى صاحبة الحق فى منح الامتياز والتعامل .. الذى ابرم من خلال عقود . ليس من اختصاصنا شيء من هذا ، ولانتدخل فيه ، وانما هدفنا ينحصر .. فيما اعلناه وكتبناه ، عن حقوق المواطن العامل مع الارامكو .

حاور وداور المستر بتلر كثيرا .. لمدة اربعين دقيقة ، معلنا ان عمل الشركة وفق عقد مع الدولة ، وان العامل المواطن ينال الحق .. الذى يعطيه له النظام القائم فى البلاد ، وان الامريكى يتمتع وفق نظام بلاده ، وهذا ما رفضناه جملة وتفصيلا .

وجد المستر بتلر منا اصرارا على موقفنا .. لانتزحزح عنه قيد انملة .. كما يقال ، ويئس من موقفنا المتصلب

الجاد .. الحاد ، فأخذ يحورنا على جانب آخر ، هو جانب الاغـراء المادى .. الذى يسيـل لعاب الطامعـين ، الذين تضعف نفوسهم امامه ، ولسنا نحن من هؤلاء ، فلم يكن لنا مطمع فى غنى او فى مال غير شريف . نحن نؤدى رسالة صحافية ، نلتمس فيها الصدق والاخلاص ، والله سبحانه وتعالى .. شهيد على مافى نفوسنا ، من اخلاصنا لوطننـا الغـالى ، ورسالتنـا .. التى نعدهـا ساميـة ، حين تتسم بالصدق والاخـلاص ، وشرف المهنـة ، ولن يكون نجـح لاحد .. الا اذا كان صادقا ، مـع نفسه وربـه وقومـه ، فالانسان المزيف .. وان نجح بعض الوقت ، الا انه يفشل آخر الامر ، ويفتضح امره ، ويدركه البوار ، لانه جنح .. الى الادنى ، بدل الذى هو خير . فالعمـل رسالة وامـانة واخلاص .. والا بطل وضل صاحبه وغوى .

سألنا مستر بتلر : اين تطبعون جريدتكم ؟ قلنا عنـد «الاصفهانى» وكنا قد انتقلنا اليـه .. من مطابـع السيد الشربتلى . فقال :

لماذا لاتشترون مطابع .. وهـو يعلم اننا لانملك المـال الذى يمكننا من امتلاك مطابع ؟ فقلنا له : ليس عندنا نقود تمكننا من ذلك ، فنحن موظفون ، ودخل الجريدة الاعلانى والاشتراكات .. ندفع منه او اكثره للطباعة ومصروفاتنا الاخرى ، واذا فاضت ريالات .. شرينا بها حفنة من بنزين لسياراتنا التى نستعملها فى تنقلاتنا . فقال : ان الارامكو مستعدة .. أن تسهم معكم فى اقامة مطابع . فقلنا له : لا ، قال لماذا ؟ قلنا : لان الصحافة على «كف عفريت» .. وماذا

نصنع بالالات والمبنى .. يــوم تعطل صحيفتنــا ؟ ، نحن نطبع بالاجرة ، ويوم تتعطل الصحيفة ، نضع اقلامنا فى جيوبنا .. ونذهب لبيع البقدونس فى «باب مكة» فضحك .. وضحك معه الاستاذ شكيب الاموى ، من هذا المنطق .. غــير السوى فى رأيهمــا ، اما فى رأينــا ، فكان هــو الحق والصدق .

تــركنا مستــر بتلر والاخ شكيب الامــوى .. دون ان يحصلا على اية نتيجة من هذا التفاوض .. غير المتكافىء . فحجمنا بالقياس الى الارامكو صفر ، اذا قيس بالجانب المادى ، ولكننا عند انفسنا فيما نرى اقــوى منها ، لانــا نلتزم الصدق والشرف فى التعامل ، اما هي .. فهى تملك المال والقدرة على شراء النفــوس الضعاف ، ولسنــا من اولئك .. والحمد لله .

ونشرنا فى العدد .. الذى صدر بعد زيارة المستر بتلر مباشرة تحت عنوان «مانشيت» احمر : ارامكو تساوم .. وهكذا قطعنا خط الرجعة بيننا وبينها ، فلاحظ للأرامكو باغرائنا ، ولاحظ لنا ولا مطمــع .. فى مالهــا ، لانه غــاد ورائح ، كما تعلمنا من تراثنا ، وانما الذى يبقى .. هــو الذكر الحسن ومكارم الاخلاق والسمعة الطيبة ، التى هى رأس مال الشرفاء والمخلصين .. فى دعوتهم ورسالتهم فى الحياة .

مضينا فى اداء رسالتنــا جادين ، نخــطىء ونصيب ، ننــدفــع ونتــراجــع ، حتى كــانت النهــايــة ، فى يــوم ٢٠/٥/١٣٧٨هــ ، اثر صدور العدد ٨٩/ ٩٠ .

وهكذا .. وصلنا الى اخر المطاف فى امتلاكنا لامتياز صحيفة الاضواء .. التى غربت شمسها ، فاستراحت الارامكو واستراح الكثيرون .. الذين كان يقلقهم ماتنشره من نقدات ونبش للاخطاء وتسليط اضوائها .. لمعالجة المسارات الخاطئة فى شتى ممارسات الحياة ، او فى مسار الناس فيها . نحن ندرك .. ان لكل بداية نهاية ، وهى نهاية محتومة .. لا مفر منها ، علينا ان نقبلها راضين او كارهين ، هكذا علمتنا الحياة ، أن يصيب ويخطىء فيها هم العاملون ، ذلك ان لكل اجل كتابا .

○ ○ ○

متاعب الصحافة

صحافتنا ، ظلت الى ١٣٧٩/٧/٢٤هـ خاضعة للرقابة ، فلا ينشر موضوع فيها الا اذا اجيز من « الرقيب » . ثم منح جلالة الملك فيصل ولى العهد يومئذ الثقة لاصحاب الصحف ، وقال كلمة فى اجتماع رؤساء التحرير .. الذين اجتمعوا به ومعهم نائب مدير المطبوعات .. الاستاذ « حسن أشعرى » فى مكتب سموه بالرياض ، قال لحسن اشعرى : ارفعوا الرقابة عن الصحف ، فهؤلاء مواطنون .. وهم أعلم بمصلحة بلادهم .

كانت فرحتنا كبيرة .. بهذه الثقة ، رغم أنها تحملنا المسؤولية كاملة . وانا اؤكد ، ان الاخطاء التى تقع .. تكون بحسن نية ، فالمواطن المخلص .. حريص على سمعته وسمعة بلاده ، وهو لايريد ان يقع فى متاعب التحقيق والمساءلة .. والاتهام بالتقصير اذ نشر موضوعا ، وقال رئيس التحرير (مثلا) .. انه لم يقرأه ، ذلك ان مسؤوليته تحتم عليه قراءة .. كل ماينشر فى صحيفته ، أو يكل ذلك الى من معه .. ممن يثق فى حرصه وكفاءته . ورئيس التحرير ، هو المسؤول الاول والاخير ويليه الكاتب . انها مسؤولية

جسيمة . قد يكون رئيس التحرير وحده .. هو الذى يقرأ كل شىء قبل نشره ،وليس معه من يعينه ، وانا كنت ايام «الرائد» .. استعين بالأخ «عبدالعزيز فرشوطى» واطلب اليه .. ان يضع «خطوطا» ، تحت الجمل والفقرات التى يشك فيها .. لاطالعها ، فاما ان اعدل فيها ، أو اشطبها ، أو لا أرى فيها بأسا .. فأقول له : ليس فيها شىء يدعو الى الحذر والتخوف .

وعملية النشر .. مسألة شجاعة فى اتزان وادراك لما يراد . ومالايراد .. من خلال الممارسات ، أصبحنا ندرك ماهو صحيح .. وماهو خطأ . واذا كان ماينشر فى أى عدد موضوع أو موضوعات قوية وشجاعة ، نظل طوال الاسبوع .. نتوجس خيفة .

كان لنا رابط صلة مع مدير عام المطبوعات .. الاستاذ «حمزة محمد بوقرى» يرحمه الله ، ونائبه الاستاذ حسن أشعرى ، والفضل فيها بعد الله .. للصديق الوفى الكريم ، أخى الاستاذ عبدالعزيز الرفاعى ، وأنا مدين لهذا الصديق بكثير من الفضل والرعاية والتوجيه ، فهو بحكم مركزه فى رئاسة مجلس الوزراء ، وبحكم اتزانه البارز ، كثير النصح والتوجيه ، ينبهنى اذا رأى شيئا مما نشر .. قد يحسب علينا ، ويلطف الجو مع الاخوة فى ادارة المطبوعات ، فهو أثير عندهم ، يقبلون منه الاعتذار عنا ومنا ، وأن الخطأ .. مرده حسن النية ، فيقبلون منه ومنا ذلك ، مالم يكن جاءهم تنبيه .. أوتوجيه باتخاذ اجراء ما ، نتيجة نشر مقال أوخبر .. لايتفقان ورأى الدولة ، على نحو

ما ، فعندئذ .. نسأل ، ويقـدم التحقيق الى أولى الامر ، وتقول ادارة المطبوعات وجهة نظرها فى الموضـــوع الذى اثـير حـوله تحقيق ، وانـا اشهـد ان الاخـوة فى ادارة المطبوعات ، كانوا رفقاء بنا ، فلا يصبون علينا الاتهامات ، ولايميلون الى الاساءة الينا ، ولايحـاولون ان يضعونا موضع الشك ، الذى يقود الى المؤاخذة والحساب ، كانوا معنا ، لأنهم يدركون حسن نياتنا ومسالمتنا ، وان الانسان يدركه الخطأ .. مهما حرص ، ومهما احتاط . والرؤية فى كثير من الاحيان .. تختلف بـين انسان وآخـر ، وتفسير الاشياء .. قد يأخذ مسارات مختلفة ، ونحن دائما حين نخـطىء .. نقـدم حسن النيـة ، ويشهـد الله .. اننـا صادقون . فنحن لانريد الاساءة لوطننا ، والا فنحن غير جديرين بـأن نكون امنـاء عليه ، ولانستحق الثقـة التى منحت لنا ، لان هذه الثقة امانة .. وقلادة تقدير ، وهى فى الوقت نفسه نوع من الامتحان .. لقدرة الانسان وكفاءته واخلاصه ، ومعرفة لمسلكه ، كيف يمارس دوره .. فى ظل الثقة التى منحت له ، وكيف يكون ؟

فى عهد الملك سعود يـرحمه الله .. اعتـادت الصحف عندنا ان تصدر اعدادا خاصة .. بمناسبة ذكرى جلوس جلالته على عرش البلاد ، خلفا لوالده الرجـل العظيم .. جـلالة الملك عبدالعـزيز ، رطب الله ثـراه . وخلال عمـر الاضـواء القصير ، جـاءت مناسبـة ذكرى جلوس الملك سعود ، ولابد ان نشـارك باصـدار عدد خـاص .. بهذه المناسبة .. اداء للواجب ، ومشاركة ايجابية .. تغطية لهذه

المناسبة ، مادامت الصحف كلها تؤدى ذلك ، الى جانب أن المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر تنشر كتابا بهذه المناسبة ، وهو كتاب اعلامى ، يتحدث عن نهضة البلاد .. فى العهد السعودى ، ومفاخر بانى نهضة «الكيان الكبير» ، وانجازات الخلف والسلف ، الى غير ذلك من الجوانب ، التى تسلط عليها الاضواء .. وتبرز كمحصلة ، تستدعى الاهتمام والتسجيل والاشادة والذكر . يسهم كاتبوها البارزون .. فى كتاب الاذاعة السنوى كما يسهمون بمقالاتهم وقصائدهم .. باثراء هذه المناسبة ، كل على قدر جهده واستعداده ، فهى مشاركات جماعية شاملة .. تسعى المديرية العامة للصحافة من جانبها ، وتسعى الاذاعة ، وكذلك اصحاب الصحف .. الى حث الكاتبين على تغطية هذه المناسبة ، فكانوا .. يسهمون ، ولايترددون فى ذلك ولايعتذرون .

كنا فى الاضواء نعد انفسنا لاصدار عدد خاص من ست عشرة صفحة .. عن هذه المناسبة ، ونسعى لجمع «اعلانات» تغطى نفقات طباعة العدد ، والجرى وراء الاعلان معاناة ونصب ، ذلك ان الاعلانات لاتأتى بسهولة يومئذ ، فلايوجد وكالات لها .. كما هى الحال اليوم ، حتى وان كانت جريدتك ناجحة ومنتشرة ومقروءة ، فان مايصلك .. لابد ان تسعى الى الحصول عليه . توطد علاقات مع المعلنين ، وتقدم شيئا من تخفيض القيمة ، وتسترضى المعلن .. بان يظهر اعلانه واضحا جيدا ، وقد يحدد بعضهم مكان النشر .. فى الصفحة الاولى أو

الاخيـرة .. أو الثالثـة ، وهى الصفحات البـارزة فى اية صحيفة ، الى جانب اخراج الاعلان اخراجا جميلا ، وذلك يعتمد على جودة تصميمه ، واذا خرج فى الطباعة بعض العيوب ، فانك .. لاتتقاضى قيمته . ولابد ان تقدم التصميم للشركة او التاجر .. لينظر فيه ، وقد يبقى عنده يوما او يومين .. وقد يبدى بعد ذلك .. بعض الملحوظات ، وعليك ان تعود بالاعلان الى المطبعة ، ليعدل المصمم فيه حسب رغبة الشركة أو التاجر وتعود به ثانية الى صاحبه .. حتى تحصل على موافقته ، وقد يبدى تعديلا جديدا . وقد يكون اصل الاعلان غـير جيد ، فـلا يظهـر واضحا فى النشر ، وتأخذ انت فى اقناع .. من تتعامل معه ، بأن الخطأ ليس فى الطباعة ولا التصميم .. وانما هو فى الاصل .

وفى خلال تعاملك مع التجار ، تضيـع لك حقوق عنـد اغنياء فلا تستطيع الحصول عليها ، ويأبى عليك حياؤك ان تشكوهم الى السلطات ، ويأبى عليهم عدم وفائهم ان يعطوك حقك عن رضا ، وانما هم يماطلون ويسوفون ، فلا تنال شيئا . وقد حدث ذلك بالقياس الى الاضواء .. بعد احتجابها ، فضاعت بعض حقوقنا عند قادرين اغنياء ، ولم نصل الى شىء منها ، ولكننا واثقون من عدل خالقنا ، وان الذى اخذ منا .. ادخر لنا ذلك الى يوم معلوم ، وهو يوم مجموع له الناس ، ذلك اليوم العظيم ، ترد فيه الحقوق والمظالم .. عند العدل الحق ، الذى لاتضيع عنده الحقوق والمظالم ، والذى يقول جل شأنه فى محكم كتابه العزيز :

«وان كـان مثقال حبـة من خـردل اتينـا بهـا وكفى بنـا حاسبين» ..

وضـاعت لى بعض الحقوق .. بـالقياس الى صحيفـة «الرائد» ، التى كنت املكها ، والحكم لله وحده .

اعود الى العدد الخاص .. من الاضواء عن جلوس الملك سعود ، فقد كان شائعا .. ان يسمى «عيد الجلوس» . كنا نحمل مقالات الكاتبين وقصائد الشعـراء .. الى مراقبـة المـطبوعـات ، وفى هذه المقـالات والقصائـد جملة «عيـد الجلوس» فى العنـاوين وقوافى الشعـر ، وكانت الرقـابـة تجيزها .. دون اى اعتراض ، وكنا نقدمها الى المطبعة ، للجمع ثم «التوضيب» ، بل كنا نقدم صفحات الصحيفة كاملة «موضبة» الى مراقبة المطبوعات ، للتخفيف عنها من زحمة المقالات والقصائد .. التى تكتب بخطوط مختلفة ، منها غير الواضح ، وفى ذلك عناء .. على الرقيب المزدحم بشىء كثـير من مـواد الصحف .. التى تتـكثـف لهـذه المناسبة . وكان المراقبون يقرؤون الصفحات .. ويعدلون او يحذفون ، اذا رأوا ما يوجب الحذف أو التعديل ، وقد لايوجد ، لان ماكتب .. لايخرج عن الاشادة والاطراء .. بهـذه المناسبـة ، فلا مـظنـة فيـه لشـك ، لانـه يختص بمناسبة .. تستدعى ان يكون ماينشأ فيها ثناء ومديحا .

فى خلال الإعداد .. لهذا العدد الخاص ، سافر الاخ محمد سعيد باعشن الى القاهرة ، وتركنى وحدى .. اتحمل مسؤولية اصدار العدد ، وهو لايقوى على التقشف والعمل الممل المتعب ، ذلك ان المطبعة مزدحمة بالعمل .. فى هذه

المناسبة ، بجانبنا كتاب الاذاعة الضخم ، الذى ينبغى ان يكون قبل المناسبة عند الادارة العامة للصحافة ، وهى جهة رسمية ، ثم نحن لابد ان يصدر عددنا .. فى موعد المناسبة . وامكانات مطبعة السيد الشربتلى محدودة . وليس العمل الصحافى ... ان تقدم مواد الى المطبعة ، ثم تجىء فى موعد محدد .. فتجد صحيفتك حاضرة مطبوعة ، كما تحمل طبق «عجين» الى الفرن ، ثم تجده بعد وقت قصير .. خبزا ناضجا .

المطبعة تعمل لنا وتعمل للصحافة بقدرتها الطباعية المتاحة . لكن الذى يحدث .. انك اذا غبت دقائق ، وانت قد تركت العامل الفنى يعمل فى صفحاتك .. تجده قد تخلى عنها .. ومسك عملا آخر ، من نفس النوعية المتعلقة بالمناسبة ، والسبب محدودية الامكانات .. والعامل معذور ، لانه يكلف من المسؤول فى المطبعة .. ان يعمل هنا أو هناك ، ولاشك ان ادارة المطابع .. تريد ارضاء الجميع ، لتكسب من الجميع ، الا ان امكاناتها المتاحة .. لاترضى الجميع .

كان معى اخى ابو يحي ، فهو خير معوان ، لنتعاون على انجاز العدد ، وليس عندنا كما قلت آنفا جهاز تحرير أو ادارة ، فكان أحدنا .. والوقت ليل ، يقف مع العامل الفنى ، يصحح او يوضب ، والآخر .. امام المطبعة فى «القيظ» يسند ظهره على «كوم» من الرمال .. ليرتاح ربع ساعة او نصفها من عناء الوقوف والحر .. داخل المطبعة ، التى لم يكن فيها سوى المراوح ، وليس لها تأثير على

تلطيف الجـو ، فالوقت صيف ، ودوران المكـائن .. يولد المزيد من الحرارة ، ولم تعرف المطابع يومئذ المكيف ، الا ماندر فى مكتب مديرها فقط .

كنا اذن ابويحيى وانا ، نقف بالدور مع العامل الفنى ، لكى ننجز العدد فى ليلة طباعته ، والراحة المتاحة .. على كوم الرمال امام باب المطبعة الخارجى ، وللناموس نصيب فى لسعنا وامتصاص دمائنا ، وهـذا شىء مدرك فى مهنـة البحث عن المتاعب .. كما تسمى .

وشعرت بالتعب ، والعـدد أوشك عـلى انتهاء وانجـاز صفحاته فى قسم «التوضيب» . وما اكثر عناءه ، كهمـوم التصحيـح والمراجعـة والمطابقـة ، اخـذنـا .. نقـرأ من الاصل ، والاخر يتابع على «التجربة» أو الصفحة ، وست عشرة صفحة ليس بالشىء اليسير و «لايعرف الشوق الا من يكابده» .

استأذنت من أخى حمدان صدقة ، لأعود الى دارى ، أمتص انفاسا من «الجراك» وأرتاح ، حيث أنتهى .. اكثر الصفحات ، وما على المطبعة الا الطباعة ، بعد ان نمضى لها على الصفحات .. بأنها روجعت وصححت .

عدت الى البيت منهكا ، وبعد ساعة ، وكانت الثـانية عشرة .. منتصف الليل ، واذا بصاحبى يطرق البـاب ، وانا اعرف المفاجآت ، واحسب لها حسابهـا ، جاء أبـو يحيى ليقول : ان الرقابة تقول : ممنوع نشر جملة «عيد الجلوس» . وانما هى «ذكرى الجلوس» .

قومت الموقف المحير . فأمـا ان ألغى العدد ، ونخسر

قيمة اعلاناته ، وعلينا ان ندفع الى المطبعة تكاليف الجمع والتوضيب واجور اضافية عن عمل العمال الاضافى ، واما أن أقبل الوضع على علاته وآلامه ومرارته ، وهذا يستلزم منى أن أعود الى المطبعة فورا ، لاقرأ ست عشرة صفحة من جديد ، وأحذف كلمة «عيد» ، والمشكلة ان هذه الكلمة موجودة فى قوافى الشعر ، وعناوين «الزينكوغراف» ولا مجال لعمل اكليشهات جديدة ، فالوقت مضى وعمال المطابع مرهقون ، وهم فى حاجة الى الراحة .. من العمل المتواصل المضنى .

وازنت بين الموقفين ، فقبلت التحدى ، وانا فى طبعى التحدى ، وارفض الانهزام والاستخذاء . ارتديت ملابسى من جديد ، واسرتى كلها نائمة ، ونزلت مع صاحبى من عمائر البنك الاهلى فى الكيلو واحد .. فى طريق مكة ، حيث كنت اسكن بجانب مكتب الجريدة ، وتوجهنا معا الى المطبعة ، لنمارس معاناة التعديل ، بقص كليشيهات .. وترقيعها بحروف ، وابعاد كلمة «عيد» ووضع مكانها كلمة «ذكرى» ، وقراءة الصفحات بدءا من الصفحة الاولى ، وشطب العيد ، وكتابة ذكرى ، وجئت الى الشعر ، واخذت استبعد العيد ، واعيد صياغة البيت الذى فيه هذه الكلمة .. من جديد ، فلا يكون فى قافيته عيد ، وانما كلمة اخرى مرادفة فى الروى . وهكذا ، مكثنا من الواحدة صباحا الى الثانية عشرة ظهرا ، احدى عشرة ساعة ، الى جانب سهرنا ووقوفنا من صباح اليوم الأول ، مايوازى

ثـلاثـين سـاعـة ، دون راحـة ، وطعـامنـا «الشـاطر والمشطور» .. كما قيل فى تسمية «الساندوتش» .

فرغنا من العدد ، لنأخذ راحة ساعات ، ذلك ان علىّ وصاحبى ان نكون فى اليوم الثانى .. من الساعة الثامنة فى وظائفنا بالجمارك ، يكفى اننا غبنا اليوم الذى سبق يوم صدور الصحيفة . غـير ان للعمل الصحـافى لذة .. حين يحقق الانسان بغيته ، ويرى عمله منجزا امـامه ، فهـو جهده وعرقه ، اذا كان عاشقا لهذه المهنة وهـاويا لهـا ، وليس مجرد موظف ، يريد فقط شهرة من ورائها ، وينتظر راتبهـا آخر الشهـر . يـرتـاح الانسـان .. حـين يحقق مكاسب ، ولا اعنى المكاسب المادية ، وانما المعنوية ، لانها اهم وابقى ، اما الكسب المادى .. فانه يدعو الى التكالب ، فالانسان لو كان له واد من ذهب .. لتمنى آخر من فضة ، لانه خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، واستثنى القرآن الكريم المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ، فهم وان اثروا .. ينفقون على السائل والمحروم ، لانهم موقنون .. بأن مابايديهم مال الله ، فلابد ان يصل الى المحتاج ، فـلايباهى هـؤلاء بالثـراء .. وان اثروا ، فهم ينفقون اناء الليل واطراف النهـار ، ذلك .. انـهم يحبون انفسـهم ، فيقدمون لها الزاد ، لتجده امامها فى غدها ومحشرها ، يوم الافلاس ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه . نسـأل الله السلامة والنجاة من هول يـوم البعث والنشور .

ونسـأل الرقابة بعد ذلك .. عن هذه الربكة التى احدثتها لنا ، فيقولون : هذه اوامر جاءت من المشايخ متأخرة ، لان ليس فى الاسـلام سوى العيـدين الشرعيـين ، كمـا هى الفتوى حول ذلك .

○ ○ ○

الشيخ الغزاوى

ذكرت .. من خلال حديثى عن الإعداد لاصدار صحيفة الاضــواء . ان المرحـــوم .. الشيخ «احمــد بن ابــراهيم الغزاوى» ، نائب رئيس مجلس الشورى ، وشاعر الملوك ، رآنا فى مطابع الشربتلى ، نتفاوض لطبع الصحيفة ، واننى سبق ان مررت بشعره فى كتاب الساسى : شعراء الحجاز فى العصر الحديث ، والمحت الى ان شعر شاعرنــا .. يأخـذ مسارا معينا ، وآثــرت تجاوزه . لكن تحــدى الشيخ لنــا استثارنى ، وما اسرع ماجاءت المناسبة ، وقد قلت : انه فى طبعى التصدى للتحدى ، سافر الملك سعود .. عليه رحمة الله الى الولايات المتحدة الامريكية للاستشفاء ، وعاد .. بفضل الله معافى ، واقيم له حفل كبير فى فندق قصر الكندرة بجدة .. فى آخر شهر جمادى الاخرة ١٣٧٨هـــ . وجــاء شاعر الملك ، ليهنىء بهذه المناسبــة ، ونحن كأصحــاب صحف من المدعوين الى هذه المناسبة وامثالهــا ،، فنحن كذلك لنا دور . ولعل الشيخ الغزاوى .. لم يجد امامه الا المتنبى ، الشاعر الفحــل ، ومن منا لايعــرف قدر المتنبى العبقرى ؟ . ومن منا لايطرب وهو يقرأ خريدته فى سيف

الدولة .. اثر شفائه من مرض حل به ، والتى مطلعها :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم
وزال عنك الى أعدائك الالم

ويقول منها .. هذا البيت الذى يعدل فى صوره وروعته ومعناه وقوته دواوين شعر ...:

وما اخصك فى برء بتهنئة
اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اقول : لعل الشيخ الغزاوى .. لم يجد امامه الا صاحبه المتنبى ، لان المناسبتين متوافقتان ، فنسج الاستاذ الغزاوى قصيدته على بحر وروى قصيدة المتنبى تلك ، واصبح الموقف واضحا امام الناقد ، فاما .. ان يجيد الاستاذ الغزاوى ، كما اجاد ابو الطيب ، او يقرب منه ، واما ان يخفق ، ويعتبر تقليده للمتنبى مسخا وتشويها ، واخفق الشيخ ، رغم انه شاعر مجل ، ومطلع واسع الاطلاع ، ورجل يعنى باللغة والشوارد ، له فى ذلك الكعب المعلى ، لا اهضمه حقه ، ولا اقلل من قيمته الادبية ، شاعرا وكاتبا .، وقارئا للتراث . وهو رجل وجاهة ومركز ووطنية. لكن الشيخ اخفق ، وينبغى ان يلتمس له العذر ، لان الشعر تأثر ودوافع ، تستجيب القريحة وتتراجع وتتحجر احيانا . سمعت القصيدة .. والشاعر ينشدها ، وهو يطرب اذا أنشد ، من جمال القائه وقدرته عليه ، وهو رجل بليغ .. لاشك فى ذلك ، لكن المعانى والمضمون .. شىء آخر مختلف .

بدأ قصيدته بقوله :

الشـــرق عـــوفي وقـــد عـــوفـيـــت والعـــرب
والمـــجـــد والفـــضـــل والاخـــلاق والادب

فرق شاسع .. بين مطلع المتنبي والشيخ الغزاوى ، الى جانب الحشو الهزيل .. الذى جاء فى بعض ابيات قصيدة الغزاوى ، مثل قوله :

تـــصـــطك حـــيـــرى بـــهـــا الاســـمـــاء مـــن فـــزع
والصـــدع والرجـــع والاســـنـــان والركـــب

وقوله :

اذن لابـــد لك الاخـــلاص فى شـــغـــف
مـــا أنـــت تشـــكـــو واســـتـــوى المـــاء والخـــشـــب (١٠)

ووقفت على مكامن الضعف فيها ، وتصيدت المآخذ فيها . لكنني .. كيف أجرؤ على نقد قصيدة هذه مناسبتها ثم ماهو المخرج من ذلك ؟

ويمكن ان يهوى عليّ «بعصاه» ، فهو قد انذرنى وصاحبى . ان نحن تعرضنا له بالنقد . موقف يدعو الى التردد ، حين يدرك المرء العواقب ، والذى يؤثر العافية .. لايقدم على المخاطر ، ولايعرض نفسه لما يضره .. ويندم عليه بعد ذلك .

ولكن خالقى .. الهمنى مدخلا قد يشفع لى ، ذلك اننى اتناول نقد القصيدة .. كأثر ادبى ، اما مناسبتها ، فانا

---

(١٠) هكذا ورد البيت فى الاضواء

نكبرها ونقدرها .. ونسعد بها كل السعادة . وهكذا مهدت لنقد القصيدة بهذه الكلمات القصار ، ثم اخذت افند ضعفها وتفككها ، لاسيما حين تقارن بقصيدة المتنبى .

نشرت النقد[11] .. بين عزم الشجاعة والتخوف مما قد يجره على من متاعب ، ولولا انى اميل .. الى الموقف الشجاع لتراجعت وآثرت العافية ، ولكنى قد اعلنت .. ان النقد للقصيدة كأثر أدبى ، فانى لم امس المناسبة ولم اسىء اليها بشىء .

ولكن الرجل كان كبيرا فى نفسه ، فلم يحاول الاساءة الىّ .. وهو قادر لو شاء ، ولعله رأى ان ابنا من ابنائه احب ان تكون له الشجاعة والجرأة ... فينتقد شاعر الملك ، فلا يصيبه سوء ، وهذا مثل من امثلة الديموقراطية ، ورحابة الصدر فى تقبل النقد الهادف ، وسأظل اذكر للشيخ احمد الغزاوى .. كرم نفسه .. وعلو همته ، لانه لم يسىء الى شاب .. فى طبعه العناد ، قد اخذ بالتحدى ، ولم يهب العصا التى لوح بها الشاعر مهددا .. وانما انتقد القصيدة لاخائفا ولا وجلا .. ولا مترددا ، ولايحسب اى حساب لمكروه يصيبه من وراء ذلك .

غير ان الصديق الكبير .. الاستاذ محمود عارف ، اصابه حسب تقديره شىء من مكروه ، ويرد ذلك .. الى نقدى للاستاذ الغزاوى ، حتى انه قال لنا : اذا اردتم ان

(١١) راجع العدد (٨٩/ ٩٠) من الاضواء .. فى نقد القصيدة .

اكون صديقكم ، فاتركوا الشيخ احمد وشأنه ، ونحن تعز علينا صداقة استاذنا العارف ، ونسمع ونطيع لمشورته ، حتى وان غلب علينا طبع التحدى . وما اصاب الاستاذ محمود ، وعده رد فعل لنقد قصيدة الغزاوى ، ان الشيخ احمد .. اعتقد ان عارفا يسلطنا لنقد شعره ، ولم يحدث شيء من هذا ، ذلك ان الاستاذ محمود عارف رجل .. لايشجع على هذه التحرشات ولايأبه لها .. بل ولايدفع اليها ، رغم انه رجل شجاع .. واع ، لايخاف النقد ، سواء كان له أو عليه . ليس من طبع استاذنا عارف .. ان يدفع بنا او امثالنا الى التسلط او الهجوم النقدى على أحد ، لا لأنه يؤثر العافية ، وانما لانه رجل سمح الطبع والنفس ، لايعتدى .. ولايشجع على الاعتداء ، ويأباه لنفسه وللآخرين ، وانما هو رجل .. يعين على الخير والمعروف والايثار والخلق العالى .

لكن أديبا كبيرا آخر يرحمه الله .. يعين ويشجع على هذه الممارسات النقدية ، ويدفع اليها دفعا قويا ، بل ويكتب مقالات بقلمه ، يذيلها .. باسم من يتخيره لمهمات النقد ، او مجرد اسم ، حتى .. وان كان نصيبه من الادب لاشيء ، وليس له اية معرفة بالنقد . المهم ان اديبنا الكبير ، يحب ان يشغل الساحة بالعراك .. ليكون المتفرج ، وغيره يصطلى نار الهجوم العنيف .. باقلام شتى ، ووراءها هو نفسه ، كاتبا وممليا ومشجعا ودافعا لها .. الى الهجوم على كل انسان سواه ، فهو لايحب المنافسين ، وانما يريد ان يكون وحده ، زعيم الشعراء والكاتبين والمجددين ، ولا احد

غيره . قلنا للاستاذ عارف ، انك لم تدفعنا لنقد الاستاذ الغـزاوى ، ولم تشر علينا بـه ، بل انـه شىء صـادر من نفوسنا ، وقد حدثناك .. ان الشيخ تحدانا قبل ان نصبح أصحـاب جريـدة ، فهل تـريدنـا ان ننهـزم امـام هـذا التحدى .. ونحن قادرون .. على ان نرد الصاع صاعين ، مادام الغزاوى ينتج شعرا ، وهو يدخل فى مسمى : « من الف فقد استهدف» .

وما نال الاستاذ عارف ، من نقدى لقصيدة الاستـاذ الغزاوى ، هو جولة استغرقت تسعة اشـهر .. فى مختلف جنبات البلاد ، مع لجنة لتتفقد وتقف على املاك الدولة ، تضم هذه اللجنة الداخلية والمالية والشورى الخ .

وحين .. جاء دور مجلس الشـورى ومن يمثله ، نظر الشيخ الغزاوى الى زملائه .. يعرض عليهم الامر ، ويختار منهم عضوا لهذه المهمـة ، وكلما اختـار رجلا .. اعتـذر بشتى المعـاذير ، لاسيمـا وان بعضهم له صلة بـالحـج والطوافة ، ولايرغب ان يبعد عن مكة .. فى موسم الحج . ثم استقر رأى الاستاذ الغزاوى على استاذنا عارف ، فلم يكن له شىء من خيار أو اعتذار ، لانـه لو اعتذر .. مـع المعتذرين ، لاصبح نائب رئيس مجلس الشورى فى حيرة ، ولايليق بـه وبـالمجلس .. ان يكتب لولى الامـر ، ان كـل الاعضاء اعتذروا عن هذه المهمة . فقبل الاستاذ عـارف المهمة ، متهيبا .. من متاعبها ومجهـولها ، لاسيمـا وان السفـر .. عبـر المسـافـات الطوال ، وسيلتـه الوحيـدة السيـارة .. تحمل الجمـاعـة ، ورغم التعب الذى لاقـاه

الاستاذ عارف .. فى هذه الرحلة الطويلة ، الا انه حمده بآخرة ، كما «يحمد القوم السرى» . فقد استفاد ماديا .. من الانتداب ، وعرف مختلف انحـاء بلاده ، ولولا هـذه الجولة .. لما استطاع معرفتها والوقوف عليها عن قرب . ولكنه لايريدها ان تتجدد .. لو حدث ذلك مرة اخرى ، وهو ماحدا به ان يرجونا فى الحاح .. ونحن اصدقاؤه اللصقاء به ، الا نتحرش مجددا .. بنقد الاستاذ الغزاوى ، فقبلنا منه ما اشار به ، لانا لانريد ان نخسر رجلا .. مثل الاستاذ محمود ، وكذلك فليس لنا غاية فى نقد الغزاوى ، فقد انتهت مهمة التحدى ، لاسيما وان الشيخ احمد الغزاوى .. لم يرد على نقدى لقصيدته التى قالها فى تلك المناسبة ، فالامر عندنا .. قد انتهى . وانا المقصود بهذه القضية .. لانى المتصدى لها .

واكرر الشهادة .. لسمـاحة الاستـاذ الغزاوى وكبـر نفسه ، ذلك اننى كنت اصدر .. فى بعض المناسبات من عمر صحيفتى «الرائد» ، عددا خاصا وكنت اكتب اليه .. ان يشارك بموضوع فى هذه المناسبة ، فكان نعم المجيب ، ولا ادرى .. أهى مناسبة واحدة أو اكثر .. التى شارك فيها مشاركة كريمة ، احداها بقصيدة من عيون الشعر الحى النابض ، يشيد فيها بجدة واهلهـا والرائد معـا ، وكلما اكتب اليه فى مناسبـة ، يبادر الى الاستجـابة الكـريمة ، واتلقى منه رسالة .. عارمة بأدبه وفصاحته ورقة اسلوبه وجمال بيانه .. واعتذاراته عن التقصير ، الذى يرجع الى مرضه والظروف العاذرة . وكنت سعيدا بهـذه العلاقـة

الكريمة ورقة طبع الرجل وأدب نفسه ، وان نقدى له لم يترك .. رواسب فى نفسه ولاضغائن ولاحقدا . هكذا تكون نفوس الكبار .. من رجالات امتنا الاخيار .

O O O

أمين رويحى

تعرفنا .. خلال اصدارنا لصحيفة الاضواء ، على القاص الاستاذ «أمين سالم رويحى» .. يرحمه الله . كنا نقرأ قصصه المنشورة فى جريدة «البلاد السعودية» ، ونعجب باسلوبه ومعالجته لقضايا قصصه ، وكان يسكن بالقرب منا .. فى عمائر البنك الاهلى التجارى ، فانضم الينا ، وأصبح ينشر قصصه فى اضوائنا . كان بارعا فى نسج قصصه السهلة المشوقة ، وكان ذا خيال خصب ، وكان خفيف الروح مرحا ، لطيفا فى علاقاته . كان بنكاته وخفة ظله .. فى سهراتنا فى مكتب الجريدة ، يخفف عنا الكثير من متاعبنا وشكوانا ، وكان اذا احتد النقاش والجدل .. يجنح الى اقفال الموضوع قائلا : « ياجماعة .. المسألة كلها خمسمائة سنة وتنتهى المشكلة » ، فكنا نضحك .. وقد سرى علينا بعض همومنا وضجرنا وأيننا .

كنا نذهب الى البحر فى بعض الايام .. للتنفس ، وكان أمين رويحى نجم المجموعة ، بمرحه ومزاحه الخفيف اللطيف .. وسماحة نفسه وخفة روحه ، ومايضفيه .. من

بهجة على المجموعة المتآلفة والمتجانسة ، الوادعة فى علاقاتها وانسجامها ، وايثار بعضها بعضا بالحب والوفاء والصدق والود . واسندنا اليه بريد القراء ، فكان يضفى عليه الشىء الكثير .. من رقة الطبع وجمال العرض ، ولطافة الرد .. على القارىء ، فكان بريده اكبر بريد الصحيفة .. بلا منازع ، وكنا نغبطه على هذا النجح والانتشار ، كثر قراء الصحيفة .. بما اضفاه امين عليها من خروج عن الجمود ، الى مداعبة القراء .. والتجاوب معهم فى رسائلهم ، بردوده الفكاهية .. اللطيفة الرقيقة ، وتقوية الصلة بالقارىء .. وشده الى قراءة الجريدة ومداعبته له بشىء كثير من اسلوب الخيال والدعب ، فكان بينه وبين القارىء انسجام وود .. وعلاقات حميمة . وكان ينسج قصصا من خياله .. اغرب من الخيال . كان امين رويحى كسبا كبيرا للجريدة ، ولم يعد ينشر قصصه فى غيرها ، وارتبط اسمه بالاضواء ، وارتبطت الاضواء به ، وقد حاول بعض زملائنا من اصحاب الصحف ان يخطفه منا ، وان يغريه ماديا ، رغم ان ظروفه .. تدفعه الى التحصيل المادى ، ولكن وفاء أمين .. والحب الذى ربط بيننا ، والانسجام الذى ألفنا ، جعله يؤثرنا عن غيرنا ، رغم انا لاندفع له الا مائتين وخمسين ريالا .. فى كل شهر ، لعلها بدأت بمائة وخمسين .

والأخ أمين .. كان يعمل ضابط لاسلكى على خطوطنا الجوية ، فعرف الكثير من مدن العالم ، ودرس فترة فى مجاله فى بريطانيا ، تفهم الكثير من عادات الشعوب ،

ونوادر السفر الجوى .. ومايحدث فيه من مفاجآت ، الى جانب استعداده النفسى .. الى المرح والنكتة والفكاهة .

وبقى معنا كذلك خلال فترة اصدار الرائد ، يكتب ويرد على بريد القراء ، ويكرس وقت فراغه .. لاثراء الصحيفة بكل مايستطيع ، ولايبخل ولا يكل ولايمل . وقد اصدرت له الاضــواء .. ضمن سلسلتهــا الادبيــة مجمــوعتــين من قصصه ،الاولى بعنوان: « الاذن تعشق وقصص اخرى » والثانية بعنوان «الحنينة» . وكان يوقع ردوده على القراء بـ «ابو حياة» اسم ابنته الوحيدة .. التى ولدت له . وعنوان بابه .. مع القراء : «ابو حياة والناس» . ان ايامنا مع ابى حياة لاتنسى ، فكلها مرح .. لايعرف الهم ، وهــو صديق صدوق وفى ، لايغلق قلبه على ضغينة ، ولايضمر فى نفسه اى كره لاحد ، ولايحقد ولايغضب بسهولة، وانما نفسه طويل فى الجدل ، واذا غضب .. فهو سريع الرضا ، كثير التسامح ، يتراجع .. اذا وجد ان الحق مع غيره ، وانه قد اخطأ . وهذا هو طبع الرجل .. الذى تجب عشرته وتتوطد معه العلاقة ، ويمتد حبل الود معه ، وتقوى الصلة به ، لا استغلال ولا انتهازية .. ولا حسد ولابغضــاء . رحم الله أمين رويحى وأحسن اليه .

○ ○ ○

أسرة الأضواء

٩/٦/١١ هـ

فى مقدمة اسرة الاضواء .. (التى تجددت فى الرائد) ، استاذنا محمود عارف ، الرجل الوفى لاصدقائه ، السمح النفس والطبع ، ذو الخلق الدمث والخصال الكريمة ، ورغم انه أسن من اكبرنا بما يقرب من عشرين سنة ، الا ان فارق السن .. لم يحل بيننا وبينه فى الانسجام وكريم العلاقة والوفاء ، فنحن نعده اخانا الاكبر احيانا ، ونعده ابانا احيانا اخرى . كان لصيقا بنا ، يأتى الى مكتب الصحيفة من البغدادية سيرا على الاقدام .. اكثر من مرة فى الاسبوع . كان يجلس الى صديقه .. على يوسف نصيف فى دكانه بجانب «مقبرة الاسد» .. يصلى معه المغرب ، حتى اذا قرب العشاء انسل من عنده ، يمد خطواته الينا فى مكتب الاضواء ، وبعد ذلك فى مكتب الرائد ، كنا نستشيره فى حوازب الامور ، فكان المستشار الامين ، والناصح المخلص ، والوفى لابنائه .. الذين يعتزون به وبرأيه ، فهو ذو تجارب ، خبر الحياة .. وعرف تقلباتها وصفوها ووعثاءها وهمومها ، ومايحمل الجديدان .. من مفاجآت ، وماتألوا اليه الاخطاء ، ومايحققه الحذر والاحتياط . كنا

نستشيره فى الامور الصعبة ، اما اليسيرة .. فكنا نتخذ فيها قراراتنا ، محمد سعيد وانا ، وكنا قليلا .. مانرجع الى زميلنا محمد امين يحيى ، لانه يحضر حينا ، ويغيب احيانا كثيرة ، فهو بحكم عمله كممثل مالى ، يسافر لبعض مدن المملكة ، حسب متطلبات وظيفته ، ويسافر الى الخارج ، ويشغل بوظيفته بياض النهار .. وشيئا من سواد الليل ، يكتب التقارير .. ومايتطلبه واجب الوظيفة والإنجاز . ثم انه أخيرا آثـر الانسحاب ، لأنـا نختلف معه فى الاراء ، وكذلك كنت أختلف مع محمد سعيد ، لكنا كنا نتفق على حماية كيان الصحيفة من الانهيار إذا اتسع الخـلاف ، ونحن حراص للابقاء على الأمل .. الذى حلمنا به كثيرا ، ونطوى خلافاتنا بالصمت ، اذا لم استطع اقنـاعه ، ولم يستطع هو اقناعى ، ذلك .. اننى كنت ضد التهور ، وضد بعض التصرفات .. التى يجنح اليها صـاحبى ، واراها خاطئة وانها تجر الى المشاكل ، او لاتتفق واهدافنا .

فالانسان موقف شجاع .. وارادة وعفة ، وارتفاع عن الصغائر ، والانسان .. قبل ذلك وبعده مسلك يعكس مافى نفسه ، وهو يحب ان يكون كريما عزيزا صادقا ، فلايليق به ان يتحول عن الذى هو خير ... الى الذى هو أدنى . هكذا كان رأيي دائما ، وهذا هو موقفي . الصدق اولا وأخيرا ، ولاشىء غيره ، لان الصادق .. يكون موقفه قويـا دائما ، واذا كانت النجاة فى الصدق .. فكيف يتحول عنـه ، من يريد أن يعمل ويرجو النجح لعمله وعلاقاته بربه اولا .. ثم مع الناس ؟

ان معرفتى باستاذى محمود عارف .. ترجع الى عام ١٣٦٨هـ اما معرفة محمد سعيد به ، فعن طريق خال الباعشن ، الاستاذ محمد حسن عواد ، لان العواد وعارفا صديقان قديمان ، فهما زميلان فى مدرسة الفلاح بجدة ، طالبين واستاذين فيها ، وهما أديبان وشاعران ، ولدا وعاشا فى بلد واحد ، ورفيقا درب ، لكن استاذنا عارف .. لم يدخل مع الاستاذ العواد فى معاركه الادبية الضارية .. مع حمزة شحات او غيره ، فقد آثر الحياد ، مع ان علاقته بالعواد اعمق من علاقته بشحاته ، هكذا طبع الاستاذ عارف ، لا .. لأنه يؤثر العافية ، فهو رجل معارك .. اذا جد الجد ، ولكنه .. لايحب ان يكون طرفا فى معركة خاسرة ، ولايحب المهاترات «والمصارعة الحرة» .. الا اذا اكره ، ولايميل الى العنف .. الا عندما تدعو الظروف اليه ، ولم يكن غير الاسنة مركبا .

كنت ارى الاستاذ محمود عارف .. يجلس فى دكان الحلاق «حسن أسطى» .. امام مسجد «المعمار» ، بشارع قابل ، فهو يجيء هناك لصديقه «عمر نصيف» .. مدير اوقاف جدة ، ويجيء لحسن أسطى . كنت أمر من شارع قابل .. فى طريقى الى وظيفتى بالجمارك ، يوم كانت الادارة بالبلد ، قرب مبنى وزارة المواصلات .. على الشاطىء ، او وأنا غاد الى السوق ، فأرى الاستاذ عارفا جالسا .. عند حسن أسطى ، فالقى السلام وانا عابر . وخلال هذه الفترة ، أرى .. بين الحين والحين قصيدة للاستاذ عارف .. فى صحيفة البلاد السعودية أو جريدة المدينة

المنورة ، فيعجبنى شعره . ولعل أول قصيدة شدتنى الى شعره هى : « نداء الحرية » .. المنشورة فى المدينة المنورة فى عام ١٣٦٨هـ . ثم كان التعارف مع العارف ، وانا يومئذ فى حاجة شديدة .. الى أن أحسن القراءة ، وأحلم أن أكون كاتبا .. ولو فى الدرجة العاشرة ، وأن أرقى الى مستوى «أنور أبو الجدائل» .. الذى كان «رئيس تحرير» أمانة جمارك الحجاز ، وعملت معه .. حينما دخلت الى الجمارك فى اول وظيفة لى .. فى هذه الادارة . رأيته كيف يحرر وأعجبت بصيغ تعبيره وقوته وترابطه واحاطته بالموضوع الذى يصيغ فيه «المذكرة» لاسيما التى توجه او «ترفع» .. حسب التعبير السائد الى وزارة المالية ، على لسان .. امين الجمارك .

تعرفت على الشيخ محمود ، ولا أدرى .. كيف كانت البداية ، وأرى انى قد عثرت على كنز غال ، فانا فى حاجة الى أن اقرأ واقرأ ، ولابد من رجل أدب .. يصحح لى ما اقرأ ، لأنى ضعيف المعرفة ، هزيل الزاد منها . وبثثت لاستاذى رغبتى الملحة فى القراءة ، فقال لى اشتر «نظرات المنفلوطى» ، والتقى بك كل يوم .. لتقرأ فصلا منها ، وفى اليوم الثانى .. أجد عندك ملخصا لما قرأت فى اليوم الاول . فذهبت الى مكتبات باب السلام فى مكة المكرمة .. لاشترى منها النظرات ، لان جدة يومئذ .. خالية من المكتبات التى توجد فيها الكتب الحديثة ، ولايوجد سوى مكتبة بها بعض الكتب القديمة ، صاحبها رجل يمنى ، يقضى يومه

فيها ، يلم رجليه بحبوته .. جالسا ، ينتظر اى قادم ، ليشترى منه كتابا ، من عشاق الكتب القديمة .

اشتريت النظرات واخبرت الاستاذ عارف بذلك ، وكنت يومها اسكن فى «مقعد» للأخ «أحمد راجح» .. فى منزل آل راجح بحارة المظلوم ، وقال لى الشيخ محمود : إنه سيأتى الىّ بعد العصر .. لنبدأ القراءة ، فكان يجىء الىّ ، أعمل له «تعميرة الجراك» ، ثم ابدأ فى القراءة ، فيصحح لى نطق الكلمات .. التى اخطىء فيها ، وما اكثر ما اخطىء وما أقل .. ما أصيب ، لان نصيبى من قواعد اللغة قليل جدا ، وكنت الخص ما اقرأ فى الليل ، لاقدمه اليه .. فى اليوم التالى فيصححه لى ، وماكانت عندى ملكة تعبير .. تعيننى على الاتيان بجديد فيما ألخص ، ولكنها كانت محاولات هزيلة ، الا أنى كنت طموحا .. لأفهم الجديد من الالفاظ والتعابير والجمل .. التى اقرأها . ولعل الكثيرين من لداتى .. بدأوا بالمنفلوطى فى مطلع قراءاتهم وولعلهم بالادب .

ثم نصح لى استاذى .. ان اطالع مجلة «الرسالة» ، وكان وكيل الصحف المصرية .. محمد حسين اصفهانى ، كانت تأتى كل اسبوع ببواخر الشركة الخديوية «الطائف وتالودى» كنت ارابط يوم وصول احدى الباخرتين ، انتظر .. امام مكتبة الاصفهانى ، مثل الذى ينتظر رغيف الخبز .. امام الافران ، فى البلاد التى فيها زحام سكانى ، وتمارس نظام التموين ، لينال الناس نصيبهم من الغذاء ، فيقفون الساعات .. امام مخازن التموين وصفوفا امام

الافران .. ليحصلوا على مايريـدون ، او شيئا من ذلك . وكنت اوثر الكتاب على غذائى ، فما اكثر ماكنت اسعى الى مطعم وفى جيبى خمسة ريالات ، فأجد كتابـا يعجبنى .. فاقتنيه ، وانصرف عن المطعم لانال رغيفا من الخبز وقطعة جبن ، تكفينى كوجبة رئيسية ، وانا سعيد بما نلت .. من غذاء العقل ، اما غذاء المعدة .، فانه يعوض اذا قدر للمرء ان يتسع رزقه .

وأشتريت من استاذى عـارف .. مجموعـة من اعداد الرسالة القديمة ، بربع ريال للنسخة ، وكنت حفيا بها ، فهى ثروة ، اقرأ ما أفهم منها ، واحاول ان اقرأ .. اكثر من مرة مالا أفهم فى القـراءة الاولى ، لكنى كنت نهما .. الى قراءة اكبر قدر ممكن ، فان لدى فراغا .. بعد عودتى من وظيفتى الى صباح اليوم التالى ، فانا لا أسهر .. ولا أضيع وقتى فيما لايجدى وإنما هى القراءة .. وازدياد معرفتى ، فليس للفقير والطامح .. الا البحث عن وسائل ترقى به ، وتجعل منه انسانا ذا شأن .. لمن لاشأن له ولا قـوة ولا سلطان ، لان الضعيف فى عالم الاقوياء يضيع ، ولايؤبه له ، فلسان الحياة القوة وقديما قالوا « ذا لم تكن ذئبـا اكلتك الذئاب» . وماذا يفعل شاب مثلى .. لاقوة له ولا علم ولا سلطان ، الا ان يشمر عن ساعد الجد ، ويناضل .. ويسهر الليالى الطوال ، ويكدح ليكون له مكان بين الناس ؟. هكذا احسست بحالى .. وانا رجل من عرض الناس ، فاما ان أكون .. او لا أكون .

كنت أرى مقالات الكاتبين فى «البلاد السعودية» الاساتذة محمد حسن عواد واحمد عبد الغفور عطار .. وطاهر زمخشرى وأمثالهم ، واحلم باليوم الذى أكون كاتبا مثل احد هؤلاء ، ولا أطمع ان اكون شاعرا . لأنى .. لا أملك موهبة الشعراء ، وان كانت لى محاولات هزيلة ، جاءت فى وقت المراهقة ، مساكين هم المكافحون .. من ذوى الطموحات ، الذين لاسند لهم الا عون خالقهم ، فهم يلعقون الصبر فى ضنى ممض .. ليثبتوا ذواتهم ، وليحققوا آمالهم التى هى اكبر من قدراتهم وامكاناتهم ، ولكنهم جادون ، فلهم .. نصيبهم مما يكسبون ، وليس عليهم الا ان يكدحوا .. وان يعملوا ثم التوفيق بيد الله ، وهو سبحانه .. يعين الصابرين والعاملين ليس عليهم الا ان يعملوا .. وان يجدوا فى العمل والاخلاص فيه ، وليس عليهم ادراك النجح ، فالتوفيق من الله .. الذى لايضيع اجر من احسن عملا .

اكملت قراءة النظرات .. او اكثرها على الاصح ، واحسست بالحاجة الى الالمام بشىء من النحو والبلاغة ، وعرفت ان جارى فى نفس حارة المظلوم الاستاذ «حمزة سعداوى» رجل مبرز فى هذا العلم ، فسعيت اليه .. ليعيننى بدروس فى القواعد .. وبعض علوم العربية ، وهو مدرس فى مدرسة الفلاح بجدة للنحو والبلاغة .. وابن بار من ابناء هذه المدرسة العتيدة ـ مد الله فى عمره ـ فوافق مشكورا على رغبتى ، وان يجىء الىّ فى «مقعد» .. بيت راجح كل يوم بعد صلاة العصر ، فأتلقى عنه الدرس ،

وكان يعطينى واجبات اؤديها مرة .. واقصر فيها اخرى ، فضاق بى ، ورمى فى وجهى مرة بالكراس قائلا : اذا كنت غير مستعد لان تتعلم .. ارحنى وارح نفسك . وانقطع عنى بعد ذلك ، وقد حزنت .. لانى لم استطع ان اواصل معه درس النحو والبلاغة .. وخسرت هذه المعرفة ، لانى .. لم استطع مواصلة الدرس والاستفادة من علمه الواسع .. فى علوم العربية ، وعوضت بعض الشىء بعد ذلك عند شيخى «ابى تراب الظاهرى» . ولكنى فقير فى هذه العلوم ، فما احوجنى الى الاستزادة من علوم لغتنا الثرية الواسعة ، وكل يوم .. أحس بجهلى بها ، وحاجتى الى التزود منها .. بالكثير والمزيد . وليس اجهل .. ممن يتصدى للكتابة ، ثم لايكون له زاد واسع .. من اللغة التى يكتب بها ، وخاصة .. نحن ابناء العربية ، فما اكثر تقصيرنا فى لغتنا وتعلمها التعلم .. الذى ينبغى أن يكون لنا فيها ، خاصة القادرين ، اذ ليس لهم عذر فى تقصيرهم فى حقهم وحق لغتهم عليهم ، وانا اردد مع ابى الطيب المتنبى :

ولم ار فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

وأنا عن نفسى ،أقول كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

لاتلم كفى اذا السيف نبا
صح منى العزم والدهر أبى
رب ساع مبصر فى سعيه
اخطأ التوفيق فيما طلبا

ان الحديث .. عن كرم نفس استاذى محمود عارف وتواضعه وسماحة نفسه ووده وايثاره ووفائه .. المنقطع النظير مضرب المثل ، فهو رجل محب ، ومثل اعلى يقتدى به ويحتذى ، فهو انموذج كريم .. فى خلقه وسمته وادبه ومعروفه ، انه صديق صدوق ، ندر بين الرجال .. فى هذه الخصال الغالية الكريمة .

ومن توفيق الله .. ان يقيض لى اصدقاء كبارا ، وجدت فيهم كل العون والنصح .. والتشجيع والرعاية ، ولا أنسى .. استاذى المفضال «الشيخ محمد الحافظ بن موسى» - مد الله فى عمره - ، وجزاه عنى كل الخير .. وكل الاحسان ، فما اوفاه لاصدقائه ، خاصة الذين كانوا طلبة فى مدرسة «العلوم الشرعية» .. بالمدينة المنورة ، فهم اثيرون عنده ، وهو اثير عندهم ، ملء السمع والبصر . فهو ناصح لهم ، مخلص فى نصحه وتوجيهه اليهم .. الى ماينفعهم فى اولاهم واخراهم ، لايضن عليهم بالارشاد ومحض النصيحة الهادفة الصادقة . يلقاهم ان كانوا بالقرب منه فى المدينة ، ويراسلهم ان كانوا بعيدين . لايبخل بشىء .. يقدر عليه ، ولايقصر فى عون ، يؤدى الخدمات ، يسعى لقضاء الحاجة ، و «يتوسط» فى التوظيف ، ويوصى القادرين على تقديم العون والرعاية ، ويحل مشاكل الناس .. بالحسنى ، ويسدى المعروف ، ويزرع الجميل ، لانه يحب مكارم الاخلاق ، ويسعده كثيرا .. سعادة الناس وتسامحهم وتعارفهم ، فما اكثر مايعارف بين الاخوة ، لتكون الصلة الطيبة .. والعلاقات

الحميمة بين الناس ، خاصة المتقاربين .. فى الافكار والمنهج السوى . وللاستاذ الحافظ الفضل بعد الله .. فى ربط العلاقة الكريمة بينى وبين الصديق الحميم ، ذى الخلق العالى ، الاديب الاريب ، الاستاذ «عبد العزيز الرفاعى» ، ومع بعض اصدقائى فى المدينة المنورة ، كالاستاذ المرحوم «عبدالعزيز الربيع» ، واخى الاستاذ على قم قم جى ، والاستاذ الشاعر «محمد هاشم رشيد» ، والكاتب الشاعر «حسن الصيرفى العقبى» .. وامثال هذه النخبة الممتازة .. من الرجال الادباء الاثيرين .

ظل الاستاذ عارف بجانبنا فى الاضواء ، لان صداقتنا .. ليست مبنية على منافع ومصالح ، وبقى معى فى «الرائد» وكذلك .. ايام كنت اصدر العدد «الاسبوعى» من جريدة «عكاظ» . وهو الذى ادخلنى الى عكاظ عضوا فى المؤسسة ، فقد اعطانى .. خمسة اسهم من العشرة نصيبه فيها ، دون ان يأخذ منى قيمتها المادية ، حتى اذا بعت نصيبى فيها ، يوم .. زادت سيطرة الاخ «على حسين شبكشي» ، وبقى العمل معه .. شبه مستحيل ، وكذلك العضوية فى المؤسسة . وذلك بعد وفاة المرحوم «أحمد شطا» الذى كان عضوا بارزا فى المؤسسة ، وكان صوته مسموعا ، وكانت معارضته قوية ، ولكنه كان فى وقت .. قبل ان يصبح على شبكشى مديرا عاما لها حيث اصبح الاستاذ شبكشى وحده ذا الحل والعقد وكلمته .. هى الاولى والاخيرة ، فى ادارة شؤون المؤسسة كلها ، ماليا واداريا .. وحتى تحريريا . وهذا احد عيوب المؤسسات

الصحفية ، اذ ليس منطقيا .. ان يبقى مديرها العام أو رئيس تحريرها ردحا من الزمن لايتغير .

وحين بعت اسهمى فى عكاظ ، رددت للاستاذ عارف قيمة اسهمه بثمن مابعت به ، أى تقاسمت معه المبلغ الذى أخذت ، ولعله كان خمسة وعشرين او ثلاثين الف ريال ، وكانت قيمة الاسهم الخمسة .. ايام المساهمة خمسة الاف ريال .

وظلت صداقتى بالاستاذ العارف .. محل الاكبار والتقدير .. من جانبى ، ومحل الوفاء غير المحدود من جانبه .. الى اليوم والى غد ان شاء الله ـ مد الله فى عمر الصديق الفاضل ـ واحسن اليه ، كفاء حبه وايثاره .. وطيب نفسه وسماحتها .. وعونه ومعروفه و ـ لايذهب العرف بين الله والناس ـ كما قال الحطيئة . ولايبقى الا الذكر الحسن .. والمعروف والخلق العالى ، يبقى الجميل ، ثم ان المعارف .. فى اهل النهى ذمم ، كما يقول ابو الطيب المتنبى . قيمة عالية ومكسب كبير .. عند الذين يعرفون ميزان الرجال ويقدرونهم ويعرفون منزلتهم وحقهم ، عند اولى الابصار والاعتبار .

ويأتى بعده رجل آخر،كانت العلاقة معه تختلف نوعا ما بالقياس الى الاستاذ محمود وهو انسان شجاع . ناصح مخلص وفى ، وانموذج بارز فى مجتمعنا .. فى خلقه ووعيه وعلمه .. وأدب نفسه ، هو اخى الدكتور «محمد سعيد العوضى» الكاتب البارع القوى ، والمستشار القانونى

والمحامى الناجح .. البعيد النظر ، والمثقف الكفء .. والصديق الحميم .

ان الدكتور العوضى .. الى جانب علمه الواسع وأدبه ، ذو خلق عال ، ووفاء وصدق . فقد اعاننا بقلمه ، يكتب المقالات الرصينة القوية .. عن «جمهورية افلاطون» ، و «نظام الاقليات وطرق علاجها»والكثير من المقالات الهادفة ، بفكر عميق متطور ، فى قوة تعبير .. وجمال اسلوب ، وروعة اداء . كان سريع الاستجابة .. بمجرد ان عرضنا عليه الفكرة وطلب الكتابة ، وكان امامه فرص اخرى ومجالات للكتابة .. فى بعض صحف الزملاء ، ولكن العوضى لايجرى ولايميل الى هذه الفرص ، وهو بقدرته الفطرية وعلمه .. يعرف كيف يختار من يتعامل معهم ، ويعين المحتاجين الى قلمه ، ولاتهمه المظاهر البراقة .. وانما هو يهتم بالمعدن ، ولايأبه للشهرة او اشكال الدعاية الرخيصة .. التى هى بهرج وادعاء ، والدكتور العوضى .. بعيد عن المظاهر الكاذبة الخادعة ، لانه جاد وصادق ، والصدق عملة نادرة فى عالم اليوم .. لايعول عليها كثيرا ، ولايعنى بها الا الصادقون .. الحراص على سمعتهم ومسلكهم ، وماعدا ذلك .. فشىء لايهم ، فى عالم الزيف والكذب والافتراء والتزوير بالباطل ، ولكن الاحجار الكريمة والجواهر نادرة غالية .. فى كل عصر ، وعند الذين يعنون بالنفائس والغالى . وتظل القيمة لذوى القيمة ، مهما عشيت عيون الناس وفسدت اذواقهم وزاغت نظراتهم ، واختلت موازينهم وتقديراتهم .. وحساباتهم . ولا اصدق

ولا ادل من قول الله عز وجل «اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض» هذا مقياس يأخذ به الصادقون .. وان طال بهم الطريق ، ويصدف عنه المزيفون .. وان قصر امامهم الدرب ، ولكنه محفوف بمصابيح تفضح الزور والبهتان والمين . اما الذين يطول مسيرهم ويدركهم الاين ، فان لهم الحسنى ، لانهم صادقون اولا ، ولأنهم صبروا بعد ذلك .. نتيجة للصدق ، لان دون الوصول الى الحق خرط القتاد والمكاره والعناء ، والغلبة .. دائما فى النهاية للحق . قد يطول الزمن بنجح زائف ، ولكن العاقبة لذوى الوجه الواحد الفطرى ، وان كانت مصاحبة الايام تلوث الذين عندهم الاستعداد للزيف والمباهاة ، والذين يظهرون غير مايخفون .

الى جانب .. اسهام الصديق الكريم الدكتور محمد سعيد العوضى بقلمه .. الذى يقدره العلماء والمثقفون ، كان يعيننا «باعلانات» شركة «دودج» التى يملكها الشيخ ابراهيم شاكر .. يرحمه الله والاستاذ محمد العوضى شقيق كاتبنا ، وهو عون حفظناه له .. ومازلت احسبه له ، كما نحسب له وفاءه ومآزرتنا بالرأى الصائب والنصح الغالى ، والاحتفاء بنا .. كلما سعينا اليه ، نستشيره ونسأله الرأى فى امر من الامور .. التى تتعلق بعملنا الصحافى . وامتدت بينى وبين الصديق الحميم الصلة وقويت .. على مر الايام ، ولله الثناء الجميل . فالصديق العوضى .. صادق وشجاع ، بعيد النظر ، لايضن علينا بالمشورة .. من خلال رؤياه الواضحة المتزنة ، لرجاحة عقله وسعة معارفه ..

ونباهة نفسه ، وقوة ارادته ، وسماحة نفسه ، وتواضعه الجم .. والتعاطف معنا ، لانه يدرك صعوبة دورنا ، وحاجتنا .. الى المؤازرة والوقوف معنا ، فكان مثال الاخ والصديق .. الذى لايجحد ما ينبغى أن نعرفه من خلال ممارستنا فى مهمتنا المحفوفة بالاشواك والمتاعب ، وماقد نتعرض له من هزات عراض .. ونحن نتلمس طريقنا الشاق ، فى شبه امتحان عسر ، فاما ان نجلد فيه .. بكل معوقاته لنصل الى النجح ، واما ان نخفق ، فيسجل مالنا وماعلينا ، فالحياة مكسب وخسارة وامتحان كبير .. للذين يعملون بتجرد وصدق ، ولايخلو العمل من مغامرة واخطاء ، ذلك .. انه من طبع الانسان انه يصيب ويخطىء ، والخطأ .. يقود الى الصواب ، ولايقود الصواب الى خطأ . وكلنا خطاؤون . كما يعلمنا الحديث الشريف ، على ان خير الخطائين التوابون ، نحمد الله اليه ، قابل التوب وغافر الذنب ، وهو سبحانه شديد العقاب .. للمكابرين ، الذين لايتراجعون .. وانما يصرون على اخطائهم والامعان فيها .

○ ○ ○

كتاب الأضواء

أعـود الى الاشارة .. بـان طموحـاتنا حـين اصدرنـا «الاضـواء» كانت أكبـر من امكانيـاتنا ، وليس لنـا من الامكانات شيء .. سوى عزائمنا . ومن طموحاتنا .. اننا فكرنا فى اصـدار سلسلة ثقافيـة ، بعد ان كـان همنا فى البداية .. ان نجمع مقالات للكاتبين ، يضمها كتاب نضع عليه اسمينا : محد سعيد باعشن وانا . ورغم ان امكاناتنا المالية ضعيفة جدا ، فنحن نعيش .. على مرتبنا الشهرى من الوظيفة الحكومية ، لان دخل الجريدة .. لايشجعنا على التفرغ للعمل الصحافى ، ولانا ندرك انه عمل غير مضمون الاستمـرار ، ذلك .. انـه محفـوف بـالمخـاطر ، وان الصحيفة .. يمكن ان تتوقف فى اى يوم ، ولاندرى أيطول بنا المسير أم يقصر ؟ وقد كان ماتوقعناه ، وهو الا يطول سيرنا فى دربنا الصعب .

اختمرت فكرة اصدار كتاب شهرى ، ونحن لاندرك .. انه ليس من السهل النهوض بهذه المهمة ، فكيف بنا نصدر كتابا فى شهر واحد ؟ هذا امر لايقـوى عليه الا دار نشر وامكـانات مـالية وبشـرية عـريضة ، فشهـر .. لايكفى

لتصحيح وطبع كتاب ، ومع ذلك بدأنا بما كنا نطمح اليه . فبدأنا بديوان شعر .. لصديقنا الشاعر الاستاذ محمود عارف «المزامير» ، وكتاب آخر بعنوان : « احاديث» للدكتور محمد سعيد العوضى ، ومجموعتين قصصية ، «الاذن تعشق وقصص اخرى» و«الحنينة» .. للقاص الاستاذ امين سالم رويحى وكتاب للدكتور حسن يوسف نصيف :

«مذكرات طالب سابق» وقمنا بتوزيع كتاب محمد حسن عواد» «سليمان بن عبد الملك» ، ولكنه لم يكن من سلسلة الاضواء ، كما طبعنا ديوان شعر الاستاذ عبد الله عبدالوهاب العباسى» «النار والزيتون» ، وكذلك .. كتابى «امواج واشباج» ـ مجموعة مقالات نقدية .

انها اول محاولة .. تقوم بها صحيفة ، وجهد شابين ليس لهما زاد سوى عشق الادب وطموح نفسيهما .. ودافع مايشبه التحدى ، ولكنه تحد لمن ؟ . اننا نتحدى انفسنا وقدراتنا وارادتنا ، ومع ذلك .. قدر لنا ان نثبت اقدامنا على الارض ، وان نكون فى مستوى المسؤولية ، فنحمل تبعة مانعمل ، يحدونا الامل والثقة فى عون الله ..

الى اننا نسلك منهاجا صحيحا وسليما ، حريا بأن ننهض به ، ونحن حريون بذلك ، لانا نرى انفسنا قادرين ومهيئين لهذه المهمة ، فهى كما نراها .. بعض اهدافنا ومااينبغى علينا اداؤه فى صبر واطمئنان نفسى ، لندرك غاية بعيدة ، ذلك ان جد العمل .. يوصل اليها ، وان طال المسير .. وبعدت الشقة .

كان املنا .. ان نصدر المزيد من سلسلة الاضواء الادبية والثقافية ، ولكن توقف الصحيفة .. حد من العزم ، فتوقفت السلسلة ، وطويت الصفحات وجف المداد ، وانكسر اليراع، وهكذا.. طبيعة الحياة ، فالازدهار يعقبه ركود ، ويتبع الركود ازدهار ، اذا كان فى العزم بقية ، وفى النفس ارادة ، وفى العمل طموح . فهذه العزمات .. تحقق مايشبه المستحيل لانها قوة لايفلها الحديد .. اذا كان عون الله يرعاها ويسندها ويحميها .

لقد كانت السلسلة .. التى اصدرناها ناجحة فى محتواها وقيمتها الفكرية والادبية ، لا أقول هذا .. لانى احد صاحبى الفكرة والاصدار والدفع اليها .. رغم انها مغامرة ، ولكن الكتب نفسها تثبت ماذهبت اليه ، يعرف ذلك الذين قرؤوها وعاشوا معنا .. الحقبة التى اصدرت فيها ، على صعوبة مافيها ، حيث كان الاديب لايقوى على اصدار انتاجه ، لتكاليف الطباعة وعدم ضمان التوزيع . واذا كانت شركات كبار .. احجمت اليوم عن النشر مع انها قادرة على الطباعة والنشر والتوزيع ، مثل «شركة تهامة» بامكاناتها العريضة ، فنحن اقدمنا على تلك المغامرة .. ونحن مدركون اننا لن نربح من وراء اصدار كتاب الاضواء ، ولكنا كنا نرى ان هذه المهمة .. مكملة لمهمتنا فى اصدار الصحيفة ، وينبغى ان يكون بجانبها اثراء فكرى ، ولاشىء سوى ذلك ، فنحن لم نعن بالسياسة ، لانه لاسوق لها عندنا ، ولا كفايات قادرة على الخوض فيها .. على نحو مانرى ومانسمع على ساحة الصحافة فى مصر ولبنان ..

كمثلين للعناية بالصحافة السياسية ، وماتمـارسه بقـوة وقدرة على التحليل والتناول .. ودعمها بالآراء النـاضجة والادراك العميق .. لمؤداها فى سبلها ومناهجها والتواءاتها وحيلها واللعب على حبالها .

ليس لنا من ذلك شيء ولانتوق اليه ، لانه لايهمنا ، ولاننا ندركه ، ولانه لامجال له على ساحة ارضنا يومئذ ، وانما نحن نعشق الادب والثقـافة ، ونـريـد .. ان نسهم بمـا نستطيع ، بل فوق مانستطيع ، لنثبت اننا قادرون ، واننا نتحدى انفسنا بما نصنع وبما نمضى فيه من هذه المغامرات غير مضمونة النتائج .

استطيع ان اؤكد .. اننا لم نحصل على نصف تكاليف ما اصدرنا من سلسلة كتاب الاضواء ، ولكنا كنا عشاقا لما نصنع لايهمنا الربح ، كما لم نأبه للخسارة ، ذلك .. ان مشكلة توزيع الكتاب عقبة كؤود فى ايامنـا تلك .. وحتى اليوم ، رغم اتساع وسائل النقل وسرعتها ، ولكن الكتاب لايحظى بشيء من عناية ، لاشراء ولا توزيعا .. ولانقلا ، وحتى قـراءة . فاصـدار كتاب مغـامرة .. غـير محمـود العواقب من الجانب المادى ، ليس فى ميزان الكسب ، وانما حتى الحصول على رأس المال .ولعل بعض الكتب الهزيلة ، تنال الكثير من العناية .. اكثـر مما ينـال الكتاب الجـاد والافكار الهادفة البناءة ، لان بعض الناس .. لايريـدون الجد والعناء فى قراءة كتاب والاحتفاء به واقتنـائه . ولا أتصور ان توزيع كتاب ما .. يتطلب سعيا ورجاءات واراقه ماء الوجه .. لتشتريه المؤسسات ونحـوها ، وانمـا قيمة

الكتاب فيه ، جيدة ام رديئة . والكتـاب العربي مهـزوم اليوم ، وان حاول بعض المتفائلين .. ان يتجاوز تفاؤلهم الواقـع ، الذي لاجدال فيـه ، فيقولون : الكتـاب بخـير والقـارىء مـوجـود ، ويعلل بعضهم بـأن العـزوف عن الكتاب .. مرده رداءة الكتاب نفسه . وهذا رأى فائـل ، فحتى الكتاب الجيد .. قليل جدا قراؤه ، بل هم أقل من القليـل . والمتفائلون .. ليس عنـدهم احصـاء ولا رؤيـة واضحة ، ولاتقديـر صحيح ، وانمـا هم متفائلون بغـير تفـاؤل ، ويحسبون بـلا حساب ، ويقـدرون .. من غـير تقدير . ليس عنـدهم حسابـات .. الا اوهام وتخمينـات ونظرات وردية ، يلقون بها .. لتزجية الوقت واضفاء اشياء لا وجود لها ، وهذا كلام للاستهلاك كما يقـولون . وليت الذى نسمعه من هؤلاء حقا ، وكم أتمنى .. أن يكون كذلك ولكن (الماء يكذب الغطاس) كما يقول المثل،غير ان الحقائق أقوي من التمني والتفاؤل ، وذلك حين نرى فتاة او فتى .. يشترى كل منهما حذاء باربعمائة ريال ، وحين يصل إلى المكتبة .. يستكثر ان يدفع عشرين ريالا ثمن كتاب ، أليس هذا مقياسا .. لاهتمام الناس بالمـظاهر واهمـالهم غذاء العقل من المعرفة ؟ وهل أنا محتـاج إلى المزيـد من الأدلة ؟ لنسأل اذن ناشراً .. كم يطبع من أى كتاب ؟ أهم كتاب فى نظر من يكـون لايصرف أكثـر من عشرة آلاف نسخة مهما كان . ولاأريد أن أقيس على كتاب ما .. طبع اكثر من مرة ، لأن القارىء فتش عنه ، ليرى جديـدا .. سمع عنه ولم يره ، مثل كتب « مصطفى أمين » .. مما ذاق

من مرارة فى السجن ، أو كتاب أو اثنان . هذه مسألة لايقاس عليها .. فى بلد فيه سبع جامعات ، وعشرات المدارس الثانوية والمعاهد العلمية . غير ان الإعراض عن المعرفة الحقة الجادة .. أصبح شيئا غير خفى وغير مجهول ، وانما الاهتمام بالقشور ، ثم بالملخصات التى لاغنى فيها .. هو كل شيء ، عند الكثير من الطلبة والناس .. الا ماندر او قل ، والقليل يسير . ولم أفكر .. وقت اصدرت الرائد ان اجعل لسلسلة الأضواء امتدادا ، فالتجربة أصبحت غير مشجعة ، لأنها غير ناجحة . لايكفى العناء .. فى طبع الكتاب واختيار الجيد وهو قلة يومئذ ، وقد تضطر مكرها .. ان تجامل على حساب القارىء والمعرفة ، فتقبل مالايقبل ، وكذلك عناء البحث عن الكتاب الجيد .. واحتمال هموم طبعه واصداره والنفقة عليه ، ومع ذلك لاتستطيع أن تحصل على نصف ماأنفقت من مال ، دع الجهد الضائع والعناء وتحمل المسؤولية . ولابد أن تهدى الناس من كل كتاب تطبع ، ولابد كذلك ان تقدم لزائرك .. أو الذى يكتب اليك ، يطلب ان تمده بكتاب كذا وكذا مما طبعت ، وعليك .. ان تتحمل قيمة شحنه الى جانب تغليفه وتقديمه مجانا ، ويسعى اليك من يرغب ان يحصل على ماطبعت ، ولايريد ان يدفع من جيبه قيمته الى المكتبة التى تبيعه ، وهو يدفع الكثير .. من أجل توافه كثيرة فى الحياة ، ولكنه يبخل أن يدفع ثمن كتاب . لذلك استبعدت من ذهنى التفكير فى احياء سلسلة الأضواء .. لتكون امتدادا فى الرائد ، لأن التجربة اخفقت ، لا لسوء الاختيار والتقصير

من قبلنا ، ولكنها ترجع الى اعراض القارىء وغياب وسائل التوزيع .

واذا التمسنا العذر للأمس ، قبل سبع وعشرين سنة ، بالقياس الى ضيق التعليم وانعدام وسائل التوزيع ، فما هو العذر اليوم ؟ قد يقال ان المطابع .. تقذف بالكثير من الكتب الجيدة والرديئة ، وهذا صحيح ، ولكن على القارىء الجيد وهو « قلة » .. ان يتخير . اما اغلبية القراء ، فانها تبحث عن الرخيص من الكتب .. التى تداعب الغرائز والمجلات الحفيلة بالصور المغرية وصفحات « الكرة » .. فى كل الصحف بغير استثناء . وحقيق .. ان ابناء المدارس .. لايقرؤون الا الصفحات الرياضية ، ويرمون ببقية الصفحات الأخرى المختلفة ، وفيها الكثير مما ينفع ، لو حاولوا .. لاستطاعوا واستفادوا مما يقرؤونه .. والعلة .. ان حب القراءة لم يغرس فى نفوسهم منذ ان التحقوا بالمدارس ، وهى خطوة اساسية مهملة .. اهمالا تاما فى مدارسنا ومناهجها ، والبيت لايدرب ولايغرى بالقراءة ، لأن مافيه مشغول او جاهل . ولو عنت وزارة المعارف والرئاسة العامة .. لتعليم البنات بدفع الطلبة والطالبات الى القراءة .. لأثمر هذا العمل ، ولأصبحت عندنا اجيال .. تهوى القراءة ، وقد اصبحت عندها عادة ، كما نرى عند الغربيين والأمريكيين ، الذين يحثون التلاميذ منذ السنة الأولى الابتدائية على مراجعة المكتبة واختيار كتاب ليقرؤوه ، وتبدأ الممارسة ، ويعان التلميذ على اختيار كتاب يتفق وقدرته .. بل وميوله ، ويدفع الى القراءة الحرة فى كل

شيء .. وحتى فى جامعاتنا .. لايوجد شيء اسمه القراءة ، والنتيجة . ان يتخرج فى جامعاتنا طلبة اميون ، لأنا اهملنا جانبا مهما .. هو القراءة . ولاأدرى ماذا يقول خبراء التعليم فى وزارة المعارف والرئاسة العامة للبنات ؟ وماذا يقول كذلك الموجهون التربويون والمستشارون والمختصون .. وغير المختصين ؟ كثيرة الألقاب والأسماء ، ولكن مايعنينا النتائج .. التى تثرى التعليم فى جميع جوانبه ، فهل حققنا هذا ، أم ان التعليم منحرف مساره ؟ ورغم مايكتب فى الصحف .. من المبادأة الى تعديل المناهج ، والأخذ من غيرنا من الدول المتقدمة والمتطورة .. الى آخر ماوصلت اليه من رقى تعليمى ، نأخذ منها .. مايطور التعليم عندنا ، ونترك السبل العقيمة الجامدة ، لننهض بالتعليم ، فان اصوات الكاتبين .. كانت صرخات فى واد ، لم تسمع ولم تناقش ولم يستجب الى شيء مما نادت وتنادى به . وسيظل التعليم راكدا .. متخلفا ، مالم يلتفت فيه الى الكثير من التطور والتغيير والتحول .. الى مسار جديد ، يماشى حركة الحياة ومتطلبات التغيير والتجديد . وانه لمحسوب علينا .. هذا الركود والجمود ، تحسبه علينا الأجيال القادمة والتاريخ ، ويحملنا التقصير . ونحن قادرون على العمل ، ولكنا لم نفعل شيئا .. يعين جيلنا الحاضر فى حياته التعليمية ، وسوف يجد الجيل المقبل ركاما يثقل كاهله ، لابد ان ينبذه وراء ظهره .. ليستبدل به جديدا ، يرضى نفسه وعقله والحياة التى يعيشها ، لا حياة اجداده وعصرهم ، وانما الحياة المتجددة .. بمتطلباتها

واهتماماتها .. وعلومها الحديثة ونموها المطرد .. وسعة آفاقها وطموحات اهلها وجيلها وانسانها .. اينما كان ، وحيثما وجد ، لأن الحياة نمو وتجدد .. وتغيير وتطور . الحياة حضارة ومدنية ورقى .. الى ابعد مايخطر على بال الانسان .. غير الجامد ، الذى يكتشف كل يوم جديدا .. فى عالم الابتكارات والكشف ، ذلك انه مطالب ان يعمل .. وان يضرب فى الأرض ، وينقب وينظر ماذا فى السماوات والأرض ، وان يتأمل ويبحث ويدرس ، ليزداد كل يوم علما من علم الله ، الذى جعل منه على ارضه خليفة .. ليعمرها ، وينهض بالحياة فيها ، ويعلمه خالقه .. المزيد مما يتطلع اليه ، ويعطيه قدرات ، تتيح له .. ان يعمل مايريد ، وان يرقى عقله كل يوم بالجديد الذى يصل اليه ، لايحد من نشاطه وسعيه شىء ، ليحصل مايستطاع الى ذلك سبيلا ، حتى تأخذ الأرض زخرفها وتتزين ، ويظن الانسان فيها .. انه قادر عليها ، بما وصل اليه عقله وعلمه القليل ، ويبلغ به الطغيان مداه ، فلا يرى قادرا غيره .. ولا مالكا للأرض سواه . حينئذ يأتى امر الله .. ليلا او نهارا ، يختار مالك الملك التوقيت ، لأنه .. لايسأل عما يفعل ، ولأنه وحده القادر .. القاهر القوى العزيز : « فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ..

○ ○ ○

بعض الصديق ١٦/١٠

لو شئت .. ان استعرض الأسماء التى تعاونت معنا فى اثراء مسيرة صحيفة الأضواء ، فسوف لانجدها كثيرة ، وانما هى كثيرة بقيمتها وقيمها وعزائمها .. ووعيها وتقدير مسؤولياتها الأدبية ، واداتها بأمانة ورضا .

ذكرت فيمن ذكرت الأستاذ محمود عارف والدكتور محمد سعيد العوضى ، واذكر كذلك الأستاذ محمد حسن عواد ، فقد كان يكتب الى الأضواء . ولكنه .. غير متوجه اليها التوجه كله ، فبالرغم ان محمد سعيد ابن اخته ، الا انه كان يرى اننا شابان لم ننضج بعد ؟ فهو يكتب الينا تارة ، ويكتب الى جريدة البلاد السعودية تارة اخرى ، وماكنا لنثقل عليه .. بأن يلتزم بالكتابة الينا وحدنا ، ذلك ان هذا يكلفنا ان نكون اداة بيده ، وقد يقبل محمد سعيد ذلك .. على نحو ما ، ولكنى انا لاأقبل ذلك ، وان كنت لاأكبر على المشورة والنصح ، ولكنى لاأقبل الهيمنة والسيطرة من أحد .

ومن الأسماء فى الأضواء الأستاذ « عبدالله العباسى » وقد ذكرت اسمه آنفا .. حيث نشرنا له ديوان شعر

بعنوان : « النار والزيتون » ، فقد كان ينشر عندنا شعره ، ويشارك فى اجتماعاتنا واماسينا . وكذلك المرحــوم « على عوض على » الشاعر ، كان رجلا رقيقا حساسا لطيفا ، كان ينشر قصائده بين الحين والحين ، وكان صاحب دكان يبيع فيه الذهب والمجوهرات .

ومن الأسماء المعروفة فى الأضواء .. الصديق الأستاذ « احمد عبدالله القاسى » . كان يكتب المقالات والقصائد ، وكان رجلا حماسيا ، التصق بنا .. فى ندواتنا واجتماعاتنا العامة فى ادارة الصحيفة ، لايغيب عنا الا نادرا .

وأستاذنا احمد عبدالغفــور عطار .. كــان يكتب الينا ويتحفنا بمقالاته الراكزة .. الملأى علما وأدبا وجمال بيان ، وهو يومئذ .. لم يصبح بعد صاحب جريدة « عكاظ » ذلك ان عكاظا عاصرت الرائد .. فيما بعد مرحلة الأضواء .

وكان بين الأستاذ العطار .. والأستــاذ محمد حســين زيدان « ملاحاة » ، وكان الأستاذ الزيدان ان ينشر مقالاته فى البلاد السعودية ، ورئيس تحريرها يومئذ الأستاذ فؤاد شاكر ، بعد الاستاذ عبالله عريف ، وكان الاستاذ العطار ينشر عندنا ، فجنح الأستاذ الزيدان .. الى الاساءة الينا ، دون ان نسىء اليه فى ظننا ، فنحن وسيلة نشر ، ومع ذلك فلم ننشر كــل مــايسىء ، ذلك ان فى النفس بقيــة من قيم واحترام واعتدال . كتب الأستاذ زيدان كلمة هجومية .. يعرض فيها بالأضواء ، فوصفها بــالصحيفة الجــائعة ، التى تنشر كل ماتعثر عليه ، او يصل اليها ، ولعله كــان يريد .. نقد كتابات العطار . ولو كتب الينــا لنشرنــا له ،

ولكنه ترك صاحبه .. وتحول الينا ، ونحن يومئذ .. نتقد ولانتقبل اى مس بنا .. الا اذا كنا مخطئين ، فلا نكابر فى الخطأ ، وانما نعتذر ونتراجع ، فأنا التزم بـالتوجيـه .. الكريم القائل : « رحم الله امرءا اهدى الينا عيوبنا » .

ورددنـا على الأستـاذ الزيدان بكلمـة .. كتبتهـا انـا بعنوان : « عيب ياأستاذ » . كانت كلمة عنيفة . نشرت فى العدد « ٨٣/ ٨٤ » من الأضواء ، وقابل الأستاذ زيدان .. زميلنـا الأستاذ أمـين رويحى .. فقال له : قـل لزملائـك واصحابك : « أحبب حبيبك هونا ما .. عسي أن يكون عدوك يوما ما ، وابغض عدوك هونا ما .. عسى ان يكون صديقك يوما ما » . فقلت للأستاذ الرويحى : إذا رأيت الأستـاذ زيدان فقل له : « الخير بالخير .. والبادىء أكرم ، والشر بالشر والبادىء أظلم » . وتوقف الأستاذ الزيـدان ، ولم يعد .. يجر شكلا معنا ، ولا يتعرض الينا بما نكره . ونحن قد رأينا فى هجوم الزيدان .. على صحيفتنا وعلينا نوعا من الاعتداء ، ولم نخرج عن قول الله عز وجل : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه .. بمثل مااعتدى عليكم » ولم نـطق الجزء الباقى من الآية الكريمة .. وهو الصبر ، لأنا فى سن لاتحتمل مانراه مساسا بنا ، ونحن قادرون على الانتصار لأنفسنا ، ودفع مقولة السوء عنا ، ومادام القـرآن .. قد أجـاز لنا ان نـرد عـلى الاعتـداء بمثله ، فمن حقنـا الا نصمت .. لأننا نرى فى الصمت هزيمة وجبنا وضعفا ، وأنه صب علينا الخطأ ، ونرى .. اننا لم نرتكب خطأ يـوجب هجـوم الأستاذ الزيـدان او غيره ، لأنـه أقدر منـا عـلى

الكتابة ، لطول باعه فيها ، وانه قادر .. على ان يخيفنا ، ونحن لانخاف الا ذنبنا وربنا ، ورأينا .. اننا لم نذنب مع شيخنا ، وان صمتنا امام هجمته علينا عجز فينا ان لم نرد عليه ، حتى يتجنب ان يعيد الكرة مرة اخرى ، حينما ينتقده ناقد فى صحيفتنا ، او تقوم .. بينه وبين احد الكاتبين معركة . أيا كان مردها وغايتها .. ومؤداها . وفى عهد « الرائد » ربطت بينى وبين الأستاذ الزيدان صلة . وأصبح يكتب إلىّ .. لأن الأستاذ .. كاتب ، ولكتاباته مذاق خاص وطابع مميز ، وأسلوب سلس مجنح جميل ، وله تخريجات خاصة بديعة ، فهو نمط فريد .. فيما يكتب ويتحدث ، لأنه مبدع ومفن ، يعنى بجمال الأسلوب ، والكلمة الهادفة ، والأداء الأخاذ ، لأنه صاحب منهج اسلوبى متفرد .. مرد ذلك قراءته الواسعة فى الأدب والتاريخ ، واحاطته الواسعة بالانساب ، فأنا لاأغمطه حقه .. وان اختلفت معه مرة ، وان اتخذ منى موقفا مرة اخرى ، فالحق احق ان يتبع .

كما ان الأستاذ احمد عطار .. رجل متميز ، ادبا وفقها وسعة احاطة لغوية جامعة ، وهو رجل منطق وجدل ، قوى فى حججه .. التى يسوقها فى صراعه ومعاركه الكثيرة ، مع الأستاذ الزيدان وبنت الشاطىء والعواد وأبى تراب .. وكثيرين آخرين ، فهو رجل مقاتل بالكلمة ، لاتنقصه الأدلة .. التى يفحم بها خصومه ، لأنه رجل منطق .. حجة فى تناوله للنقد ، من سعة اطلاعه ، وعمق معارفه .. ونباهة رأيه ، وهو إمام من أئمة اللغة العربية .. وصاحب منطق فى

الجدل لايبارى ، يخشاه الكثيرون ، ويصدفون عن مواجهته ، لأنهم يخشون الغلبة عليهم منه ، ويؤثرون العافية .. من منازلته والتصدى له ، فهو رائد وحجة فى القول .. لأنه يملك نواصيه ومنطلقاته ، ويدرك بعمق اهدافه وتخريجاته المنطقية ، ومعانيه البعيدة والقريبة وأغواره ومدلولاته وانعكاساته ، وجواهره وأصدافه ، وزيفه وصحيحه ومؤداه وكنهه وباطله وصدقه ، وقوته وضعفه .. فى كل الأحوال ، زمانية ومكانية .

اننى .. لا أؤرخ لأدب ومنهج الأستاذ العطار فى الكتابة والتناول ، فكتبه القيمة الثرية ، وفكره الغنى بالدراسة الجادة القوية ، يجدها الدارس امامه ، فى اللغة والأدب وتاريخ الأديان والتاريخ والفقه والحديث ، فهو رجل حجة فى زمانه ، وأنا لاأثنى عليه بما لايستحق ، ذلك .. انه يستحق ان يشاد بجهده وعلمه الواسع .. وثقافته العريضة ومعارفه العميقة ، وانما انا اشير اشارة عابرة .. وانا اكتب عن تجربتى الصحافية فى فترة من فترات تاريخنا الصحافى .. وماحفلت به من احداث ليس بد من الاحاطة بها .. والتنويه بها ، ليكون الحديث شاملا ومؤديا لأهدافه ومنطلقاته ، وماأحاط به من ظروف مختلفة ، جديرة بالتسجيل والاثبات ، ليعرف الجيل الجديد .. مرحلة من مراحل صحافة بلاده .. وماحفلت به ، ومدى اهتماماتها .. فى مرحلة البناء والتطور .. اللذين عاشتهما البلاد ، وبدايات الحركة الصحافية ، التى أرخ لها من يعنيهم الأمر .. مثل الدكتور « محمد عبدالرحمن

الشامخ »[١٢] ، والأستاذ « عثمان حافظ »[١٣] ، والأستاذ « محمد ناصر بن عباس » [١٤] . والأستاذ « حسن عبدالحى قزاز » [١٥] . وأمثالهم ، مما قد نرى .. من الذين أرخوا لصحافتنا وانطلاقتها وتطورها .. منذ نشأتها ، فى العهد العثمانى الى اليوم .

○ ○ ○

(١٢) نشأة الصحافة فى المملكة العربية السعودية

(١٣) تطور الصحافة فى المملكة العربية السعودية

(١٤) موجز تاريخ الصحافة ، صدر عام ١٣٩١

(١٥) مشوارى مع الصحافة ، صدر فى جدة عام ١٤٠٤هـ .

مرحلة الدمج

حينما توسعت صحافتنا ، وأخذت تتناول بالكتابة الكثير من الموضوعات رأى ولى الأمر انه لابد من دمج الصحف .. بعضها فى بعض ، وعلل هذا الرأى .. بأنه يخدم الصحافة ، ويؤدى الى تقويتها .. حين تتضافر الجهود ، وينضم بعضها الى بعض .. فتقوى ، وتعمل معا لهدف واحد .. بجهد او جهود مجتمعة فى البوتقة الصحافية .. اجتمع جلالة الملك فيصل ، ولى العهد يومئذ بأصحاب الصحف : البلاد السعودية وحراء والندوة وعرفات والأضواء ، وحضر الاجتماع .. حتى اصحاب الصحف الذين يصدرون صحفا فى مدن لايوجد فيه اكثر من صحيفة واحدة مثل اليمامة ، التى كان يملكها الأستاذ « حمد الجاسر » . ذلك ان الصحافة .. كانت مركزة ومتعددة فى الحجاز ، فى المدينة المنورة صحيفة ، وفى مكة : حراء والندوة والبلاد السعودية وفى جدة عرفات والأضواء . طلب ولى الأمر .. من اصحاب الصحف ان يجتمعوا وان يتفقوا على الدمج واعطوا مهلة ستة اشهر .. ليتفقوا خلالها على الدمج ، واذا لم يصلوا الى نتيجة ، فان

الدولة سوف تتدخل وتمارس الأمر بمعرفتها وامرها .

خلال هذه المهلة .. التى اعطيت لأصحاب الصحف ، توقفت صحيفة الأضواء .. كما اشـرت انفا ، وبقيت فى الساحة الصحف الأخرى .. التى اشرت الى اسمـائها . وانتهت المهلة ، ولم يتم شيء مـن اتفاق بين مالكى تلك الصحف ، لأنـه لايمكن ان يتم اتفـاق ، فكـل صـاحب صحيفة .. يرى انه مستقل ، وانه لايستطيع ان يندمج مع غيره ، كيف يكون اسم الصحيفة الجديدة ، وماهى اسماء الصحف .. التى ستلغى ، ولمن تكـون الرئاسة ، وكلنـا يحبها .. ويهتم بها ، ويريدها ان تكون له ، وان يبقى اسم صحيفته ، ولايريد المزاحمـة فى عمله ولا التدخـل فيه ، وكيف تكون .. او تسير سفينة فيها اكثر من ربان ؟ الى غير ذلك من اوجه الرأى .. والاختلاف فيه ، وانانية الانسان ، وحرصه على اسمه ومكاسبه واستقلاليته .. ونفـوره من المشاركة ، لأنها لاتوصل الى فضول الانسان واطماعه .

لا جناح على أن أقول : ان اصحاب الصحف .. كان معهم الحق فى تخوفهم من عاقبة الدمج ، لأنه يؤدى الى اضعاف الصحافة والتقليل من شأنها ، لما قد يحدث من اختـلاف بين ربـابين السفينـة الواحـدة .. فى قيـادتهـا ومسيرتها وخـطها فى اداء رسـالتها وتـطورها وقـوتها ، والدمج .. لايحقق هذه الطموحات ، ولا الاستقلالية ، ولا ادل عـلى ذلك .. من النتائـج النهـائيـة التى آلت اليهـا صحافتنا ، وهى قيام المؤسسات الصحافية ، لم يتفق اذن اصحـاب الصحف .. فيمـا بينهم ، كمـا طلب اليهم ولى

الأمر ، وكانت النتيجة .. ان تدخلت الحكومة ففرضت الدمج ، فأصبحت عرفات والبلاد السعودية صحيفة واحدة ، سميت بـ « البلاد » وتولى رآسة تحريرها الأستاذ « حسن قزاز » .. صاحب « عرفات » واصبحت الندوة وحراء .. صحيفة واحدة هى « الندوة » واصبح القزاز مع الشركة العربية للطبع والنشر .. صاحبة البلاد السعودية والتى يملكها الشيخ « محمد سرور الصبان » شركاء ، وتخلى الأستاذ احمد سباعى .. صاحب الندوة .. للأستاذ صالح جمال .. صاحب حراء لقاء تعويض مادى .. وبذلك اصبح فى مكة جريدة واحدة هى الندوة ، وفى جدة البلاد ، واختفت حراء وعرفات .. اما « الأضواء » .. فلم يدركها الدمج ولم تدركه ، لانها اختفت قبل ان يحل اجل هذا الدمج .. الذى طرح ، واصبح حقيقة بأمر ولى الأمر .

نهضت البلاد .. على يد الأستاذ حسن قزاز ، بعد ان تعثرت ، اثر ترك الأستاذ عبدالله عريف لها ، وآلت رآسة تحريرها بعده الى الأستاذ فؤاد شاكر .. يرحمه الله ، والأستاذ شاكر .. وان كان صحافيا قديما متمرسا ، الا انه لم يتمكن من جعل صحيفته قوية .. ذات شوكة ولها مركز ودور وموقف ، ولكنه رجل شاعر وأديب مسالم متحفظ ، لايصادم .. ولايحب الصدام والعراك .. وينأى عن المشاكل ، لذلك .. فقد ظلت البلاد السعودية فى عهده .. صحيفة ضعيفة هزيلة . ليست بذات خطر ولا قوة ، وانما هى صحيفة يومية كأمثالها .. من الصحف التى يؤثر اصحابها العافية ، وليس لهم ولصحفهم الا

الأسماء المجردة .. من معنوية الصحافة الجـادة ، التى تتأثر بما حولها ,تؤثر هى بدورها .. فيما تتناوله بالبحث والكتابة والنقد والرأى .. الذى يسمع له ويحسب لما تقول وتتنــاول ، البلاد اذن أشبــه بالصحيفـة الرسميـة « ام القرى » .

ولكن الأستاذ القزاز .. جعل من البلاد صحيفة مقروءة بجهده وعلاقاته .. وتناوله للخبر ، وفتح صفحات الجريدة للرأى واستقطابه أقلاما .. فيها جرأة وقدرة على التناول والتأثير بما تكتب ، وبدأ يعطى مكافآت للكاتبين ، واصبح للجريدة مراسلون وبعض المكاتب فى المدن أو أهمها ، مثل مكـة والريـاض . عنى بـالخبـر والصـورة والتحقيقـات الصحافية والتعليقات السياسية الخفيفة ، وبـالاخراج الجميل المتطور ، وحسن قزاز يجرى وراء الخبـر المحلى بنفسه ، وعبر عـلاقاتـه الشخصية بـالمسؤولين ، وذوى المراكز والعلاقات العامة فى دواوين الحكومة والمؤسسات ، حتى اصبحت جريدته مقروءة .. واتيح لها انتشار على قدر ماأتيح لها . كان يجرؤ احيانـا ويحجم احيانـا اخرى ، حسب مـايسمـح بـه المنـاخ الصحفى .. من تنـاول للموضوعـات العامـة ، ذات الحساسيـة . وهكذا حـال الصحافة فى الدول النامية .. تقفز تارة وتحجم اخـرى ، تتقدم خطوة وتتراجع خطوات ، حال مزاوجة .. وحال مد وجزر ، جمز احيانا .. وتراجع احيـانا اخـرى .. مسألة اجتهادات فردية . والانسان يسبح ، لايدرى .. اهو ضد التيار ام معه ، لأن الأمور امامه .. ليست واضحة ، الحياة

عتمة وضباب ، وليس امام السائر .. او السابح فى اليم او النهر .. رؤية واضحة ، ليس امامه منهاج .. حتى يحدد او يعرف كيف يسير ، وكيف يلتمس طريقه الى ماهو الصح ، وماهو الغلط ، وأين يكمن كل منهما ، وكيف التوقى من الخطأ ، وهو خطأ .. فى عرف من ؟ ماهو خطأ عندك .. قد يكون عندى صحيحا ، وماهو صحيح عندك .. قد يكون عندى خطأ . قد تكون المسألة نسبية .. فى صميم كل من الرأيين ، وكذلك الأهداف والمفاهيم بين انسان وانسان . قضية ازلية قديمة ، حتى الحرية فى معانيها نسبية ، ولا اعنى الحرية المطلقة ، فليس هناك شىء منها ، واذا وجدت .. فانها تتحول الى الفوضى ، وانما هناك حرية .. تحكمها اعراف وأسس وقوانين وتشريعات ومفاهيم .. تعارف الناس عليها ، ولكن ماحدود هذه الحرية ، وأعنى المتزن منها ؟ نحن نقرأ ونسمع .. انها تنتهى عندما تصل الى حرية الآخرين ، فما حدود ذلك ؟ ، قد يختلف المعنى من حال الى حال ، ومن موقف الى موقف . مثل قضية الانتقاد ، اذا سلمنا ان له حدودا فاذا التزم بالحدود المشروعة فى الاسلام (مثلا) .. او بالقياس الى الحياة الديمقراطية ، الديمقراطية التى لاتتعارض مع روح الاسلام .. واهدافه ومثله وعدله والحق فيه . هل اذا مارس الانسان حياته فى هذه الحدود .. يعاب ؟

ومن مفهوم اوضح : هل الانتقاد .. بهدف الاصلاح وتقويم الاعوجاج .. خروج على القاعدة السليمة ، التى

تسمح ، بأن يمارس الكاتب مثلا عملية النقد ، لأنه رأى اعوجاجا ؟

ان سلفنا الصالح .. كان يطلب ممن حوله من وزرائه ورفاقه فى الحكم أن يقوموا اعجاجه .. اذا رأوا منه ذلك . ثم ماهى حدود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ . الحديث يطول فى هذا الموضوع .. ويتشابك ، ويأخذ مسارات كثيرة مختلفة وتختلف فيه الآراء ، ولكن الحق له وجه واحد .. وهدف واحد ، فليس هو عملة لها وجهان ، وانما الحق ابلج كالصبح المضىء المشرق ..

لاتكون حياة مثلى .. الا فى ظل حرية كفلها تشريع السماء للانسان على الأرض ، يمارس حياته من خلالها .. فى أمن وأمان .

وحياة بغير حرية مثل الماء الراكد الآسن .. والحرية اشبه بالماء الجارى الطاهر النقى الصحى .. الذى يبهج منظرا وريا وجمالا ، ينبت الأرض بالثمرات .. ذات الطلع الجميل ، الزرع والرمان والزيتون والأعناب والنخل .. ذات الطلع الهضيم ، المتشابه وغير المتشابه .. الذى أمر الله عباده .. ان يأكلوا من ثمره اذا اثمر وان يتأملوا ينعه ، ففى كل ذلك آيات للمؤمنين .

ونهض الأستاذ صالح محمد جمال بجريدته الندوة ، اكثر مما نهض بها الأستاذ السباعى ، لأن الاستاذ جمال .. ينفق والأستاذ السباعى قليل الانفاق .. لاسيما مايتعلق بالكاتبين ، فالكاتب الجاد المقروء .. لايكتب بالمجان ، وهو ان جامل مرة .. لاتستطيع ان تطالبه بأن

يكتب اليك على الدوام .. دون ان يتقاضى كفاء جهده وعنائه فى الكتابة .. وقلة جدا .. الذين لايطمعون بما يكتبون .. ولعلى اذكر منهم الدكتور محمد سعيد العوضى ، والأستاذ العطار .. يوم كان يكتب للأضواء .. وكذلك استاذنا محمود عارف ، واستمر معى الدكتور العوضى فترة صدور الرائد ، فلم يأخذ منى ريالا واحدا ، وكذلك الطبيب الشاعر الأديب الدكتور عارف قياسه ، واستاذنا العارف وآخرين كثير ، اعانونا واعانونى .. بأفكارهم ومعارفهم ، من اجل الصداقة وحب الوفاء واثراء للحياة الثقافية .

نهض اذن .. كما قلت الأستاذ صالح جمال بالندوة بعد ان استقل بها .. كبديل عن جريدته « حراء » . وفتح صفحاتها لكاتبين شجعان فى الصراحة ، وفى مقدمة هؤلاء استاذنا « احمد عبيد » . الصحافى المخضرم والكاتب ، صاحب الأسلوب القوى المتين ، والشجاع .. الذى لايهاب ولايخاف ، وانما يقول كلمته الرصينة القوية ، ويطلق نفثاته الحرى .. غير متردد ولا وجل ، لأنه لايحب نفسه وقلمه .. ان يكونا مستخذيين ، يتملقان ويداهنان .. ويضربان على وتر التزييف والرياء ، وقلب الحقائق .. والمواربة ، من اجل جاه او منصب . عرفت شجاعة وصدق واخلاص الأستاذ احمد عبيد منذ ان اصدر مجلة الرياض فى جدة .. فى عام ١٣٧٣هـ .. إبان بداية عهد الملك سعود رحمه الله .. ثم حين اصدر « صرخة العرب » فى مصر .. بعد ذلك ، فكان الرجل الصادق لأمته ودعوته لها .. الى ان تنهض ، وان تعى المخاطر التى تحيق بها ، والمخاوف من

حولها ، ولن تقوى .. ولن تنتصر الا اذا اتحدت كلمتها ، وقويت شوكتها ، وكانت صفا واحدا .. امام اعدائها والمتربصين بها ، غير ان صرخات استاذنا الجادة القوية .. ذهبت ادراج الرياح ، لم تجد اذنا صاغية ، ولم تجد استجابة من احد ، فالأمة العربية مبعثرة ، يصدق عليها قول الله عز وجل : « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .

كان لكلماته فى الندوة .. على الصفحة الأولى : بعنوان : « رأى من الشعب » .. اصداء بعيدة قوية فى البلاد ، كان كل الناس يتابعونها بشغف وتتبع وحرص .. على قراءتها ، ومن لم يحصل على جريدة الندوة ، يفتش عنها .. عند صديق ، ليقرأ الجديد والرأى الناضج القوى .. بقلم هذا الكاتب الأثير عند قرائه ومحبيه .. والحافلين به ، والمهتمين بكتاباته وجده ومتانة اسلوبه ، وجميل ادائه وفطنته ، ومنهاجه القويم الشجاع .. فى التناول . كان مايكتبه نقدات حرة ، لأنه رجل حر .. جرىء ، لايقبل الضعف والاستكانة ، ولايرضى لقلمه ان يسخر فى التوافه .. ومالا ينفع ، فقد آل على نفسه دائما .. ان يكون لصوته صدى ، ولقلمه اثر وتأثير وقوة ، مستمدة من قوته هو ومن نفسه الطموح ، وهو لايكتب .. الا اذا وجد المناخ الذى يحقق لكتاباته .. مايريد هو لوطنه من العزة والرقى والتطور .. والحياة الكريمة ، التى تليق بالأمة الناهضة .. القوية ، للأمة الجادة ، التى تأخذ بعظائم الأمور .. لا بأدناها وايسرها ، لأن الحياة قوة وارادة وعزم ، وأولو العزم قلة ..

فى كـل زمان ومكـان ، وماأكثـر مـايتعـرضـون للهـزات والتصدى والمحاربة والكبت والعنت ، لكنهم يصبرون .. وتهون الدنيا فى اعينهم ، ذلك ان لهم ضمائر حية نابضة ، فبرغم .. انهم يؤثرون الخير والمعروف ، الا انهم اصحاب رسالات لايثنيهم عن ادائها الحرب العوان والقمع ، ولا الاغـراءات .. التى تحد من الانـطلاقة الجـادة فى اداء الواجب ، ورسالة القلم أمانـة ، لاينهض بها .. الا اولو العـزم من القلة القليلة جدا .. فى الحيـاة ، انها رسـالة خطيرة ، اشد مايكون الخطر وامضه واشقاه واعنته . تلك هى الحياة ، والناس انماط فيها ، جاد وهازل ، ونمط بين بين بين ، وآخر .. لا الى هؤلاء ولا الى هـؤلاء ، فسبحان خالق الناس .. مشارب مختلفين ، سراة وخساس ، كما يقول ابن زيدون . والأستاذ احمد عبيد .. كان من السراة بلا مراء ، فهو من الرجال القليل فى النائبات . كما يقول سيدنا على بن ابى طالب . كرم الله وجهه .

استمـرت الصحف بـعـد الدمـج .. الى ان قـامت المؤسسات الصحافية ، غير ان الدمج كان خطوة اولى .. او مقدمات الى المؤسسات ، الا ان الحكومة .. بعـد الدمج وقبـل المؤسسـات منحت امتيـازات لصحف جـديـدة ، فصـدرت الرائد فى غـرة ربيـع الأول ١٣٧٩هـ المـوافق ٤/٩/١٩٥٩م ، مجلة ادبية اسبوعية ، كما صدر العدد الأول من مجلة قـريش الاسبوعيـة يوم ١/٥/١٣٧٩هـ الموافق ٢/١١/١٩٥٩م ، وهى مجلة ادبية . وصدرت « القصيم » فى بريدة بتاريخ جمادى الآخرة عام ١٣٧٩هـ

لصاحبها « عبدالله العلى الصانع » وصدرت جريدة عكاظ بتاريخ ١٣٧٩/١٢/٣هـ لصاحبها الأستاذ احمد عبدالغفور عطار . رغم عملية الدمج ، فقد منحت الدولة .. امتيازات جديدة لاصدارات صحف اسبوعية ، باسم مجلات ادبية .. ماعدا صحيفة القصيم . وذلك نتيجة الحاح من طالبى الامتيازات ، وهى صحف ادبية ولكنها .. لم تقتصر . على الأدب وحده .

○ ○ ○

عهد الرائد

منذ ان اغلقت صحيفة « الأضواء » .. اخذت اكتب لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .. الأمير فيصل بن عبدالعزيز ، لكى يمنحنى اذنا باصدار مجلة ادبية اسبوعية ، واعلل .. فى طلبى ، بأننى لست مسؤولا عن الأخطاء .. التى وقعت فيها الأضواء ، لأنى لست رئيس تحريرها ، ولست صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيها . وأخذت أبعث بالبرقية .. تلو الأخرى بين حين وحين .. من غير انقطاع ، ودون املال او يأس . حتى حينما يكون الأمير فى رحلة استجمامية فى الربيع .. بعيدا عن الرياض فى اقصى شمال البلاد ، كنت ابعث اليه بالبرقية ، ارجو والتمس الاستجابة لطلبى ، وكان الأمير فيصل « كحاكم » ، يحرص على ان يكون معه جهاز لاسلكى .. حين يكون فى البر ، بعيدا عن مراكز الحكم والمدن ، لمتابعة الأحداث فى البلاد ، وليكون على صلة بمجريات الأمور فى البلاد ، وعنوان الأمير معروف فى ادارات اللاسلكى ، ويعنون مرسل البرقية الى الأمير بـ « الشنطة » ، وهى جهاز اللاسلكى .. يحمل فى شنطة ، اشبه بجهاز الراديو الكبير .

طفقت .. ابعث بالبرقية إثر البرقية ، أطالب بمنحى اذن اصدار مجلة اسبوعية . اخذت منى هذه المتابعة والالحاف ثمانية اشهر ، حتى ظفرت ببغيتى . ولا انسى ذلك اليوم الجديد فى حياتى .. يوم بشرنى اخى الغالى ، الصديق الأثير ، الأستاذ عبدالعزيز الرفاعى ، وهو يومئذ .. فى مركز مهم رفيع بمجلس الوزراء ، بشرنى هاتفيا .. بأن الأمر قد صدر بمنحى امتياز اصدار مجلة اسبوعية ، فلم تسعنى الأرض من الفرحة وتعقبت الأمر .. فى المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر . وكنت قد اعلنت فى طلبى .. ان اسم المجلة التى ارغب منحى اذنها .. اخترت اسما لها هو « الرائد » .. وتلقيت كتابا .. من ادارة الصحافة بذلك [١٦] .

أخذت أعد العدة لذلك ، فاتصلت بالصديق « محمد حسين اصفهانى » من جديد ، لطبع المجلة عنده ، بعد ان توقف التعامل معه فى الطباعة .. بتوقف « الأضواء » ، فوجدت عنده الاستعداد ، وكان يطبع جريدة البلاد ، وفى فترة من الفترات كانت تطبع عنده صحيفة « الخليج العربي » التى تصدر فى الخبر لصاحبها الأخ الأستاذ « عبدالله احمد شباط » ، كما كان يطبع صحيفة « الأسبوع التجاري » التى تصدر فى جدة ، لصاحبها

---

(١٦) ضاع كتاب منحنا امتياز اصدار الأضواء ، كما ضاع إذن اصدار الرائد بعد احتجاب الرائد ، وتبعثر كل شيء يتصل بهما من المستندات والأوراق وكل مايتصل بها . وبقيت مجاميع الصحيفتين ، وهي البقية الباقية عندى .

الأستاذ « عبدالعزيز مؤمنة » وكذلك مجلة المنهل، لصاحبها الأستاذ « عبدالقدوس الانصارى » اخذت اشرع في الاعداد للرائد ، وكانت امكانات الاصفهانى قادرة .. على طباعة هذه الصحف ، فهو يمارس بنفسه الاشراف الادارى على المطابع ويداوم مع الموظفين .. ويخرج بعدهم ، وبجانبه عضده المتمرس الفطن .. الأخ « عبدالله باعكضة » ، الذى أمضى معه زهاء ثمانى عشرة سنة ، يعمل ويكد بجد واخلاص ووعى وفهم .. لمهنة الطباعة ، التى حذقها .. حتى اصبح مدير المطابع عند الاصفهانى ، والأخ باعكضة اخلاق وذوق وحيوية واداء متقن وانجاز .. لاسيما وقت تزاحم العمل فى المطبعة ، فهو ابن المواقف والحلول ، والهروب فى بعض الأوقات الصعبة ، وهو مضطر الى ذلك ، ولكنه انسان وفى محبب الى اصدقائه والمتعاملين معه ، وان كان قد اكتسب .. شيئا من « مقالب » الاصفهانى المشهورة ، والتى سجلها .. او سجل بعضها فى قصيدة جميلة .. الشاعر الفكه الراوية ، الخفيف الظل « محمد مصطفى حمام » .. يرحمه الله [١٧] ، وكان عنوان القصيدة « مقالب الاصفهانى » .

والدليل على نجاح الأستاذ باعكضة .. واتقانه لفن الطباعة ، انه انشأ مطبعة خاصة به .. بعد ان ترك العمل فى مطابع الاصفهانى ، فنجح وحقق مكاسب ، وتعامل معه الناس .. فى الشركات والبنوك ، وانتقلت مجلة المنهل الى

---

(١٧) راجع العدد (٦٨) تاريخ ١٣/١/١٣٨١هـ ص (١١) من الرائد

مـطبعتــه ، وطبــع كتبــا ، لاسيمـــا .. سلسلة « المكتبــة الصغيرة » لصاحبها الأستاذ عبدالعزيز الرفاعى ، وبعض كتاب « نادى جدة الأدبى » .. وغير ذلك من مـطبوعــات جمعية الثقافة والفنون بجدة .. ونحو ذلك .

موقف غريب ومثير !

قبل البدء فى طباعة الرائد ، لابد من الاعداد لذلك ، من حيث جمع موضوعات للنشر والاعلانات ، واخبار الناس بـالوليد الجـديد ، ثم التفكـير فى حجم المجلة .. وشكـل غلافها ، وغلاف المجلات الأسبوعية معضلة ، يعانى منها اصحاب المجلات كل اسبوع .. للوصول الى شكل الغلاف المتجدد ، قد يأخذ ذلك وقتا .. فى الدول النامية ، او بعضها على الأقل ، ويلاقى رئيس التحرير وجهازه حيرة فى اختيار شكـل الغــلاف ، او الحصــول عــلى غــلاف .. لاسيمــا وبالأخص .. المجلات ذات الطابع السياسى .

خـلال السعى والاعـداد لاصـــدار المجلة ، واشعــار الكاتبين والمعلنين .. بأن الرائـد امتداد للأضــواء ، وان التعامل الكريم هو شعارى ، والوفاء دأبى ، لتجديد الصلة على هذا النحو الكريم ، والتعامل .. من خلال جسور قوية ، تمتد قواعدها واذرعتها .. لتربط بيننا ، فى صدق والتزام وعهد .. لاأخلفه أنا ، ولايخلفه من أتعامل معه .

خلال اتصالاتى الشخصيــة المكثفة والمتصلة .. مـع الكاتبين والمعلنين ، زرت مع صديقى الكريم .. الأستــاذ

عبدالعزيز الرفاعى ، مبنى الاذاعة والصحافة ، وكان .. لابد من المرور بالشيخ « ابراهيم الشورى » ، الذى اصبح مدير عام الاذاعة والصحافة فى تلك الفترة ، التى بعد فيها الأستاذ « عبدالله بلخير » .. عن هذا الجهاز . وما ان رآنى الشيخ الشورى .. حتى هب فى وجهى بعنف واندفاع وتعنيف قائلا : أصحيفة الأضواء جديرة .. بأن تتخذ متكأ لتبنى عليها صلة فى حياة الرائد ؟ هل الأضواء تشرف .. لتعتد بها وتحسبها كيانا يستحق ان يشاد به .. وان يشار اليه فى تعامل جديد ؟

فوجئت بهذا الهجوم .. الذى لم تسبقه مقدمات ، وحاولت ان ارد بلطف ورجاء .. عسى ان يفهم قصدى فى ربط الصلة بالناس ، ولكن دون جدوى ، فقد كانت ثورة الشيخ الشورى عارمة ، وهو لم يكن مسؤولا فى اجهزة الاعلام الرسمية إبان اصدار الأضواء ولا أدرى مرد هذا الهجوم وهذه الثورة العارمة علىّ ، وأنا أريد أن ألتمس طريقى فى هدوء واناة ، لا أريد أن أصادم ، ثم انه ليس من مصلحتى الصدام مع رجل مسؤول مسؤولية مباشرة عن الاعلام .

وانا اريد ان اشق طريقى .. فى شىء من مسالمة ، لأمحو ماعلق بالأذهان من رواسب الماضى .. أيام الأضواء .. وقد أشرت الى اننى لست المسؤول وحدى .. عن الأخطاء التى وقعت فيها الصحيفة الأولى ، ذلك .. انى لم اكن رئيس التحرير .. الذى له الكلمة الأولى والأخيرة فيما ينشر فيها .

كل هذه الأعذار .. لم تجد مع ابراهيم الشورى . وسارع

صديقى الحميم عبدالعزيز الرفاعى .. الى تلطيف الموقف ، بهدوئه واتزانه ورجاحة عقله .. وبكياسته .. ومركزه المرموق فى الدولة ، فهدأت عاصفة مدير الاذاعة والصحافة العام .. بعض الشيء ، وعددت الدقائق .. لأنصرف عنه ، ثم إنى لاأريد أن أراه مرة اخرى .. الا اذا كان اللقاء عرضا دون قصد ، لأنى كرهت هذا الموقف منه وتعنته .. وسوء معاملته لى . وللأستاذ الشورى .. مواقف شاذة حتى مع موظفيه ، فقد تعنت مع اخى صالح يحيى ادهم .. احد موظفى جهاز الاذاعة ، حين كف يده عن العمل ، واشتكى المتظلم الى « ديوان المظالم » ، وتردد كثيرا على سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز .. ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يومئذ .. فانصفه ، وأمر ابراهيم الشورى أن يذهب مع موظفه .. ليقف معه امام ديوان المظالم .. الذى ينظر فى شكوى المتضرر ، ذلك ان الشورى .. رفض المثول امام ديوان المظالم ، كأنه يرى نفسه أكبر من ان يستجيب لدعوة الديوان له .. ليسأل ويجيب على الشكوى المقدمة ضده .. من احد موظفيه .. ومن العجب ان الأستاذ الشورى رجل علم ودين .. يدرك هذا كله ، ثم يكابر ويمتنع .. ان يذهب الى حيث يقام الحق .. اخذا وعطاء . والشورى ليس اداريا ، الا ان ظروفا عارضة .. جاءت به الى هذا الجهاز المهم والكبير ، ليكون مسؤولا فيه وعنه .

حددت حجم مجلة الرائد ، وعدد صفحاتها ، كما حددت يوم صدورها فى وسط الأسبوع .. وهو يوم

« الاثنين » . لكنى آثرت الريث والأناة ، خشية ان تتعثر خطواتى .. بجهدى المحدود ، وأنا مازلت موظفا فى مصلحة الجمارك ، فرأيت ان اصدرها مرتين فى الشهر فى بداية الأمر .. ولمدة عام كامل ، حتى اذا وقفت على قدميها وعرفت .. وأتيح لها شىء من نجح ، أشرع فى اصدارها كل اسبوع . وكنت مصيبا .. فى هذا التقدير ، ذلك ان الأيام والممارسة الصحافية .. أيام الأضواء أكسبتنى خبرة ودراية .. بهذا العمل ، وأنا من طبعى اننى احب التأني فى بعض الأمور والمواقف ، وأعجل احيانا .. واتخذ قرارات طافرة احيانا اخرى ، وأندم على العجلة وسرعة البت فى امور .. كان ينبغى ان يكون فيها تأن وأناة . وانا لاأستنكف من الاستشارة ، لأنى ادرك .. ان غيرى أمامه الرؤية واضحة اكثر منى ، كما ادرك ان صاحب الحاجة ارعن ، وقد سئل حكيم مرة : لماذا يُسأل الانسان الرأى .. فيجيب بالصواب ، ولكنه لاينتفع بهذا الرأى لنفسه ؟ فقال : لأنه حريص على منافعه ، فلا يتضح له الرأى الأصوب .. أو ما فى هذا المعنى .

وصدر العدد الأول من الرائد .. فى غرة ربيع الأول من عام « ١٣٧٩ » هـ .. وجمعت لها نخبة من الكاتبين ، منهم الأساتذة الرفاعى وعارف .

وقد يعجب القارىء .. حين يرى اسم الشيخ الشورى من بين الذين كتبوا للعدد الأول من المجلة ، ومرد ذلك .. اننى اردت ان اتعامل مع شعرة معاوية .. فى مثل هذه العلاقة .

فأنا محتاج ومضطر ، ومثلى يركب الصعب .. ويدارى فى بعض المواقف . لقد علمتنى الحياة ، وهى مدرسة كبرى ومسرح كبير .. وقديما قالوا : نعم المؤدب الدهر . ففيه مجال عريض .. للتعلم والاستفادة من التجارب والممارسات والعبر .

أحسست بتكاليف الغلاف .. الى جانب أن المجلات الأدبية ، اذا لم يكن لها دعم وموارد ثابتة .. فانها لاتستطيع أن تعمر .. وتمتد بها الحياة ، ومجلتى .. اذا قيست بمجلتى الثقافة والرسالة .. اللتين كانتا تصدران فى مصر من قبل لاتستطيع ان تقف بجانبهما ، الى جانب ثقافة الأستاذ الزيات والدكتور احمد امين .. يرحمهما الله ، وثقافتى الضعيفة المحدودة ، ومع ذلك توقفت الرسالة وتوقفت الثقافة بعد ان سلخت الأولى من عمرها .. عشرين ربيعا ، والأخرى اربعة عشر عاما . عانيت وصبرت على اصدار المجلة عاما كاملا فى حجم المجلات المعتاد ، وكان التوزيع محدودا .. لايتجاوز ثلاثة آلاف نسخة من كل عدد .. ورأيت الأستاذ السباعى .. الذى حصل على اذن باصدار مجلة أدبية أسبوعية .. بعد أن تخلى عن جريدته « الندوة » وقت الدمج .. الذى أشرت اليه آنفا ، رأيت الشيخ السباعى يصدر مجلته على شكل « تابلويد » .. حجم نصف الجريدة ، بمقاس ٢٩×٤٢,٥سم .. وغلافها من نفس الورق الذى يطبع به صفحات المجلة .. المسمى « ساتنيه » ، وورق الصحف المعتاد ، ولايعنى بالغلاف ، وانما هو يحمل اشكالا

بسيطة .. من رسوم « الكاريكاتير » .. عبارة عن رموز وخطوط سهلة الرسم حبرها اللون الأحمر .

بمجرد .. ان انسلخ العام الأول من عمر الرائد بالعدد « ٢٤ » .. سارعت الى اصدارها اسبوعية ، فى حجم « التابلويد » ولم أكلف نفسى عمل غلاف لها ، ولكننى اخرجتها فى صورة جريدة ، املأ الصفحة الأولى والأخيرة .. بمقالات واخبار وتعليقات ، وتأخذ « الترويسة » اعنى اسم المجلة .. اللون الأحمر ، وكذلك « المانشيت » الرئيسى .. وبعض العناوين فى الصفحة الأولى ، بهدف ابرازها واهميتها ، وكذلك الصفحة الأخيرة .. التى اخذت طابع « اليوميات » .. يكتبها كل اسبوع كاتب ، بما فى ذلك رئيس التحرير نفسه .

شقت الصحيفة .. او المجلة طريقها فى شكلها الجديد وصدورها كل اسبوع ، فقد عنت بالمقالات الأدبية والنقدات .. وبعض اخبار المجتمع ، ومعالجة القضايا الاجتماعية .. التى تلتصق بحياة الناس ، وقد جنحت الى الاهتمام بهذا الجانب .. اهتمامى بالأدب والنقد ، ذلك .. ان الناس يهمهم ان يجدوا صحيفة تعالج مشاكلهم المعاشة ، وأن تستمع الى شكواهم ، وتفتح صدرها لرسائلهم ، كما تستمع الى اصواتهم واناتهم ، وأن يجدوا صدى .. لما تختلج به نفوسهم وتضيق به صدورهم . وكان هذا الهدف امام عينى وانا اهم باصدار الرائد .. من خلال ممارساتى فى الأضواء .. التى كنت انشر فيها موضوعات

اجتماعية ، واكتب كل اسبوع فى زاوية .. بعنوان : « القطار السريع » وأوقعه بكلمة « السائح » .

والحق .. ان الرائد كان لها خط واضح ، لا عوج فيه ولا أمتا ، ولم تتعرض والحمد لله لهزات ولا عناء ، سوى ماحدث بينى وبين المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر . وهو امر لايختص بالنشر ومشاكله ، وهو ماسأفرد له صفحة خاصة .. ان شاء الله .. كانت معارك الرائد ادبية صرفة ، وكانت النقدات الاجتماعية .. رغم قوتها متزنة ، والنقد لأجهزة الدولة ، ترتفع درجة حرارته وتنخفض .. حسب الميزان الذى نزن به ظروف التقبل والرفض ، فنحن فى صحفنا .. نزاوج بين المد والجزر ، بقدر مايتيح لنا المناخ الذى يحيط بنا . الا ان النقدات الهادفة .. تمر بسلام ولاتحدث رد فعل ، فاذا تجاوزت حد منها « قلم الرقيب » . أما بعد رفع الرقابة عن الصحف ، فقد كان أصحاب الصحف .. هم المسؤولون وحدهم ، حتى اذا ارتفعت درجة النقد ، نبهنا من ادارة المطبوعات هاتفيا .. كلفت نظر . وكانت المصالح الحكومية .. ترد على النقد ، استجابة له أو اعتراضا عليه .. اذا اغضبهم ماقيل ومانشر . والانتقاد ثقيل ومرفوض .. وان كان حقا ، لأن حساسياتنا عالية تجاهه ، والصحافة .. هى المتنفس الوحيد للتعبير .. عن هموم الحياة ومتطلبات الناس وحاجاتهم الحياتية ، فالصحافة .. هى الجسور الموصلة للمعاناة ، وتصحيح الأخطاء المختلفة فى المؤسسات والحياة الاجتماعية عامة . ومهمة الصحافة .. تصحيح

الأخطاء وتقديم البدائل ، لأن الرؤيـة امامهـا واضحة ، ولأنها قادرة على ممارسة النقد .. والتنبيـه الى المشاكـل وهموم الناس ، ومادامت تقدم الحلول .. فهى مرفق بناء .
وممـارسة النقـد .. ينبغى ان ينهض بها القـادرون على التعبير .. برؤية ثاقبة وأداء ، وان اتسم بالقـوة والعنف احيانا ، لأنه توصيل .. لرأى الناس الى المسؤولين ، بتعبير جامع .. يحيط بالمشاكل والشكاوى ، بعيدا عن التشنـج والانفعال والضوضاء والاثارة . والنقد .. مهمة صعبة ، والذى يمارسه .. يصبح مكروها عند الكثيـرين ، الذين يلاحقهم ، وقليل اولئك المتسامحون ، او على الأقل الذين لايجدون ردا عليه سوى الصمت .. كذريعة لكظم الغيظ ، وعدم الوصول الى وسائل تصّدى النقد ورده ومحـاجته ، بمنطق سويٍّ وأدلة مقنعة ، لأن ردود المغالطة والمكابرة .. تفتـح الأبواب امـام الصحف والكاتبـين الى مـزيـد من التصدى وتفنيد الأخطاء .. ومجابهة الرأى الفائل بالرأى القوى المعارض .. امام اية مشكلة من المشكلات التى تثار بأدلته وبراهينه .. ووثائق الاثبات او الحجج القاطعة .

○ ○ ○

المعارك الأدبية

مادامت مجلتى ادبية ، فليس امـامى .. الا ان أعنى بنشر الموضوعات الأدبية ، وهى بطبيعة الحال .. تجر الى معارك ادبية ، تحمى وتفتر حسب قيمة الموضوع .. الذى تثار فيه هذه المعارك . وانا كنت افتعل .. فى بعض الأوقات المعارك ، لأحقق لمجلتى الرواج ، ولكى تقرأ .. على مساحة أوسع فى بلادنـا . والناس بـطبعهم يميلون الى الاثـارة والجدل والخصام ، ويتابعون الصراع النقدى .. ليعرفوا من ينتصر فى آخـر الأمر ومن ينهـزم ، وقد لايكـون فى الموضوع انتصار ولا هزيمة لأحد ويشغل الناس .. بهذه المعارك وقتا ، جانب منهم ينحاز لهـذا الكاتب ، وجـانب آخر .. ينحاز للكاتب الآخر ، الذى شارك فى المعركة ، وقد تجر اطرافا اخرى .. تؤيد هذا الكاتب او ذاك ، وتعارض احدهما .. او كليهما .. وكنت حريصا .. الا يهبط النقد الى التجريح الشخصى ، وانا أحول دون نشر هذا النوع .. من المهاترات . فاذا كان الموضوع النقدى قويا واعجبنى .. وفيه شىء من خروج عن المسلك السوى ، أبعد الكلمات والجمل الجارحة ، وأعدل فيه تعديلات لاتخل بالموضوع ،

ويحدث ان يغضب .. هذا التصرف منى كاتب الموضوع ، ولكنى اعلن له .. فى غير التواء ولا مواربة ، اننى اهتم بالفكرة ونقاط الجدل ، اما الخروج .. الى التجريح الشخصى فلا أميل له ولا أسيغه ، ولا أحب أن يكون عنوانا لمسلكى .. فى صحيفتى ..

والنماذج كثيرة ، ومن هذه المعارك القوية ، ماكان بين الشيخ ابى تراب والشاعر الأستاذ على دمر [١٨] ، وشاعرنا مع أحمد الذهب [١٩] وبين أحمد الذهب وجمال عباس .[٢٠]

ولا أنسى موقف استاذنا العارف .. ايام الأضواء ، ومحمد سعيد كان يتحرش ويتزعم حركة الشباب بالدفاع ، فكتب مرة موضوعا بعنوان « الثالوث الواعى » .. يقصد عبدالعزيز ابو خيال ونفسه وأنا ، وأثار هذا الموضوع .. حفيظة استاذنا الشيخ ، لعله رأى فيه مساسا به أو بالشيوخ على التحديد ، وكان عارف مقاتلا بقلمه ، فكتب موضوعا فى البلاد السعودية .. على ماأذكر بعنوان « الثالوث العاطل » . ولم أتحرك انا للرد على استاذى .. تقديرا له واحتراما لأدبه وخلقه ، ولأن محمد سعيد كما قلت يندفع فى هذه الأمور ، فلا يمارسها بموضوعية

---

(١٨) صديق سورى ، يعمل مدرسا للعربية فى مدرسة الجفر بالاحساء ، توفى فى جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ . وقد كان ايام الرائد فى احدى مدارس جدة ، وكان يغشى ندواتنا .. ويشارك بنشر شعره فى الرائد ، كما شارك فى معارك ادبية .

(١٩)لبنانى ، كان يعمل خطاطا فى مطابع الاصفهانى ، وعاشقا للأدب .

(٢٠) لبنانى ، كان مذيعا فى الاذاعة السعودية ، وهو أديب على خلق دمث .

وتجـرد ، وقد جـر علينا غضب استـاذنا ، وهـو غضب موقوت ، فسرعان .. ماتلطف الجو ، وعادت العلاقـة مع شيخنـا طبيعية ، وانمحى .. مـاعلق بنفسه من شجن ، لاسيما وان احدا منـا .. لم يتصد لجـدال الشيخ والرد عليـه ، ولكن صمتنـا . وأنـا مـوقن أن محمـد سعيـد مخطىء .. فيما صنع ، فنحن الذين معه اذن .. نتحمل اوزاره كارهين ، ونحتمل ماجاءنا من نقد ، وان لم نشارك فى رأى زميلنـا .. ولم نؤيـده ، وماذا نصنـع وقد حـدث ماحدث ؟ . موقف العقل .. حين يحكم فيرجع الى الحق ، لاسيمـا فى حال الاعتـداء والتجنى .. هو مـا ينبغى ان يكون .

ولقـد فتحت صفحات مجلتى للشبـاب ، وليس مـرد ذلك .. انى اناصرهم فى آرائهم .. لاسيما الهجومية على الشيوخ ، ولكنى اتخذت هـذا الاتجاه .. لأفسـح المجال أمام الأقلام الشابة ، لتعبر وتكتب وتشق طريقها ، مادامت تملك العدة والاستعداد ، لأنى أرى .. أن أية صحيفة ، ينبغى أن تحفل بأقـلام الشباب .. التى تجيـد التعبير ، وتريد أن يكـون لها مكـان .. بين الكبـار ، وأن تكتسب المرانة .. من خلال ماتكتب ، تخطىء وتصيب ، تتعثر .. لتصل فى النهاية ان شاء الله الى بغيتها وأهدافها .. وهى تجد وتحاول أن تحسن ماتتناول ، لأن اغلاق الباب أمام الشباب .. فيما ينبغى ان يمارسوا ويشاركوا فيه ، يؤدى الى رد فعـل ، ويؤدى كـذلك .. الى امـاتـة روح العمـل والطموح . أما الأخذ بأيدى القادرين على اثبات ذواتهم ..

فانه يعينهم على التطور والاجادة ، ويدفعهم الى ان يحسنوا العمل ، ماداموا قد وجدوا التشجيع والصدر الرحب .. الذى يتقبلهم ، ويعاملهم باحسان ، ويأخذ بأيديهم .. لكى يشقوا طريقهم بمحاولاتهم ودأبهم ، ليكونوا .. كما كان غيرهم . فالبدايات قد تبدو ضعيفة ، ولكن الممارسة .. واتاحة الفرص امامها ، يؤدى فى النهاية الى النجح .. للذين يملكون وسائله النفسية والعملية والأداء الموصل الى ذلك ، وقديما قالوا : « كل من سار على الدرب وصل » .

فتحت إذن أنا الباب أمام الشباب فى الرائد ، وقد كانت الحال نفسها فى الأضواء ، فقد شارك بعض الشباب فى الأضواء ، مثل الدكتور عمر الطيب الساسى والأستاذ عبدالكريم نيازى والأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفرى من مكة ، ومحمد كامل خجا ، من المدينة المنورة .. وغيرهم كانوا محدودى العدد فى البدايات ، ولكنهم كانوا طامحين ، يعشقون الأدب والكتابة ، ووجدوا المناخ عندنا .. وفى البلاد السعودية على يد الأستاذ الأديب « عبدالغنى قستى » .. الذى قضى عمره الصحافى فى البلاد السعودية والبلاد بعد ذلك ، أو هو امتداد ، لأن الصحيفة .. هى نفسها ، وانما عدل اسمها بعض التعديل .

أما فى الرائد .. فقد توسع اشتراك الشباب فيها بما يكتبون ويعبرون عن آرائهم . وهؤلاء الشباب لاأعرفهم .. الا من خلال مايكتبون به الى ، بعضهم فى « جازان » مثل الأخ الدكتور هاشم عبده هاشم ، وآخر فى « الموسّم » .. هو الأخ « على العمير » و « راشد الحمدان » ابن المجمعة

فى نجد و « محمد ابوسليم » من عنيزة .. اللذين كانا يدرسان فى كلية الشريعة بمكة المكرمة ، واخوة فى القصيم مثل « حسن الهويمل » ، و « صالح الوشمى » و « غانم الغانم » .. وعبدالعزيز « النقيدان .. من بريدة .. وأسماء أخرى .. حفلت بها الرائد ، من مختلف انحاء البلاد ، لاتربطنى بهم معرفة ولا علاقة ، وإنما كانوا يكتبون إلى .. فأجد فى كتاباتهم مايستحق النشر . فى أفكارهم وتعبيراتهم وجمال ادائهم ، فآخذ بأيديهم .. وأنشر لهم ، واحتفى بهم ، فأضع فى رأس المقال بجانب عنوانه : « بقلم فلان » . وقد كنت أيام بداياتى فى الكتابة .. يرضينى أن أجد كلمتى منشورة ومذيلة باسمى المجرد ، بل وأفرح يوم تنشر لى كلمة فرحا شديدا .

بدأ راشد الحمدان يشعل النار بمقالاته الصارخة ، التى تتناول قضية « الشباب والشيوخ » ، يشتد الهجوم على الشيوخ ، وهى قضية أزلية ، ذلك ان شيوخ اليوم .. هم شباب الأمس ، وان شباب اليوم .. سيكونون شيوخا فى الغد ، و « كما تدين تدان » ..

كنت أحدّ من هجمات راشد الحمدان على الشيوخ ، لا لأن الشيوخ غير قادرين الدفاع عن أنفسهم ، ولكنى لاأريدهم أن يفقدوا الثقة فىّ وفى اتزانى وميولى الى الشباب ، وأنا كنت اتعاطف مع الشيوخ اكثر .. من تعاطفى مع الشباب ، رغم انى انشر لهم وأشجعهم على الكتابة ، وقد ادفع بعضهم الى اثارة نقع المعارك ، وكنت أبعد الكلمات .. التى تسىء الى شيوخنا ، لأنها تصدر عن

فورة شباب متحمس ، تغلى الدماء فى عروقه ، وكنت إلى جانب ذلك أنشر نقد الشيوخ ، وكان أكثر المتصدين منهم استاذنا العــارف ، وأنا أدرك تجــربة الشيــوخ وخبرتهم واتزانهم ، وكانت ردود العارف قوية ، كما كانت مقالات الشباب ، وكان راشد .. يهاجمنى بعنف فى مقالاته ، بأنى انحاز الى الشيوخ ، وكان يتهمنى بذلك ، فيكتب مثــلا : « أبــو مدين .. وأهــل الكهف » يعنى الشيوخ ، وأرد فى تجرد : بأنى من الأعراف ، فلا أنــا من الشباب ولا من الشيوخ ، ولكن هذا الدفاع لايجدى مع الشباب الفــائر الثائر . وفى سبيل اثراء الرائــد ، ولأن المعارك كـلامية ، ولأنى أحاول الا يشتط المتجادلون . فقد كنت اتحمس لهذا الصراع والجدل .. بين فئتى الشيوخ والشباب . كان على الجــانب الشرقى .. فى مكــة « راشد الحمــدان » ، وعلى الجانب الجنوبى البعيد « على العمير » هما طرفا المعارك الضــارية المتقــدة ، وكــانــا يتعبــاننى بجــدلهمــا وطول لسانيهما ، ولكنى .. كنت سعيدا بهذه الجذوة التى تفرز الحماسة والقوة ، فمن طبعى أننى أحب القوة ، وأكــره الضعف .. واستجيب للتحــدى ، واحيانــا اسعى اليه ، فكنت أرد على بعض الشباب بما أراه حيال القضية التى تثار .. حول أدب الشيوخ ، وكانت ردودى .. تشعل النار عند راشد والعمير ، فيتهماننى بأننى انحاز الى الشيوخ ، وكانا يكتبان بعنف وشدة ، يهــاجماننى والشيــوخ معا ، وكنت أنشر مايكتبان ، وأعلق احيانا .. وأترك الرد للشيوخ احيانا اخرى ، وإذا لم يتحرك الشيوخ .. حركتهم ، واذا

توقف الشباب ، ولدت لهم قضية جديدة ، افتح نوافذها وأبوابها عليهم .. لينزلوا الى الساح بحرارة انفاسهم .. التى تبلغ حد الاحتراق ، وهم يدرسون ، وقد قرؤوا شيئا من التراث وأدب الشيوخ المتأخرين الذي نشر فى شكل مقالات .. أو شعر ، فينحون باللائمة على الشيوخ .. بأنهم تخلفوا عن الركب ، وأن بضاعتهم مزجاة هزيلة ، وأن مصر ولبنان وبغداد ودمشق .. وصل ادباء هذه البلاد الى القمة ، وأن أدبنا وأدباءنا مازالا فى القاع ، لم يتجاوزا القاعدة ، فلا نمو ولا تطور . ولاتجديد .. ولا جديد . وكنت أقول احيانا : ان ظروفنا وحياتنا .. تختلف عن مصر ولبنان ودمشق وبغداد .

ثم ان تلك البلاد .. سبقتنا بمراحل طويلة الى الأدب والثقافة والتعليم ، فلا نقاس عليهم .. ولايقاسون علينا .. ولكن حتى هذا الرأى .. لم يجد مع شبابنا المتحمس المندفع ، الذى يريد ان تكون بلاده .. فى مصاف البلدان التى اخذت بحظها من التعليم والتقدم .. والرقى الحضارى ، والثقافة العريضة .. والتطور والنمو .

الرائد .. كانت حافلة بمقالات الأدب والنقد والمعارك الضارية طوال عمرها ، الذى بدأ من ١/٣/١٣٧٩ الى ٢٩/١١/١٣٨٣هـ أربع سنوات وثمانية أشهر ، لم تتوقف خلالها ولله الحمد ، ولم ينلها سوء .. يؤدى الى أخذ الثقة منها ، ولم تتعرض لمكروه . فقد كانت الصحيفة الأدبية .. يقرؤها الشباب والشيوخ ، وكانت تواصل نشاطها فى ثقة وثبات .. بجهد فردى ، الى جانب جهدى

زميلى حمدان صدقة وعبدالعزيز فرشوطى ، وهما موظفان مثلى . ولعلى نسيت ان اذكر اسم الفرشوطى .. وانا اتحدث عن الأضواء ، فهو قد التحم بنا .. بعد صدورها بفترة زمنية ، ولازمنا وأعاننا فى وقت فراغه ، فهو كان يعمل فى ادارة « اللاسلكى » ، يوما يعمل ليلا ويوما نهارا ، ولايغيب عن المكتب وقت فراغه ، وحين توقفت الأضواء .. ظل على صلة بى ، حتى اذا جاءت الرائد .. بدأنا العمل والتعاون ، والفرشوطى رجل مهذب وديع ، يسمع للقول ويناقش فى ادب وهدوء ، ذو خلق وسماحة ، وهو انسان مسالم .. غير مشاكس ، ينقاد مع اصدقائه بأدب ، وهو طيب القلب .. نظيف السريرة .

واستفاد عبدالعزيز من علاقاته بالأضواء والرائد معنويا ، وشجعناه .. ان يعبر ويكتب ، واستفدنا منه .. بجهده الذى كان يسهم به فى عوننا فى ادارة الرائد وتحريرها ، وقبلها الأضواء . لاأجحده حقه وجده ، وأنا احفظ له يده وعونه ، وأشيد بخلقه وأدب نفسه وتسامحه ، فقد كنت أثور احيانا .. حين تحدث اخطاء أو بطء فى انجاز الصحيفة ، وكان الفرشوطى .. يتحمل ثورتى بصمت أو برود هادىء ، فلا يختزن فى نفسه شيئا من ضيق أو كره . لذلك كنت احترمه .. رغم هدوئه .. الذى يقتلنى فى بعض المواقف فأحتمله ، كما كان يحتملنى . أما « أبو يحي » .. صديق العمر ، فيعرف طبعى وأعرف طبعه ونحن نتمازج فيما نريد .. ومالانريد ، ليس بيننا تعارض ، وهو يدرك حين اغضب .. من اجل العمل ، ويعرف هذا منى ، فيردها

الى « مغربيتى » ، حين نبرد ، ونضحك معـا .. ويضحك معنا من حولنا .. حين يدور الحديث عن بعض المواقف فى العمل الصحفى ، وماقد ينتابـه من خلل او تأخـير .. او بعض المشاكل الطارئة والعارضة . ونعم الصديق .. اخى حمدان صدقة فى الرخاء والشدة ، فى القرب والبعد ، فى الحضرة والغياب ، انه وفاء الحب .. او حب الوفاء ، كما يقول .. استاذنا الزيدان .

شارك الأستاذ عبدالله الحصين بمقـالات فى صحيفة الأضواء ، كتب عن الأستاذ العواد بعضا منهـا ، وكتب مقالات اخرى بتوقيع « ابو عزام » ، كما كان يوقع الأستاذ عارف فى بعض نقداته بتوقيع « أبو نزيه » . وكنت أنا أوقع بعض ماأكتب بتوقيع « ابن الصحراء » . وشارك الكاتب الروائى والقصصى .. الأستـاذ « عبدالحميـد السحار » بسلسلة من روايـة له نشـرت منجمـة بعنـوان « أذرع وسيقان » ، ظهرت فيما بعد .. على ماأذكر فى كتاب ، وكان الأستاذ السحار يومئذ مستشارا فى وزارة التجارة بجدة .

كما شارك صديقى الراحل عبدالعزيز الربيع .. يرحمه الله مشاركة متصلة بزاوية ثابتة فى الرائـد .. عنوانهـا : « لقاء كل اسبوع » كان صديقا وفيا حميما ، تمتد علاقتى به الى عام ١٣٦٥هـ . حين تعارفنا فى المدينة المنورة ، وقد اشرت الى ان علاقتى ببعض اخوانى مردها استاذى محمد الحافظ ، وقامت بين الربيع والعواد معـركة عنيفـة حول شوقى . والأستاذ العواد .. يتبع الأستاذ العقاد فى بغض شوقى وكراهيته .. ومحاولة التقليل من شأنه ، فمرة يخرج

الأستاذ العواد .. يرحمه الله شوقى من العروبة ويعتبره شركسيا ، ومرة يقول : انه ليس بشاعر ، ويأخذ العناد بالعواد مأخذه البعيد المدى .. الذى يفضى الى الآراء التى لاتقبل ، وترفض .. حتى من رجل الشارع ، لأنها سخيفة وخاطئة ، ودافع ذلك العناد وحده .. الذى يقود الى مسالك سيئة ، تجعل صاحبها ينحرف فى رأيه انحرافا لايقره عليه أحد ، فقد أودى الجدل بالعواد الى ان يعلن ويقول .. ليس فى مجمع من الناس ، وانما ينشر ذلك فى صحيفة سيارة ، يقول ان « **ثريا قابل** » [21] أشعر من الشريف الرضى .. وقد استسخف الناس هذا الرأى من أديبنا ، ولم يعدوه تخريفا منه ، وانما ردوه الى العناد .. الذى يخرج صاحبه عن جادة الحق .. الى الباطل . والأستاذ العواد فى معاركه الأدبية .. يجنح الى « المصارعة الحرة » ، والى مادونها ، فلا يستنكف ان يزوّر .. معينا يعينه فى الانتصار على خصمه . مثال ذلك .. معركته مع الأستاذ احمد عبدالغفور عطار ، حول كلمة « سمحاء » ، التى رفضها العطار ، لأنها صيغة غلط .. والصحيحة « سمحة » . وراح الأستاذ العواد يحاول .. ليثبت انها عربية صميمة ، وهى مجادلة .. ليس للعواد فيها شىء من حق ، ولكنه العناد حتى نظم العواد بيت شعر ، قال انه لشاعر قديم جاءت فيه كلمة « سمحاء » ولم يذكر اسم الشاعر . لأنه وهمى ، ولم يستطع بهذه المغالطة ان يغلب العطار .. الحجة فى اللغة ،

---

(٢١) شاعرة وأديبة سعودية .

وقد كانت هذه المعركة على صفحات جريدة البلاد السعودية .

وفى جدل العواد مع الربيع ، قال العواد عن صاحبه : إنه : « معلم صبيان » ، وما العيب فى ذلك ؟ والعواد نفسه كان معلم صبيان فى مدرسة الفلاح بجدة ، فهل مهنة التعليم تهمة وسبة ؟ . قلت : إنه العناد .. الذى يركب نفس استاذنا العواد ولا شئ غيره ، ولايريد أحدا .. ان يتفوق عليه وأن يهزمه فى معركة نقدية ، ولا كاتب ولا شاعر ولا ناقد سواه . والعواد كالعقاد ، كل منهما لايتراجع فى رأيه ، وان ركبه الخطأ .. الذى يعترف به كل انسان .. بأنه خطأ لا مراء فيه ، وانما المكابرون .. يذهبون كل مذهب دون التراجع والتزام الحق . وأنا لاأقيس العواد على العقاد .. الا فى العناد فقط . ومعارك العواد مع العطار كثيرة ومتأججة ، وكذلك معركته .. مع الأستاذ عبدالقدوس الانصارى صاحب مجلة المنهل .. يرحمه الله . ومعركته .. فى مهاجاة حادة بينه وبين المرحوم « حمزة شحاته » ، يرحم الله الجميع برحمته الواسعة .

وكان من كاتبينا فى الأضواء والرائد .. الأستاذ « عبدالسلام الساسى » ، عاشق الأدب والراوية ، ومناصر الأستاذ العواد .. فى بعض معاركه ، والذى يذود عنه بقلمه ولسانه .. فى كل محفل وفى كل مناسبة ، ينافح عنه ويدافع .. بكل ماأوتى من قوة وادراك ، لايقبل ان يمس بما يكره استاذه ، ولقد لقى الساسى الكثير من العناء .. من

قومه فى مكة .. من جراء مناصرته للعواد ، ولكنه ظل وفيا له .. الى ان توفى الرجلان ، عليهما رحمة الله .

وصديقنا الكاتب الشاعر الأديب الطبيب « عارف قياسه » [٢٢] كان ينشر فى الرائد قصائده ومقالاته الأدبية والنقدية ، يتسم اسلوبه بالرزانة والموضوعية والجدة والطلاوة ، شارك فى بعض المعارك ، ولكنه .. بخلقه العالى لايخرج عن الموضوعية ، ولايرغب فى المهاترات ولايسهم فيها ، فهو عف القلم واللسان والنفس ، ولكنه يحاج بمنطق الواعى .. والسمت المهذب . كان وفيا معى ، وكان محبوبا عند اصدقائه وعارفيه .. لخلقه العالى ، وسماحة نفسه .. وطيب محتده ، وأهل حماة موصوفون بهذه الرقة والتهذيب ، وان كان صديقنا « على دمر » يتميز عنهم بالعراك .. اذا اشتد رهج المعركة وحمى وطيسها ، فهو يتقى السهام ويرمى خصومه بالصواعق والمتفجرات ، لايلين عوده .. الا على مائدة التبسط والأحاديث الطلية .. وغزل الشعر ، الذى يحفل به وينشده ويطرب به جلاسه ، فى ندوواتنا ولقاءاتنا الندية .. فى مكتب الرائد ، يوم كان الصديق يقيم فى جدة ، أو حين نقل الى احدى .. مدارس رابغ ، فكان يزورنا .. فنحتفى به ، وتثار المناقشات الأدبية ، ويبرز الأستاذ دمر .. رافعا عقيرته ، يدافع عن

---

(٢٢) سورى الأصل ، كان يعمل طبيبا ، شغل مديرية مستشفى الكندرة ، ثم نائب مدير عام الشؤون الصحية ، وفى سن التقاعد .. عاد الى وطنه ، وهو من مدينة حماة ، ومن حماة كذلك الشاعر « على دمر » .

رأى ويحط من آخر .. فى قوة وثبات وجدل طويل ، يرحمه الله برحمته التى وسعت كل شىء .

والأستاذ « احمد عبدالله الفاسى » .. كان احد فرسان الرائد ، بشعره ومقالاته وآرائه الجريئة وحماسته فى كتاباته وأفكاره وشجاعته .

والصديق الصدوق .. الدكتور « محمد سعيد العوضى » كان الفارس المغوار ، والشجاعة فى الكتابة .. اذا لم يصاحبها شجاعة فى النشر ، فان الكتابة لاتصل .. الى القارىء . وانما تظل حبيسة صدر صاحبها وقرطاسه ، وهو قد لايكتب اذا لم ينشر ماكتب .

كان العوضى ذا رأى سديد وقلم سيال .. افتقدناه بعد ان توقفت الصحافة الفردية .. بل وخسرناه ، لأن غياب القلم الشجاع خسارة . ولن أنسى .. ولن ينسى قراؤنا ذلك القلم الجرىء ، الشجاع القوى .. فى منطقه وأسلوبه وأدائه . ولاأنسى يوم كتب عموده الأسبوعى فى الرائد ، وتناول وضعية تزفيت احدى طرق مدينة جدة ، وكان يقوم بهذا العمل .. المعلم « محمد بن لادن » ، رحمه الله ، وكان الملك سعود .. قد منحه لقب « وزير دولة » تقديرا لخدماته . والمشروعات الانشائية التى يؤديها . كتب العوضى يقول : « ان طبقة الزفت فى البغدادية .. امام محطة السيد سامى ، أخف من عباءة المعلم » . وثارت ثائرة وزير الاعلام .. الأستاذ جميل حجيلان .. لهذا التعبير القاسى من الكاتب .. والجرأة فى نشره ، وقلت

للوزير : اننا نغار على ثروتنا القومية ، ولانريد أن تبدد وتذهب بلا مقابل .

وقال الوزير : ماذا أقول للملك سعود لو سألنى ؟ قلت : ماقلت لك ، وهو رأينا ، ونحن لسنا مقاولين .. ولا منافسين لهذه المؤسسة حين ننتقد اعمالها ، ليكون لنا نصيب فيها ، ولكن العمل الذى يجرى غير سليم وغير مقبول . وانتهى الحديث مع وزير الاعلام .. ولم يحدث شىء ، لأنا كنا ندافع عن حق ، ونعارض باطلا يجرى ، وظل الدكتور يكتب للرائد بشجاعة ، فلم أعرف اننى شطبت له حرفا واحدا ، أما أيام الرقابة .. فكانت مقالاته يصيبها قلم الرقيب ، ولكن لايؤدى ذلك الى تعييبها وافسادها ولانظلم بعض المراقبين ، فان فيهم من له ذوق .. يستمتع بالكلمة الجميلة الهادفة .. ويطرب لها ، ولكن وظيفته وماتملى عليه يضطرانه الى ان يمارس واجبه ، فيحذف الكلمات .. وبعض الجمل ، ليحمى نفسه ووظيفته ، وهو بهذا العمل .. يحمينا كذلك من التعرض للأذى والمسائلة . وليست الحياة كلها قتالا وصراعا ، ولكن ينبغى ان يتخللها شىء من مهادنة وسلم ، حتى الحرب كر وفر ، ليست مواجهة متصلة .. لا توقف فيها ولا اعادة لحساباتها لمعرفة المكاسب والخسائر ، وهو امر ضرورى لكل من يعمل اى عمل ، ان يعيد حساباته .. ولايثقل نفسه بالديون ، لأن آخرتها افلاس وسوء عاقبة ، كذلك العمل الصحافى .. اذا كثرت الأخطاء فيه ، حسب تقدير .. الذين يحسبون علينا .. ولايحسبون لنا شيئا . فعند الله سبحانه وتعالى ..

تمحو الحسنات السيئات ، أما عند البشر .. فانك إن صنعت ثمانين حسنة وعشرين سيئة (مثلا) .. فان هذه الحسنات .. التى ترجح كفتها كفة السيئات .. لكنها لاتمحوها ، ولا تكون شفيعا لصاحبها..ولاتنفعه فى شيء . أنت فى ميزان البشر يحسب ماعليك ولايحسب ممالك شيء وان كثر وانتشر ، فأنت اذن عندهم دائما « مدين » .. ولست دائنا بشيء ليس لك رصيد .. على الاطلاق ، ولكن حسابك تميزه علامة حمراء .. دليل على انه مكشوف ، وسيظل الى الأبد .. مادمت حيا وتعمل ، انت مدين الى الأبد . ولكنك يوم البعث .. سوف تختلف الموازين والتقديرات وهى ليست جزافا ، ولكنها دقيقة عادلة ، حساباتها .. لاتغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيت فيها ، « لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » ، « يوم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون » . « وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما » .

وتعرفت على الدكتور « عبدالله مناع » . وهو يومئذ يدرس طب الأسنان فى جامعة الاسكندرية ، جاء لجدة فى احدى اجازات الدراسة ، فكان لقاء وتعارف ، ووعدنى .. ان يكتب لى ، فكان يكتب سلسلة مقالات عنوانها « من أيامى » .. بأسلوب قصصى جميل ، ثم بدأ يكتب رواية ، او هكذا رأيتها .. عنوانها « على قمم الشقاء » ، وهى قصة حب ومتعة ، كانت .. تتعبنى فى النشر ، فقد كنت اسهر على كل حلقة ليلة كاملة احذف كلمة وأضع اخرى .. لتخفيف وطأة مافيها من هيام وغرام .. لايحتمل نشره .. ومع ذلك

لم أسلم ، فقد اتصل بى فضيلة المرحوم .. الشيخ عبدالملك بن ابراهيم .. الرئيس العام للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. هاتفيا وانا فى الجمارك أؤدى عملى ، وكان ذلك فى احد مواسم الحج .. وتحدث إلى حديثا طويلا .. بلغ عشرين دقيقة ، هو فى الرياض .. وأنا فى جدة ، بدأ حديثه بقوله : جاءنا من نثق فيه من العلماء من غير بلادنا يقول : ان مجلة الرائد .. هى « روز اليوسف » السعودية . وكانت مجلة روز اليوسف مكروهة عند المشايخ .. لما تنشره من أدب مكشوف وقصص الجنس .. حاولت ان ادافع . وأن اعتذر ، لكن الشيخ عبدالملك .. لم يعطنى هذه الفرصة ، وانما هو يتدفق تحذيرا .. ويقول : لايجب ان تكون فى بلادنا صحيفة تنشر ماتنشرونه ، فنحن بلد مسلم ، فيه الحرمان الشريفان .. يجب حماية الأخلاق فيه والذود عنها ، والتصدى لكل مايخدش الأخلاق والحياء ، وانتهت المكالمة .. لتتركنى اضرب اخماسا فى أسداس ، فرغم حذرى .. مازلت مطاردا بتتبع ماتنشره صحيفتى ومحاسب عليه ، وأنا أدرك .. انها مسؤولية جسيمة وخطيرة ، ولكنه قدرى الذى لامفر منه ، وليس امامى .. الا الحذر والاحتياط مااستطعت الى ذلك سبيلا .

وعاد صديقى الدكتور مناع .. بعد ان أتم دراسته الجامعية .. طبيبا للأسنان ، وعمل فى المستشفى المركزى .. وتوطدت صداقتنا ، وأخذ يكتب للرائد كل أسبوع .. ويرد على رسائل القراء ، ويقرأ انتاجهم وينشر الصالح منه ، ويوجه قراءه بملحوظاته على مايكتبون

ويمارسون من كتابة . وسافرت الى لندن .. لدراسة اللغة الانجليزية لمدة ستة اشهر ، ووكلت اليه مهمة الاشراف علـى المجلة ، وبجانبه الصديقان .. حمدان صدقة وعبدالعزيز فرشوطى ، فسارت فى خطها المرسوم .. الذى اختططه لها ، فلم تتعثر ولم يدركها الوهن ولا الضعف ، حتى عدت اليها .

والدكتور المناع يجلس بجانبى .. نتسامر ليلا ومعنا شيخنا العارف .. كأصدقاء وأخوة ، تربطنا علاقة الأدب وحبه ، ونعشق العمل الصحافى .. ونبذل الجهد لانجاحه وتحقيق طموحنا وهوايتنا .. التى عشقناها بنهم ، الى آخر يوم من حياة الرائد الحفيلة بالجهد والجد .. والتفانى فى سبيلها ، لاسيما ونحن فى منافسة قوية ، فحولنا الصحف اليومية ، كالبلاد والندوة ، والاسبوعية .. كعكاظ وقريش والخليج واليمامة والقصيم وماليها .

وأصل الى شيخنا « ابى تراب الظاهرى » فقد كان يصحح مواد الرائد ، نحملها اليه فى داره .. ونستردها منه بعد التصحيح . وكان يكتب مقالا كل اسبوع للرائد ، ويشارك فى المعارك التى تثار .. مشاركة جادة قوية . وأهم معركة خاضها أبوتراب .. على صفحات الرائد هى موضوع الغناء والسماع ، الذى أثار ثائرة واسعة ، فقد كنت أنشر تلك المقالات .. التى تشغل صفحة كاملة من الصحيفة ، ثم يأتينى الرد .. مقالات مطولة .

وكانت الردود عنيفة ، وكانت حجج ابى تراب قوية .. مدعمة بالدليل القاطع ، الذى لايحرم الغناء والسماع ،

وكانت تصلنى ردود اخرى .. تنكـر علينا الدعـوة للغناء واباحته ، كنت انشر هذا وهذا .. بلا تردد ، وأتوقع أى رد فعـل يلحق بى وبأبى محمـد ـ أبو تـراب ـ .. من هـذه الجرأة ، ولم اقدم على نشر آخر موضوع .. كتبه الشيخ ابو تراب .. كله ادلة وحجج ، فقد خشيت عاقبته .

وكان بجانبى فى مطبعة الأصفهانى الصديق .. الأستاذ « فهـد العـريفى » الذى شجعنى عـلى نشـره .. وعـدم التردد ، غير ان النار تحت قدمى ، وفـرق .. بين واطىء النار وبين من ينظر اليك ، فالشجاعة لها حدود عندى . ولم يمض طويـل وقت .. حتى اصبحت اذاعتنـا .. تشـدو بالغناء ، ثم التلفاز ، وانشىء للاذاعة والتلفاز صرح .. من ثـلاثـة عشر طابقـا فى جـدة ، وأصبحنـا نسمـع ونـرى التمثيليات والأفلام السينمائية ، وقلت للشيخ أبى تراب :

إن هذا المبنى ومافيه مدين لهذه الأقلام المتواضعة .. التى كـانت تكتب وتنشر تلك الموضـوعات .. التى أوشكت ان تعصف بنا ، وكنت أقول للشيخ مازحا .. أيام كنت أنشر موضوعاته ، هيىء نفسك لكل طارىء ، وانا معك ، وانى على أهبة الاستعداد .. لكل طارىء ، فالذى يمارس عمله

بلا تردد .. لايسلم ان يصيبه شىء من مكروه ، والصحافة وظيفة المكاره والإحن ، والذى لايستـطيع احتمـال هذه المكاره .. خير له ان يبعد عن ساحتها وهمومها ، ويؤثـر السلامة ، اذا كان غير قادر .. على المـواجهة والمجـابهة وتحمل الأذى .

وتطوع باسم الغيرة على الدين « محمد احمد باشميل » فألف كتابا اسماه : « اسكات الرعاع فى تحريم الغناء والسماع » ، وصفنى فيه بكل نعوت سيئة .. لأنى نشرت تلك الموضوعات ، كما هاجم الشيخ ابا تراب ، وكان باشميل .. يحتمى بوظيفته ، ورددت عليه فى هدوء ، واتزان ، فقلت له : ان من هو أقوى منك .. أعنى رسول الله موسى عليه السلام ، ذهب الى من هو أعتى منى .. وهو فرعون ، وأمر رب موسى رسوله ان يقول لفرعون « قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » فمن انت بالقياس الى موسى ؟ . ومن أنا بالقياس الى فرعون ؟ .. ولم يجب باشميل بشىء . كان اذن موضوع الغناء والسماع احد موضوعات الرائد البارزة . وانا لاأفاخر بها ، ولكنها قضية .. أثيرت فى وقت كان كل كاتب يخشى أن يثيرها .. وان يتصدى لها ، لأنه يعرف عواقبها ورد فعلها .. وماتجر اليه من عنت ومتاعب . وقليل .. الذين يغامرون ويتشجعون على تناول مثل هذه الموضوعات والخوض فيها ونشرها .

وكان يتردد على مكتب الرائد .. شاب قليل الحديث ، ولكنه كان يستمع لما يدور حوله ، كأنه جاء ليستمع فقط ، فلم تكن له جرأة .. المشاركة فى الحديث ، كان يافعا ، ولعله .. كان يخشى عدم قدرته على الحوار ، وربما كان ذلك الوقت طالبا .. فى احدى المدارس ، انه الأخ والصديق « على خالد الغامدى » .. الذى أصبح فيما بعد صحافيا وكاتبا ومؤلفا ، ومدير تحرير جريدة « المدينة المنورة » . كان شابا حييا .. خجلا ، ولعل ذلك الاحتكاك غرس فى

نفسه .. حب الصحافة والكتابة والأدب . فبرز فى صحافة المؤسسات ، وأصبح ذا شخصية معروفة لامعة ، ولعله اذا عنى بكتابة تجربته الصحافية .. وبداياته ، سيذكر ويتذكر تلك الأيام .. التى كان فيها يتردد الى مكتب الرائد المتواضع .. فى احدى شقق البنك الأهلى التجارى .. من طريق مكة . انا واثق .. ان تلك المخالطة والاحتكاك لهما اصداء فى نفسه ، ومنهما انطلق فى عمله الصحافى .. وكذلك فى حبه للكتابة . وكثير أمثال الأخ على الغامدى .. مرت بهم مثل هذه التجربة ، وعندهم الاستعداد الفطرى ، ان يكونوا .. فى الحقل الذى احتكوا به واختاروه ، فكان لهم ماأرادوا من نجح وتقدم فى حياتهم ، وان كانت ظروفهم .. قد اعاقت حياتهم فى بعض المراحل ، الا انهم تغلبوا .. على المصاعب بارادتهم وصبرهم ، فوصلوا الى اهدافهم ، وان ظل شىء من القلق يلاحقهم ، وان لم يرضوا .. بما حققوا من طموحاتهم واهدافهم . والحياة دربها طويل ، والسير فيها عميق ، والوصول فيها نهاية ، والانسان .. لايحب الوصول الى نهاية واحدة ، وانما هو يتوق الى نهايات لاتنتهى ، لذلك نراه يموت .. ولم يحقق ولم يصل الى مايريد ومايصبو اليه .. فأطماعه اكبر من جهده وقدراته لأنه هلوع .. كما وصفه القرآن الكريم .. وانا سعيد ان يصل الأخ على الغامدى .. الى ماوصل اليه بجهده الفردى وصبره وتحديه لنفسه ، وهو لم تكن له مشاركة ايام الرائد .. ولكنه تأنى .. حتى اذا ماوجد نفسه قد استعدت وتأهلت لتمارس دورها .. بدأ بانطلاقة ثابتة ،

لأنه ألم بشيء من سر المهنة ، وقرأ وأدرك .. ماينبغى عليه ان يعمله ، حتى اذا بـدأ .. استطاع ألا يتعثـر ، ومضى ليدرك مناه .. وان ركب فى سبيلهـا الصعب ، وهذا شيء بدهى ، فالحياة جهاد متصل ، لأنها كبد وعناء .

كما أسعدنى وصـول الأخ هاشم عبـده هاشم .. الى الدرجة العلمية العالية ، بفضـل الله ، ثم بصبره وجلده واصراره ، وان بدايـاته كـانت فى الرائد ، فقـد وجد فى صحيفتـه فـرصتـه وبغيتـه ، فـانـطلق من خـلال تلك الصحيفة ، هو فى جـازان .. وهى فى جدة ومـع ذلك فان المسافة الشاسعة .. لم تحل بينه وبين تحقيق مايرغب ، لم تكن هناك حواجز وعقبات .. تحول بينه وبين اهدافـه .. ليكون كاتبا ، وقد وجد الطريق امامـه .. ممهدة ، ويملك وسائل التعبير .. حين استطاع ان يشق طريقه بغير تردد ، ولكنه خطا فى ثقة وثبات وعـزم وارادة صابـرة قويـة .. هؤلاء .. هم الذين يستحقون ان يشاد بهم ، لأنهم ادركوا النجح بعزيمة ، ولم يقدم اليهم هدية .. على مائدة صحافها من ذهب وفضة ، وانما سهروا الليالى الطوال .. مناضلين فى تحد لكى يصلوا ، وقد كان لهم ذلك ، فهم احرياء .. ان يجنوا اليوم ثمار جهودهم وكفاحهم وصبرهم . ذلك انهم ليسـوا انهـزاميـين .. يجـرون وراء النجـح الرخيص المجانى ، وانما دفعوا الثمن غاليا باهـظا .. فاستحقـوا أوسمة جهادهم الجاد بجدارة .

لو أردت المضى فى هذا الحديث .. على هذا النحو فأذكر اسماء الذين استلذوا السهاد .. نحو غاية مثلى ، وفازوا

بمـا ارادوا ، لو حاولت ذلك .. لطال بى الوقـوف فى هذه الصفحات ، ذلك ان وراء كل نـاجح قصـة أو قصصا ، يستطيع ان يرويها فى فخر واعتزاز ، لأنهـا قصة جهـاد كريم ، ولعل الفـوز .. هو الدافـع الى ركوب الصعب من الأمور ، لأن المضطر يـركب الأسنة كـارها . ليس امـام المعوز الا طريق واحد . فاما أن يكون أو لا يكون ، وهو لايكون الا بثمن ، ذلك .. انه لايملك خاتم سليمان ، وانما يكون بالعرق ونكران الذات والمجاهدة والصبر الجميل ، من اجـل ان يصل .. ويصبـح له اسم وقد يلقى عصـا الترحال مؤقتا ، لينظم حياته .. على نحـو ما وهـو يعمل ويكد ، فهو اذن ينتقل .. من حال الى اخرى .. مادام حيا ، ولابد ان يجدد كل يوم حياته ، كما يجدد المـاء .. الذى يوضع للزهرة .. التى فارقت اغصانها وجذورها التى كانت تعيش فيها ، أخذهـا الانسان ليفـاخر بهـا .. وينظر الى جمالها ويتمتع برائحتها ، وقد يقدمها الى من يحب ، كدليل عـلى الوفاء ، ولكن حتى الوعـاء .. الذى يتغير مـاؤه كل يوم .. لايبقى الحياة للزهرة ، التى سرعان ماتذبل ، لأنها اغتصبت من حقلها وحياتها الطبيعية ، الى حياة صناعية موقوتة ، لاتستطيع .. ان تحيا فيها ، ولاتمتد انفاسها من خلالها ، فقد فقدت التنفس ومناخها الذى ألفتـه وخلقت فيه ، وهى لاتعيش بالحب الصورى وحده ، ولكنها تفقد الحياة .. اذا تلوثت باحتراق انفاس الانسان ، وبعدت عن « الأوكسجـين » وسر الحياة .. التى اودعهـا الخـالق فى التربة والشمس والهواء وذراته التى فيها اسباب الحياة ..

بتقدير العـزيز العليم والمـاء الذى يصل اليهـا من خلال الجذور والأغصان بقدر .. وفى أوقات معلومة محددة ، اما ان تغمس فى وعاء ميت به شيء من ماء .. ويراد منها ان تحيا .. ليستمتع بعرفها واريجها الناس ، فانها تأبى ذلك وتمقته ، وهى تفضل الانتحار .. والموت العـزيز من تلك الممارسة التى ترفضها وتأباها ، فتموت وهى واقفة حال الشجرة الأم ، وتصبح جثة هامدة ، ليلقى بها بعد ذلك .. فى برميل الفضـلات .. شهيدة العسف والظلم وجبـروت الانسان واعتداءاته .. وسلطانه فى الحياة ، فقد سخر الله له الكثير من بهجتها ومتعها .. والمزيد من الرزق ، ليسعد فى هذه الحياة ، ويعمـر الكون ويصلح فيـه ، لايتجبر .. ولايتكبر ولايطغى .. فـان فعل شيئـا من ذلك .. تحولت حياته الى جحيم ، وسلط عليه من هو أقوى وأظلم منه ، « كذلك يولى الله الظالمين .. بعضهم بعضا » .

لاأدرى .. مالذى جرنى الى هذه السباحة .. التى اخذت استمرىء المضى فيها ، لولا ان افقت مسرعا .. لأتـوقف وأعود .. الى ماكنت اتحدث فيه ، او انهى هذه الصفحة التى بدأتها بالأخ على الغامدى .. وتردداه على مكتب الرائد قبل ربع قـرن من الزمن ، وانا اتحـدث عن رحلة الرائد الصحافية وانا فيها ومعها ، ذلك ان هذه التجربة .. جزء منى .. وانا جزء منها . واذا لم تسجل .. فانها تنطوى فى صدرى ، وربما اتيح لغيرى ان يتحـدث عنها ولو بعض الحـديث . والذين عاشـوا معى الرحلة .. بين الأضـواء والرائد والعدد الأسبوعى من عكاظ .. وهى فترة تتجاوز

السنوات التسع ، يستطيعون ان يتحدثوا عنها ، وان يذكروها ، اذا كانت تستحق الحديث ، وتستحق الذكر .

قامت ثورة اليمن فى عام ١٣٨٢هـ . وتدخل جمال عبدالناصر بجيش وصل عدده الى خمسين الف جندى .. ولولا هذا التدخل مااستطاعت ثورة اليمن ان تنجح وان يكتب لها البقاء طويلا . ونتج عن ذلك معارك اعلامية بيننا وبين مصر .

ثم جاء عبدالناصر ، يحمل هموم العالم العربى .. ويحمل أوزار هزيمته ، ومدت اليه اليد .. التى كان يحاربها .. وعمل وكاد لها ليقوض كيانها . قوبل بالترحاب .. وانعقد مؤتمر الخرطوم ، وكانت الدول العربية .. التى كاد لها عبدالناصر وحاربها وهاجمها بخطبه ووسائل اعلامه .. اول من بادر للعون السخى بالمال والمآزرة .. والوقوف بجانبه فى محنته ، للابقاء على ماء الوجه .. وكانت المواساة وتضميد الجراح النازفة .. من آثار الكارثة التى لاتمحى آثارها فى التاريخ . ولقد أبلى المدافعون فى صحافتنا بلاء مبينا .. لموقفهم الصادق ، فلاحقتهم أجهزة الاعلام .. فى عهد عبدالناصر ، ووصفتهم « بالعمالة » ، وانهم ماجورون ، وانا أحد هؤلاء .. الذين كان لهم شرف هذا الوصف ، لأنى .. كنت اكتب بموضوعية جادة ، أبين التضليل والحكم الزائف والشعارات الكاذبة ، وفساد الادعاء .. وفساد الرأى وخداع الشعوب . حتى انى حين سافرت عبر القاهرة ، لاأريد ان ادخلها ولا البقاء فيها ، وانما رحلتى « عبور » لم

انج .. من سوء المعاملة فى فترة الانتظار التى دامت ثمانى ساعات . فقد حجز جواز سفرى .. ووقف على رأسى جندى ، حتى انى حين حان وقت المغرب ، وكان الوقت رمضان .. وكنت صائما ، وحين طلبت من الجندى الصعود الى المطعم فى مطار القاهرة .. لأنال شيئا من الطعام ، قال : استأذن الضابط : « المناوب » فى الجوازات ، وجاء الجندى ليقول لى : يقول الضابط « تأخذ ساندويتش » .. وأنت فى مكانك . وساءنى هذا التصرف . فأنا فى « الترانزيت » حكمت على نفسى بذلك .. حسب وضع رحلتى الاضطرارية ، واذا كان اسمى فى القائمة « السوداء » فى هذا البلد .. لأنى كنت ادافع عن وطنى بقلمى ، وأدفع عنه الظلم والاتهامات الباطلة .. وهذا واجبى ، كيف أعامل بهذا الأسلوب والعنت ؟ ثم ان العالم كله .. يعامل المسافر « العابر » عبر مطاراته الدولية معاملة عادية جدا ، لأنه محكوم بالساحة الدولية .. التى حل فيها ، ولايتجاوزها الا الى الطائرة .. التى تقله الى منطقة خارجية .. فله كل التسهيلات ، ولايقابل بشىء من عنت وعناء ، ولكن فى عالمنا العربى .. غير ذلك ، وهذا ماحدث لى فى مصر . حين اخبرنى الجندى برأى ضابط الجوازات قلت للجندى .. خذنى اليه ، وأنا أردد فى قرارة نفسى قول المتنبى : « أنا الغريق فما خوفى من البلل » . وذهبت اليه وقلت فى حدة : من حقكم ان تطبقوا علىّ النظم الدولية « للعابر » فى المطارات ، ونظام بلادكم فى عدم دخولها ، وأنا لاأريد أن أدخلها ، لكن من حقى ان اتمتع بحقوق العابر

الدولية ، وانا مسلم صائم ، اريد ان افطر بما أختار، وليس « ساندويتشا » ، كما اخترتم لى ، فهل عندكم .. مايمنع أن أصعد الى مطعم المطار لأصيب فيه مايحلو لى ؟ وكأن الرجل قد وجد فى منطقى وجدلى شيئا من حق ، فقال : يطلع معاك العسكرى ، فقلت عشرة عساكر . وذهبت للمطعم ونلت والجندى شيئا .. من فضل الله ، ونزلنا بعد ذلك الى الساحة التى انتظر فيها طائرتى .. وأنا نادم على هذه الرحلة ، ولكن لم يكن امامى خيار . فأنا ذاهب الى « بنغازى » حيث توجد اسرتى ، وكنت خارجا .. من عملية .. وليس ثمة طريق اقصر لى حيث أريد الا عن طريق القاهرة ، فأنا اذن مكره .. ولست بطلا ، أريد استعراض عضلاتى الواهنة .. فى بلد كنت بالأمس انتقد حكامه ، وأهاجم وسائل اعلامه ، ردا على مايصنعونه ببلدى ، ودفاعا عنه ، وليس اعتداء على احد ، لأن الله لايحب المعتدين . وتأخرت طائرتى ، واضطررت .. الى اخذ حجرة فى فندق مطار القاهرة ، وذلك .. بعد استئذان جديد من ضابط الجوازات ، ودخلت الغرفة .. وليس هناك نوم ، فالقلق لاينام ، وظل الجندى واقفا على بابى .. خشية ان اهرب وان افسد فى أرض بلاده .. كما يظنون ، أو هكذا انظمتهم وعنتهم . وجاء وقت السفر .. وصعد معى الجندى الى سلم الطائرة .. ليسلمنى الى جندى الأمن الواقف بأعلى السلم ، وسلمه جوازى .. وقال هو هذا : فأسرعت لأقول للاثنين معا : هو هذا المجرم . وأخذت جوازى .. وانطلقت بى الطائرة مع المسافرين ، وأنا أشعر

بقـرف .. مما رأيت فى هـذه المعاملة السخيفـة ، ولكنى أدرك .. أن كل شىء له ثمن ، لابد أن يأتى يوم لسداده ، ومع ذلك فأنا غير نادم على ماقدمت وأديت ، فأنا لم أصنع سوى الواجب نحو وطنى ، وان تخلى عنه بعض ابنائه .. ايثارا للعافية ، وهربوا .. من المسؤوليـة ، وقد لايعنيهم كثيرا .. مايسمى بالواجب . ولعلى أسأل : كيف يطالب أو يرجو إنسان نيل ماله ، ويجادل فى نيله ، ويحاج فى ذلك ، حتى اذا جاء وقت الواجب .. مر كأن لم يكن مطالبا به ، وليس عليه ان يؤديـه ؟ فقد يكـون فى رأيه .. انـه شىء اختيـارى .. أو فـرض كفـايـة ، غـير أن الإحن محـك واختبار .. لكثير من الناس ، لتظهر المواقف او لتختفى ، فما اكثر الذين يتشدقون بالوطنية ، وحب الوطن .. والموت فى سبيله ، حتى اذا حان الحين .. رأيتهم قد تخلوا كأن الأمر لايعنيهم فى كثير أو قليل ، وكأنهم .. لم يقولوا بالأمس ماقالوا ، وكأنهم لايعرفون الى الصدق سبيلا ، إنما هى مظاهر ورياء وكذب . صحيح ان المحن محك وامتحان ، ليعرف الصادقون ، وينكشف المزيفون الدجالون ، فلعنة الله على الكاذبين .

معركتنا مع عبد الناصر واجهزة اعلامه .. غير متكافئة ، لا من حيث الصـدق والكـذب ، وانمـا من حيث القـدرة والقوة ، فنحن بالقياس الى مصر قلة فى الكفايات والعدة الاعلامية ، وصوتنا لايبلغ مـايصل اليـه صوت العـرب « مثـلا » . واذا كانت الحـرب كلامـا .. فلن يغلب أحد مصر ، ولعل هذه المقولة « لوانستون تشرشل » .. رئيس

وزراء بريطانيا .. خلال الحرب العالمية الثانية . ولكننا كنا واثقــين .. ان النصر للحق وان ضعف صـوتــه ، وان المعتدى سيدركه الوهن ويهزم مهما طال به الأمد ، لذلك كنا ندافع ونهاجم فى الوقت نفسه ، فلا يقـابل الاعتـداء بالدفاع فقط ، وانما يقابل بهجوم مثله .. لتعرية الخصم وتبيان مثالبه وعيوبه ، وانه ليس مبرأ وانما هو عورات ، وأن للناس أعينا .. كما قال الشاعر . حتى شاء الله لهذه الفتنة ان تنطفى ، اطفأها الله بيننا وبين مصر ، وكذلك فى اليمن ، ولم يكن بيننا وبين اليمن عـداوة .. لا فى العهد الملكى ولا فى العهد الجمهورى ، غـير ان دخول الجيش المصرى وما تبعه من ملابسات عسكرية وسياسية .. لبدت اجواء العرب بضباب الفتن والمصادمات .

ويعلم الله ، ويـؤكد هـذا زملائى ورفـاق الحـرف من اصحاب الصحف ، ان حكومتنا لم تغرنا بشىء .. لا مادى ولا معنوى ونحن ندافـع عن وطننا ، وانمـا كنا .. نـرد الكيـد ، ونصد الهجمـات الكلاميـة الشـرسـة ، ونفنـد الأباطيل ، ونكذب الاتهام المختلق . لم نعرف يوما .. ان حكومتنا أعطتنا شيئا يدفع بنا الى الذود عنها ، ولم تكن يومئذ الدولة تعين الصحافة بشىء .. كما صنعت فى عهد المؤسسات ، كان كل مايصلنا اقيام الاعلانات الحكومية ، وبالقياس الى الصحف الاسبوعية .. فـان نصيبها منهـا محدود جدا ، ولولا الرجاء والاتصال بالمسؤولين وشرح

الحال .. ماستطاعت صحيفة مثل الرائد .. ان يستمر صدورها .. لأن الصحف اليومية .. تلتهم الاعلانات وحدها ، ولأنها اسرع فى نشرها من الأسبوعية . فقد يصلنى اعلان .. قريب الأجل ، مضت ايام حتى وصلنى بالبريد .. من الرياض ، وقد يكون وصوله يوم صدور العدد أو بعده بيوم ، وينتهى قبل صدور العدد القادم .. فلا استفيد منه شيئا . وقد يصلنى اعلان مطلوب نشره لأربع أو ثلاث مرات متقاربة ، ولكن صحيفة اسبوعية .. لاتستطيع اداء ذلك ، لأن اجل الاعلان قريب ، فيكفى ان ننشره مرة واحدة .. ونخسر بقية المرات ، والنماذج .. التى تقاس على هذا كثيرة .. لو أردت تتبعها وشرحها ، ولا أرى داعيا للوقوف عندها . وكذلك الاشتراكات ، فاشتراك العدد اليومى أكثر بالطبع .. والنفقات كذلك ، والجريدة اليومية مقروءة ، غير ان الأسبوعية .. حين تحسن الاختيار .. فيما تقدمه من اراء وموضوعات ، تشد القارىء الجيد ، ولايخفى هذا على الذى يتابع الآراء والأفكار . فالصحافة كانت الى عهد المؤسسات صحافة الرأى والمقالة .. الا ماندر ، فى حدود الجهود الفردية ، وبعض الاستماع .. عبر اجهزة الراديو ، لمتابعة الأخبار السياسية والأحداث ، وماعدا ذلك .. فلا شىء سوى الرأى والمقالة ، فلا وكالات انباء ولا صور خارجية ، ولا شىء من هذا وذاك .

وأريد أن أذكر .. ان صحافتنا قامت على اكتاف الأدباء منذ نشأتها ، وظلت تعتمد عليهم الى اليوم ، وان كانت

النسبة قد تقلصت .. بفعل اهتمام صحافة اليوم بالخبر والتعليقات السياسية وشؤون الاقتصاد والعلوم والتجارة والشباب والرياضة والصورة ، وأصبحت الآراء تأخذ طابعها .. فى الموضوعات التى تهتم بها ، وأصبح للأدباء والثقافة ، « زوايا » ومقالات محددة ومساحات محدودة ، واهتمت الصحافة بالأدب والثقافة ، بتخصيص صفحات اسبوعية ويومية ، وان كانت اكثر اليومية .. لم تستطع الوقوف على سوقها ، لتقدم أدبا ناضجا ، يجد فيه القارىء بغيته ، فالأدب الوصفى ، والأدب الانشائى معاناة ، ولابد له من الأناة والروية ، ليكون .. كما يريده المثقفون .. والكاتبون ، الذين يعنيهم الاهتمام بالأدب وجودته وقوته .. وادائه الرائع القوى . اما السرعة .. فانها تريد شيئا سهلا سريعا ، يكتب فى سرعة ويقدم فى سرعة ، فليس عندها الوقت الى انتظار الكاتب المجود لما يكتب ، وليس عند قرائها الوقت لقراءة الأدب الجاد القوى . الا ان المجلات والدوريات ، هى التى تهتم بالأدب القوى المتقن ، فتقدمه الى القارىء العربى .. أو نوعية معينة من القراء .

ان اهتمام الشباب اليوم بالرياضة محصور فى لعبة « كرة القدم » . وكنا بالأمس نهتم بها . فقد كنت أذهب الى « ملعب الصبان » .. فى جنوب جدة ، نقف على الأخشاب والحديد وعلى الأرض ، فقد كان هذا الملعب الخاص بعض مخازن صاحبه . كنت أشهد المباراة ، وكنت أذهب الى مكة لأحضر مباراة عنيفة .. بين الاتحاد والوحدة ، الخصمين اللدودين ، وكذلك أشهد المباريات التى تقام داخل

« تيازير » .. فى غير هذين المكانين ، أعود من هذه المباريات لأعلق عليها .. وأصفها وأحرك المناخ الرياضى . بل كنت أسافر الى الرياض .. حين يكون هناك مباراة بين فريق من جدة .. وخاصة الاتحاد وآخر من المنطقة الوسطى . مارست ذلك .. لا عن حب أصيل لهذه اللعبة ، ولكن صحيفتى .. تحتاج الى هذه الوجبة .. لكى تقدم الى أصحابها . وتصبح الصحيفة ناقصة اذا لم تهتم بقطاع كبير من القراء . وكان بالأمس .. كما هى الحال اليوم الموظفون فى دواوينهم .. يشغلون بعض الوقت فى مناقشة مباراة أقيمت ، قبل يوم أو يومين ، ويحتدم الجدل .. وترتفع الأصوات ، وكان للتعليقات الرياضية .. التى تنشرها الصحف ، بين مؤيد ورافض ، لاسيما حين ينتمى كاتب أو معلق الى فريق ، وحين يكون التحيز فتأخذ الردود تتالى على الصحيفة ، وتجد المناقشة سوقا رائجة ، وتروج الصحيفة . ثم اراحنى الله من التعليقات الرياضية .. حين مارسها فى الرائد .. الأخ هاشم عبده هاشم بعض الوقت ، ثم تحول الى صفحة « أفانين » .. مع الأخ حمدان صدقة ، ليصل الى صفحة الرياضة الأخ « صالح جلال » المسؤول عن البرامج الشعبية فى اذاعتنا .. منذ سنين حتى اليوم .

كنا نطبع فى مطبعة الاصفهانى .. والبلاد فيها وصحف اخرى .. كما أشرت آنفا ، وكان الأخ حسن قزاز يضيق بنا . وأقول له : أنت صاحب جريدة يومية ، وأنا اصدر مرة واحدة فى الأسبوع ، فكيف تشكو مزاحمتنا لك ؟ وهكذا طبع بعض الناس ، لايريدون من احد ان يزاحمهم فيما

يعملون ، ويريدون ان يكونوا وحـدهم فى الميدان ، وكنت لاأضيق بهذه العكننات والمضايقات . وكان الأخ عبدالله خياط ، سكرتيرا لجريدة البلاد ، وكان مرة مديرا لمكتبها فى مكة . كان يمارس شيئا من هذه العكننة ، ظنا منه انه فى جريدة أقوى تصدر ستة ايام فى الأسبوع ، فكتب سطورا ينتقد صفحة « أفانين » .. التى يحررها : حمدان صدقة وهاشم عبده هاشم . وكتب هاشم وحمدان الرد ، واخترت انـا عنـوان المـوضـوع فكـان « أفـانـين .. رغم كيـد الحاسدين » .

والذى يمارس أى عمل .. لابد أن يحتك بغيره ، وتبدو الغيرة بين المتنافسين .. وإن بعـدوا أو اختلفت ادوارهم وسبلهم . والذى يتصـدى لأى عمل .. يصبـح فى مـرآة الآخـرين ، وقد تكـون « جـربـاء » فتـظهـر المسـاوىء والعيوب ، وتخفى المحاسن .. لأنها ـ أى المرآة ـ .. معتمة معيبة ، فلا تصل الى الجمال والمحاسن ، وربما اختيرت لتعيب فقط ، فما أكثر مانلقى هـذا .. من بعض الزملاء احيانا بالغمز والهمز ، واحيانا فى رسائل مجهولة ، كنت ارد على الغمز بأكثر وضوحا وتصديا ، وأرد احيانا عـلى رسائل المجهولين ، وأصف اصحابها بقلة الشجاعة ، والا لأعلنـوا عن انفسهم وتصدوا فى مـواجهة .. إن كـانـوا يحسون أنهم على حق ، والاختفاء .. دليل الباطل والجبن .

وكان « أبو حياة » فى قصصه وصفحة القراء ، وشده القـارىء .. بمداعبـاته ونكتـه ، وتبسطه معـه وهـزله ، وقصصه الأسبوعيـة أو شبه الأسبـوعية .. المشـوقة ،

الخيالى منها والحقيقى . وكانت مقالب الأصفهانى لاتحد ، فهو قد يدعو الى افطار فى رمضان الى بيت من يعرف عن قرب ، وهو يعلم انه ذاهب .. يعتمر ، ويسعى المدعوون .. الذين وصلتهم كروت مزورة من الاصفهانى .. الى بيت الداعى ويسرحون سياراتهم ويصعدون السلالم العالية ، ثم لايجدون احدا ، وقد أدت هذه الحال أن يشكو الأستاذ احمد قنديل للملك فيصل وتحال الشكوى للتحقيق ، ثم تحدث مصالحة . ومرة اخرى يدعو الأصفهانى الى بيته ، ويذهب الى المدينة ويجىء الناس .. فلا يجدون الا الخادم ، ويكون من بين المدعوين « حمام » والصحفى احمد هيكل ، ويرجو هيكل حماما .. الا يبيح بسر « المقلب » ، فكيف يضحك الاصفهانى على مصرى ؟ ويحلف حمام .. انه لن يكتم السر . ويأكل المقلب أبو تراب وعبدالقدوس الانصارى .. فى كيلو عشرة تارة وفى غيره تارة اخرى ، وكذلك العواد وغيره كثير ، يوم كان الاصفهانى خليا ، لا هم عنده الا المقالب . وما أكثر مايجد مفاتيح أحدنا على مكتبه .. وعقولنا مشغولة بالصحيفة وانجازها ونقصها الخ . فيأخذ محمد حسين اصفهانى المفاتيح ، ويضعها فى درج مكتبه ويبقى .. حتى اذا سئل : قال لاأدرى ، وقد يذهب الى بيته ويترك صاحب المفاتيح محبوسا فى المطبعة .. الى آخر الدوام ، ثم يستقل سيارة اخرى .. الى مكتبه أو داره ، ثم يعود بعد العصر « مثلا » ليجد الاصفهانى او باعكضة يقولان له .. أو أحدهما يقول : إنه وجد المفاتيح ملقاة .. هناك أو هنا ، وقس كثيرا

على هذه المقالب مع حمام ومحمد مصطفى الصباحى الصحافى المعروف وكثير أمثالهم ، لذلك قال حمام :

مقالب الاصفهانى فريدة فى الزمان

○ ○ ○

وقصة أخرى

لم تكن هذه المرة .. معركة كلامية مع دولة ما ضد بلادنا ولم تكن أدبية ، ولم تكن قط على مستوى الشيخ ابراهيم الشورى ، غضبة عابرة ، تنتهى فى وقتهـا ، ولاتبقى لها عقابيل . وانما كانت قصة بقاء او انتهاء . كانت .. مـع وزارة الدولة للاذاعة والصحافة والنشر . وهى عن حجم المجلة . وقد ذكرت .. فى اثنـاء حديثى عن الرائـد .. ان امتيازها مجلة ادبية ، وانها كانت فى حجم المجلات فى بداية امر اصدارها ، ثم تحولت .. الى حجم « تابلويد » ، على نحو .. ماكان يصنع الأستاذ احمد السباعى .. فى مجلته « قريش » . لأن الغلاف مكلف ، وليس لصحـافتنا دعم مـادى ، لا من الحكـومـة ولا من سـواهـا ، وليست صحـافتنا .. مثـل الصحـافـة اللبنـانيـة .. فى وقت من الأوقات ، عندها ثدى .. مايفتأ يدر الحليب السائـغ لذة للشاربين . صحافتنا اذن .. ليس لها الا جهدها وعرقها ونضالها ، ولامعين لها الا الله . ومسألة الحجم لم يحددها نظام المطبوعات ، ثم انه .. وان تعارفنا عليه ، فليس هذا التعارف كتابـا منزلا .. من السمـاء لايتجاوز ، وخـلال

الجدل مع وزارة الدولة للاعلام ، قلت : انى اذكر ان امتياز اخبار اليوم الاسبوعية ـ امتيـاز مجلة ـ . وكان الشيـخ عبـدالله بلخير .. كمـا أشرت آنفـا قـد بعـد عن الادارة العامة .. للاذاعة والصحافة والنشر ، وحل محله الشيخ .. ابراهيم الشورى .. رحمه الله .

وعاد الأستاذ بلخير مرة اخرى .. بلقب .. وزير دولة للاذاعة والصحافة والنشر ، ليس بلقب مدير عام ، وذهب الشيخ الشورى ، أو عاد الى حيث كان . ولقد كان مدرسا ، ثم عمل فى جهاز الاعلام ، وتعين الأستـاذ « عبدالرحمن الشيبانى » .. وكيلا لوزارة الاعلام ، ورحبنا بعودة الشيخ بلخير ومقدم الأستاذ الشيبانى . وكنت سمعت عنه .. يوم كان مديرا لمكتب إمارة المنطقة الشرقية ، سنـين طوالا ، وسمعت عن صبره وجلده ، وقد ابلى بلاءا حسنا فى ذلك ، هذا ماسمعته عن وكيل وزارة الاعلام أو وكيل وزارة الدولة للاعلام ، وهو أول وكيل وزارة .. فى شؤون الاعلام .

ولقد أشرت من قبل الى ان الأمير فيصل رفع الرقابة عن الصحافة وقبل أن أذكر معركتى العنيدة .. مع الاعلام . أشير إلى ان الغاء الرقابة .. تم فى لقاء مع الأمير بدعوة منه فى مكتبه بقصر المعذر فى الرياض ، وكان فى الاجتماع الذى حضره اكثر اصحاب الصحف ، ومنهم الأستاذ « عبدالله عريف » وفى ذلك اليوم اختـير أمينا للعـاصمة المقـدسة « مكة » وحاوره الأمير فيصل ، فذكر ان العريف .. كان يطالب بتزفيت عشـرة الاف كيلو متر .. سنـويا ، وذكـر الأمير ، ان الكيلو متر يكلف يومئذ فى مطلع الثمانينات ..

مائة وثلاثين ألف ريال ، وكان الأمير فيصل ـ الملك ـ مهذبا فى نقاشه وجدله ، هادئا ، نادرا مايغضب .. أو يثور ، ولعل تعيين العريف امتحانٌ له .. ليحقق او لا يحقق ماكان يطالب به المسؤولين .. ايام كان رئيسا لتحرير « البلاد السعودية » فى « همساته » النقدية الهادفة .. المتزنة ، التى كان يكتبها كل أسبوع ، ثم مرتين فى الأسبوع ، وهو لايستطيع ان يعمل شيئا ، ولا ان يحقق شيئا ، اذا لم يظفر بالدعم المادى .. من الحكومة ، ولكن الأمير كان معه بالدعم المادى والمعنوى وأقصد بالمعنوى .. ان العريف ماكان ليهدم بعض الدور فى مكة لولا وقوف الحاكم القوى بجانبه يؤيده .. ويحميه ويدعمه فالأرض والمبانى غالية كل شبر بوزنه ذهبا .. لاسيما المبانى التى قرب الحرم الشريف وليس .. من السهل نزع ملكية شىء منها .. مهما كان الثمن المعطى للمالك .. والناس عندنا لم .. يتعودوا هذا المسلك .. باسم المنافع العامة ، كالطرق وتوسعتها ، وتوسعة ماحول المسجد كتنفيس للحرم .. من الدور التى تزحمه ، حتى ان المسعى .. كان سوقا عامة ، تعج بالبيع والشراء ، والناس من حولها يسعون .. بين الصفا والمروة ، فى زحام مزعج ، ولايليق .. ان يكون مشعر حرام سوقا لمنافع الدنيا ، ولكن اطماع الناس وجشعهم .. ليس لهما حدود ، فالدنيا اكبر همهم .

ولقد نجح العريف .. وحقق الكثير من الانجازات لأم القرى ، ولولا توفيق الله ودعم الدولة . وشخصية العريف القوية ، التى وضعت فى امتحان .. هى جديرة به . لولا ذلك

كله لما استطاع ان ينجز للبلد الحرام .. ماأنجز فصعوبة الأرض والتربة ، وكثرة الجبال المحيطة بها وضيق الرقعة المنبسطة ، وأطماع الاقوياء فى البناء .. حتى داخل مساحة الحرم أو بأعلاه ان امكن ، من اجل الكسب .. ولاشىء سواه . كل هذه المعوقات .. كانت امام القادم الجديد لأمانة العاصمة . ومن حظ الرجل .. ان يأتى بعد انسان ضعيف ، او لم يصنع شيئا ، ولكنه .. من سوء الطالع ، ان يأتى ضعيف أو خامل .. بعد انسان قوى ، فانه سرعان ماينكشف ، وتظهر عوراته وعجزه ، وانه لايصلح لما اختير له وأعود الى لقاء الصحافيين بالأمير فيصل فى مكتبه ، ففى هذا اللقاء .. سمعناه يتحدث وينصح وهو قليل الكلام ولكن .. لما يقول معان وابعاد ، وكان حديثه .. تمهيدا لما سيجىء بعده ، ثم كانت تلك المفاجأة المفرحة ، لأنها تعطى الثقة للانسان .. كاختبار له ، لكى يعرف .. ماذا يصنع بها ، والى اى مدى هو خليق بها ، وكيف يتصرف وهو يمارس عمله فى ظل رقابته على نفسه ، ولا رقيب عليه سوى خالقه ، ثم الحكومة ، بعدما يقدم عمله .. الذى يتحدث عنه . كنت ممن فرح بهذه الثقة ، وهو رفع الرقابة عن الصحف ، وكنت مشفقا مع المشفقين ، لأن هذا الامتحان ذو حدين ، فما هو عندك مباح ، قد يكون عند الدولة غير مباح ، وقد أشرت من خلال هذه الصفحات .. ان ماهو مباح اليوم .. قد يكون محرما غدا ، وماأبيح بالأمس .. قد يصبح محرما اليوم وهكذا .

على أية حال .. اية نسبة من الحرية تفيد ، وهى خير من لاشيء ، ومنح الثقة .. وان كان امتحانا او يقصد به ذلك ، الا انه اعتراف بمنح حق لذويه ، وهى تجربة .. كما أشرت ، وعلى المرء الذى يكون فيها ، ان يمارسها بوعى وحذر ، وان يكون متيقظا وفطنا ، والا وقع فيما يكره ، وربما طالب .. ان تبقى الرقابة على الصحافة ، لأن بعض الناس .. لايستطيع ان يبصر ، وان يعمل فى النور ، وانما هو يفضل الظلام ، ولايريد الحرية ، لأنه لايستحقها ، وليس اهلا لها ، وهذا نموذج فاسد لايعتد به ، وليس له حساب .. عند الذين يعرفون قيمة الحرية ومعطياتها ، وهى متنفس وضياء واشعاع ، هى حياة مع الالتزام بالمثل والقيم والمبادىء . والحرية خلق ، والا .. فانها الفوضى . الحرية مطلب الانسانية ، يموت الأحرار فى سبيلها ، ويحيون من اجلها ، ولاطعم للحياة بدون حرية .. فرغيف خبز « حاف » فى ظل الحرية ، خير من موائد .. عامرة بالأطايب ، فى ظل الذل والاستعباد .. والحرمان من نور الحرية ، ولا أدل على ذلك ، من مقولة الفاروق عمر رضى الله عنه : « كيف استعبدتم الناس .. وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » . هذا رأى من يقدرها ويعرف قيمتها ، عمر عرفها قبل أن يؤمن ، حين كان الانسان .. عبدا للأوثان ، يعبدها اينما كانت ، وعرفها .. يوم آمن ، بأن المرء ليس له الا معبود واحد ، وهو عبد لله وحده ، وماعدا ذلك .. فهو حر ، لا سلطان عليه الا لضميره والحدود .. التى حددها التشريع ، حر ان يقول وان يعمل ، وان يعبر ويعترض ،

ويجادل ماشاء .. فى ظل الشورى والمشاورة فى الأمر . هذه هى الحرية ، وهذا هو معناها .

قال الفيصل للأخ حسن اشعرى .. « ارفع الرقابة عن الصحف ، فهؤلاء مواطنون .. يعرفون مصلحة بلادهم » . وكان ذلك وساما من اوسمة الحرية .. ومن ذلك اليوم ، اخذنا نمارس الرقابة على انفسنا ، واسترحنا من المراقبين وعنتهم . واعطينا انفسنا .. بعض الحرية ، اكثر مما كانت عليه الحال .. يوم كانت الرقابة تضغط على انفاسنا ، ولابد ان نستريح ونريح ، فقد كنا مصدر تعب للمراقبين ، تصل الحال ببعضنا الى شكواهم الى مراجعهم ، ووزارة الدولة للاعلام ، ولم يقع منى ذلك ، وانما حدث من بعضنا ، ظنا منه ان هذه الشكوى تجدى . ومن الخير للانسان الا يختصم مع من بيده هذا الأمر ، لئلا يجر على نفسه عناء .. هو فى غنى عنه . وانا وان كنت اختلف مع الرقابة احيانا ، فقد كنا اصدقاء ، ذلك انى محتاج اليهم ، وهم بأيديهم السلطة ، هم كذلك معذورون ، ولايجدى جدالهم وشكواهم ، وربما تعود ببعض الضرر على الشاكى ، فلم الجأ الى ذلك ، وانما اشكو الى الله .. حين يصيبنى عنتهم ، وهو شيء نادر ، لأنى كنت فى اكثر الأحيان مسالما ، وكان الأستاذ عبدالعزيز الرفاعى ، صديق الأخوة فى المطبوعات وصديقى ، كان جوهرة العقد ، فما أسرعه .. الى تلطيف الجو ، اذا رأى انه بدأ يتكهرب ويكفهر ، لذلك .. فقد مرت الأيام وان كانت طوالا بسلام .. مع ادارة المطبوعات ، ولكن اشتد العنف فيها مع

الوزارة نفسها .. ووكالتها ، وهو ماأريد ان اتحدث عنه .. فى السطور التالية .

أقول : اننا تنفسنا الصعداء .. بزحزحة الرقابة عن صدورنا ، وقد كانت عبئا ثقيلا ، ونحن قد دفعنا الثمن غاليا .. فى معركتنا مع عبدالناصر ، وكان لنا النصر .. فى هذه المعركة الكلامية ، وأقل مكافأة .. ان نكون احرارا بعض الشيء ، ونتخلص من قيود رقابة المطبوعات ، وهذا أيسر .. ماينبغى ان نحصل عليه لقاء جهدنا واخلاصنا ، وماتعرضنا له من عناء .. فى تلك المعركة الصاخبة . اصبحنا لانرى مراقبى المطبوعات الا نادرا ، وفى المناسبات ، فقد استراحوا وأراحوا ، وحق لنا ولهم ذلك ، فالمحارب له أن يستريح بعض الوقت .. وأن يقدر لما أبلى فى سبيل وطنه .. البلاء الحسن .

كنت من السعداء بالتخلص من الرقابة ، نحن اليوم احرار نسوس انفسنا بأنفسنا ، وينبغى ان نكون احرياء بذلك .. وان نمارس الحرية بعقل وحكمة . فرحنا فرحة عارمة ، وشكرنا الفيصل .. على الثقة ، وقلنا بلسان واحد : نرجو ان نكون .. فى مستوى المسؤولية وثقتكم ، وارتحنا كثيرا لهذه النتيجة ، وسعدنا بها سعادة غامرة . فاليوم نحن .. نراقب انفسنا بأنفسنا ، نقرأ بثقة كل موضوعاتنا بأنفسنا ، ننشر مانقتنع به ، ونعدل فيما نراه يتطلب التعديل ، ونبعد الآراء المتوترة .. او التى تهدف الى غير البناء .. نقرأ كل مايردنا ، وقد أكل قراءة بعض المقالات غير المهمة .. وغير الخطيرة الى الأخ عبدالعزيز

فرشوطى ، وقد أكل اليه قراءة مقالاتى ، لأن الرؤية امامه أوضح عنده منى ، فأنا الكاتب ، وحرصى .. لايمكننى من ادراك الصواب من الخطأ ، ولكن عبدالعزيز عنده ميزان .. اكتسبه من خلال الممارسة والاحتكاك ، وكان يطالع المقالات .. التى ترسل الى رقابة المطبوعات ، ويراها .. بعد ان تعود منها . يقف على مايجاز ومايحذف ، فتكونت عنده مقاييس وموازين ، وقد يستدرك على أشياء .. هى مقالاتى ، أو حتى مقالات غيرى ، كنت قد قدمتها للمطبعة ، وأطلب اليه قراءتها ، فقد أكون .. قد قرأتها على عجل ، وقد يلحقنى الشك فى بعض ماجاء فيها ، ويقرأ عبدالعزيز .. ماأشير اليه ، ويقول رأيه ، الذى نتفق عليه .. او نختلف ، الا انا كثيرا مانتفق ، وان رأيت فيه الخوف .. لما أراه لايخيف ، شجعته وقلت له : لابد من الشجاعة والجرأة ، وهذا هو العمل الصحافى ، ولابد من المخاطرة ، والا .. فان هذا العمل لايختلف عن غيره من الأعمال الرتيبة الجامدة . والصحافة تتميز بالجرأة والشجاعة ، والصحافى يموت فى جبهات الحرب ، وهذه بعض المقاييس والنماذج والأمثلة ، شجاعة فى غير تهور ، وجرأة .. فى غير جنون او عبث ، فقد أدبنا الدهر .. من خلال تجربة الأضواء ، وان كنت كما قلت .. لست المسؤول الوحيد عن اخطائها وعثراتها وكبواتها ، ولكنى .. كنت اتراجع بعض الوقت ، وكنت أنبه مرة اخرى صاحبى الى مغبة هذا التهور ونتائجه ، ولكنه .. كان لايعبأ بقولى ، وكنا نختلف الى حد الصراخ احيانا .. من جانبى ،

ثم نصطلح بوعد منه الا يعيد الخطأ ، ولكنه يعود الى المغامرة ، وكل واحدة اكبر من اختها . ولكنى .. لاأريد ان اترك كيانا بنيته بالعرق والسهر والتعب ، كنت اريد انتهاء العلاقة .. على نحو ما ، وسمع الله منى فأنهاها النهاية .. القاصمة ، التى لو خيرت ربما لاأختارها ، ولكنى كنت أريد الحسم للعلاقة ، فلا أمل فى ان نتفق وصاحبى قد ورث شيئا من هذا العناد .

أعود الى خلاف مع وزارة الدولة للاعلام ، وقد أشرت من قبل إلى اننى لاأحب التصادم مع الجهات التى تربطنى بها علاقة عمل .. الا اذا اكرهت على ذلك ، ولكن اذا الهيجاء .. دفعت النفس ، فأنا لها ، ولاأحسب وقتها للنتائج والنهايات ، ولكنى اثبت بغير تردد ، وأركب رأسى بالمقلوب ، وأصعد الشكوى الى أبعد مداها وأكبر شىء ، الى الله . ان لم ينصفنى البشر .

اعتدنا كما اشرت ايام الأضواء ، ان نصدر عددا خاصا من الصحيفة ، كما اعتاد الزملاء ذلك ، بمناسبة « ذكرى جلوس الملك » ، خلفا لوالده الملك عبد العزيز . اتخذ منها مناسبة ، وتُحرّك اليها وزارة الدولة للاعلام ، فنسهم جميعا فى ذلك ، وتتصدر الصفحات الأولى صورة الملك سعود بزيه العسكرى وكلمة منه .. فى هذه الذكرى ، وكلمات المسؤولين والكاتبين ، والعناوين الحمر و « المانشتات » تتصدر صحفنا ، وتتحدث الاذاعة .. عن هذه المناسبة وماكتبته الصحف اياما .

ورأيت وأنا اعد لاصدار عدد خاص بهذه المناسبة ، ان حجم صحيفتى لابد ان يتسع ، اعنى صفحاتها ، وما على من بأس .. ان انا فردتها . وصدرتها بصورة الملك ، ثم استمر فى اصدارها فى حجم الصحف المعتاد ٤٣×٦٠سم ، لا حرج فى ذلك ، لأن العبرة عندى بالمحتوى لا بالشكل . وصدر العدد الخاص بالمناسبة ، حجم جريدة كبير . وفى رأسها الاسم « مجلة الرائد » ، وصدرت اعداد بعد ذلك .. بنفس الحجم ، واذا برسالة من وكيل وزارة الاعلام .. عبدالرحمن الشيبانى تقول : رد المجلة الى حجمها الأول ، فأكتب ردا الى الوكيل .. أقول : إن هذا الحجم .. مظهر حضارى ، وان العبرة عندى بالمحتوى وليس بالشكل ، وان النظام .. لم يحدد حجما للمجلة ، وان امتياز اخبار اليوم مجلة الخ .. وكنت اسير فى هذه المناقشة على نحو مهذب هادىء ، يرمى .. نحو الرجاء والأمل ، لأنى .. أريد لسفينتى ان تمخر وتمضى فى اداء مهمتها ورسالتها .. ولا أريد صراعا ، فيكفينى المصارعة بما اكتب .. ومايكتب ضدى ، فكثرة الجبهات تستنفد الطاقة والجهد . غير ان وكيل الوزارة .. اصر على عودة المجلة الى حجمها .. ماقبل مناسبة ذكرى الجلوس ، وكانت تمر الأيام فى المكاتبة بيننا وأنا سائر فى طريقى .. لم أتوقف ، ولم أعد المجلة الى حجمها الأول ، وانما آخذ واعطى مع الأخ الشيبانى ، حتى اذا وجدت اصراره .. ووجد اصرارى أمامه .. الا تراجع الى الحجم الأول ، سعيت الى الرياض .. لمقابلة الرجل الأول عن الاعلام .. الأستاذ

عبدالله بلخير . كان الوقت قيظا ، وذهبت اليه فى منزله عند « الخزان » . ولم أستطع الوصول اليه .. وهو فى ديوان الملك ، وأنا انسان حيى ، وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ، وأنا مكره على ذلك ، وانا اعلم انه ليس وقت زيارة ، ولكنى خشيت .. ان انا لم ارابط عند باب داره فى مثل هذا الوقت فلن استطيع لقاءه ، فهو فى المساء فى الديوان .. وفى المناسبات وماأكثرها ، وانا لاأستطيع ان اتأخر عن جدة .. لاصدار صحيفتى فى موعدها ، فكل ساعة بحسابها ، وكل يوم بحسابه . جلست مع البواب والسائق .. اللذين قالا : إن الشيخ نائم ، ولكنه سوف يخرج فى حدود الساعة الرابعة والنصف ، وانتظرت ، لأن صاحب الحاجة ارعن ، وخرج الأستاذ بلخير .

وهرعت اليه ، كأنه نزل علىّ من السماء ، ألم أقل : ان صاحب الحاجة أرعن ؟ وقف معى دقائق سبعا ، قلت : أريد اصدار صحيفتى الاسبوعية صحيفة يومية .. فقال لا . لأنك ستحرك علينا السباعى والمليبارى [٢٣] . وطلب إلىّ الا أفكر فى هذا الموضوع أو اهتم به ، فقلت إننى منذ مناسبة ذكرى جلوس الملك .. اخذت اصدر صحيفتى فى هذا الحجم ، غير ان وكيل الوزارة يتابعنى .. لأردها الى الحجم الصغير ، وقلت للوزير : هل عندك مانع فى ابقائها فى هذا الحجم ، وكان معى عدد منها ؟ فقال : ليس عندى

---

(٢٣) كان محمد عبدالله مليبارى يصدر صحيفة اسبوعية رياضية باسم « الرياضة » على أيام الرائد .

مانع ، وعدت فى نفس يومى الى جـدة ، وانا واثق .. ان الموضوع انتهى ، وانتهيت معه المضايقة والمتابعة ، لكن .. بعد اصدار العدد الجديد .. الذى أعقب لقائى بالوزير ، اذا بوكيل الوزارة ، وهو صديق وأخ أثير عندى .. يكتب إلىّ من جديد بلهجـة الأمر .. أن أرد الصحيفـة الى حجمها الأول ، فرددت عليه .. انى قابلت الوزير يوم كذا وساعة كذا ، واستأذنتــه فى الأمر .. ووافق عـلى ابقاء المجلة فى مساحة صفحاتها الكبيرة . وفوجئت .. بعـد ذلك بكتاب عنيف من وكيل الوزارة .. يقول فيه : « الذين يتقولون على المسؤولين » .. الى غير ذلك من الألفاظ التى تحمل معانى الافتــراء .. الذى وصمت به ، وأنــا أشهـد الله .. اننى ماكذبت ولا تقولت على أحد . وأدركت ان الأستاذ عبدالله بلخير . تنصل مما قال ، وهو أقوى منى حجة ، لأنى لاأملك أى دليل .. سوى ماسمعت منه من كلمات ، ولو انه أصر على عدم السماح بالحجم الجديد .. لرددت صحيفتى الى القطع المتوسـط .. وأمرى لله ، لأنى لست فى حـاجة الى مصادمة .. من هو اقوى ، وقد يكون بحجته ألحن .. لو صعـدت الشكوى الى ولى الأمـر . الا انى .. لم احتمـل تكذيبى ، واتهامى بالتقول على من لم يقل بزعمهم . ومن سوء الحظ .. ان وكيل الوزارة أعطى نسخـة من كتابـه الموجه إلىّ إلى مطبعة الاصفهـانى .. ينبه فيهـا الى عدم اصدار الرائد ، مالم ترجع الى حجمها الأول ، والمطابع .. لاتملك مخـالفة (المـديريـة العامـة للاذاعة والصحـافة والنشر) ، وقد أخبرنى الاصفهانى .. بما تقــرر . وكنت

امام خيارين .. « احلاهما مر » . ولكنى قبلت التحدى وركبت رأسى ، ذلك أننى احسست .. ان ماوصلت اليه الحال مساس بكرامتى ، واننى اصبحت كذابا .. أمام المسؤول الثانى اما المسؤول الأول فالحكم فى هذا الى ضميره ، ولعله تراجع فيما قال .

أخذت الرسالة .. وقد أصبحت صحيفتى موقوفة ، الا اذا ظهرت بحجمها المتوسط الأول ، وقد رفضت ذلك .. رفضى للموقف الذى كان ، وطرت الى الرياض ، وقابلت بعد الظهر .. اللواء « سعيد كردى » رئيس الاستخبارات يومئذ ، فعرضت عليه الأمر .. من باب الاستشارة ، لأنى أوثر هذا المنحى ، والرجل بصير بكثير من المواقف .. ولن يبخل بالمشورة ، لأن القضية .. ليس فيها مايمس شيئا يعرضنى للأذى ، وليس لادارته شأن فيها .. يجعله يتحرج فى رأيه . وقال لى بعد ان قرأ كتاب وكيل الوزارة : ان الأمير فيصل .. بعد المغرب مباشرة يتناول طعام عشائه ، فاذهب اليه .. لتتعشى على مائدته ، وحين يقوم الى القهوة .. اعرض عليه موضوعك وسوف يبت فيه . فأخذت برأيه وذهبت الى قصر الأمير فى « المعذر » ونفذت وصية .. اللواء الكردى . وينبغى أن يذكر لآل سعود .. ان ابوابهم مفتوحة لكل قاصد ، وان مائدة كبيرهم .. قبل صغيرهم يصل اليها كل قادم وقاصد .. يجلس ليصيب من طعامها .. فى حضرة الملك أو ولى عهده ، وينهض اذا شبع .. دون حرج عليه ، وحتى بعد فساد الوقت .. بما كسبت ايدى الناس ، من العبث بالأمن فى بعض الأوقات ،

ووجوب الحيطة والحرص .. على حياة الحاكم ، وهو أمر واجب ومهم ، ظلت موائد وأبواب أولياء الأمر عندنـا .. يصلهـا أى مـواطن ، يجلس ويـستـمـع للأحـاديث ، ويتحدث .. إن أتيح له ذلك ، وكان يحسن الحديث ، أو هو يتظلم .. ويعرض شكواه ، فيستمع اليه ويؤخـذ بيده .. ويطمئن الى ان حقه لن يضيع ، وان الدولة .. فى خدمـة الحق .. وفى خدمة انسانها وانه موضع الرعاية والاهتمام الخ .

تناولت العشاء عـلى مائـدة الأمير ، وحـين نهض الى الصالون للقهوة لأنه يجلس بعض الوقت .. ثم يصعد الى قصره لينظر فى هموم الدولة .. وماأكثرها . خلال احتساء القهوة .. قمت اليه ، وكان الحضور معدودين .. لايبلغون بضعة أفراد ، وقدمت اليه كتاب وكيل الوزارة .. فقـرأه بأناة ، وبعد ان فرغ منه .. سألته : ماذا تأمر ؟ فقال : هذا اتهام ! . قلت : أمـر سموكم . قـال : اكتب الينا .. لنحقق فى المـوضوع . قلت : ان صحيفتى مـوقـوفـة .. والتحقيق يأخذ وقتا . قال : لكى نصل الى الحقيقة .. لابد من التحقيق والبحث . وادركت .. ان المـوضوع سـوف يطول .. اذا انا اتبعت ماأشار بـه الأمير ، فـاستأذنتـه منصرفا ، وانا قد ذهبت اليـه .. تبعا لاستشـارة اللواء سعيد كردى ، لأنى اعلم سلفـا .. ان الأمر لم يبت فيـه بسهولة ، ولابد من اجراءات « روتينية » .. حتى تظهر له النتيجـة .. من جميع اطرافهـا ، ثم يحكم فى الموضـوع برأى ، قد يكون الحق لك وقد يكون عليك ، وأنا أثرت ..

مادام لم يبت في الامر .. وقد شرحت الحال ، فانى أخشى أن يضيع الوقت بدون جدوى . وماذا تكون النتيجة حين تتوقف الصحيفة اسبوعين او شهرا ، وأنا الملوم .. فى هذا التوقف ، ثم يكون الحق علىّ وليس لى . وكما أشرت آنفا .. فقد تكون حجة المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ألحن من حجتى ، فماذا انا نائل سوى الهزيمة والجدل ، وأصبح متهما بأشغال الدولة بما لايفيد ؟ آثرت الا أتراجع الى نهاية الشوط .

انصرفت من عند الأمير كسيفا ، ولكنى لست يائسا ، فالأبواب مازال بعضها مفتوحا امامى ، بت فى الرياض ، وفى الصباح الباكر .. توجهت الى وزارة الدفاع والطيران ، وكان الوزير يومئذ الأمير « محمد بن سعودبن عبدالعزيز » . ودخلت عليه فى مكتبه ، وقد عرفته فى مناسبة أو أكثر .. من خلال اهتمامى بوزارته ، ربما عرفنى وإن لم يكن قد رآنى ، ولم ينكرنى .. بل رحب بى ، وشرحت له الحال .. وطلبت عونه ، فقال : ان الملك سيكون فى جدة .. بعد غد .. فتعال لنا هناك .. فشكرته ، وقفلت الى جدة ، وكان الوقت موسم حج . وجاء الملك سعود الى جدة .. كما قال الأمير محمد . وانا متكتم أمرى ، لايعرفه .. حتى أقرب الناس إلىّ . واعتاد الناس .. الذين لايقابلون ولى الأمر فى المطار .. ان يسعوا الى قصره للسلام عليه . قلت لصديقى .. احمد عبدالغفور عطار ومحمد أمين يحيى : دعونا نذهب الى الملك للسلام عليه ، والأستاذ العطار .. يومئذ يصدر صحيفة عكاظ ويقيم فى جدة . وذهبنا الى قصر

خزام فى اليوم الثانى لوصول الملك ، وكان الوقت ضحى . والأستاذ العطار وأنا أصحاب صحف ، وأمين يحيى أديب . ودخلنا خزاما .. حتى وصلنا الى مجلس الملك ، وكان معه حاكم البحرين يومئذ والأمير فيصل ـ الذى كنت عنده قبل يومين ـ وعلى رأس جلالة الملك رئيس ديوانه الأمير « خالد بن سعود » ، ووقف الملك ووقف من فى المجلس فسلمنا عليه ، وكان بيدى عدد خاص عن ذكرى الجلوس . عليه صورة الملك بالزى العسكري ، وقلت مخاطبا الملك : « ان هذه الصحيفة تصدر فى بلد الاسلام ، وتدافع عن الاسلام وتُحارب فى بلد الاسلام » . وقال الملك بفتح من الله : « إن الرائد من أعز الجرائد علينا » . وقلت فى اختصار ان ذنبى اننى اصدرها فى هذا الحجم الحضارى المتطور ، فهل هذا أؤاخذ عليه ؟ ونادى الملك الأمير خالد .. رئيس الديوان قائلا : « أكتب لهم لايعارضونه » .

كم كانت فرحتى غامرة .. بهذا الانتصار ، لأنى لم أكذب ، ولم أتقول على أحد ، وذهبت مع الأمير .. الى الديوان ، وهناك أمر الأستاذ « عبدالرحمن الحميدى » ، رئيس شؤون الصحافة فى الديوان بأن ينفذ امر الملك ، واخذ الحميدى يراجع نظام المطبوعات .. عله يجد تحديدا لحجم المجلة ، فحينئذ .. لابد من مرسوم ، اذ لايلغى النظام او مادة منه الا مرسوم . وقلت للرجل : لايوجد فى النظام تحديد لحجم المجلة والصحيفة فاقتنع ، وكتبت رسالة على لسان رئيس الديوان .. الى وزير الدولة لشؤون

الاذاعة والصحافة والنشر بأمر الملك .. ان تصدر الرائد فى حجم العدد كذا ، الذى كان بيدى ، وكان بالديوان او معى اعداد اخرى .. من القطع الكبير . وقلت أريد نسخة من الكتاب لوكيل الوزارة بجدة ، لأن وزير الدولة فى الرياض ، ونسخة لى أنا ، فقد اصبح لى الحق أن أطلب وان آخذ ، فالملك .. بتوفيق الله أصبح فى صفى .

تركت صاحبى .. الأستاذ العطار وأمين يحيى .. فى مجلس الملك ، وانشغلت عنهما بما هو أهم عندى ، فهى مسألة حياة أو موت .. فى تقديرى . كتب الأستاذ الحميدى الكتاب وطبع ووقعه الأمير خالد رئيس الديوان ، وسلم لى مع نسخة وكيل الوزارة .. واخرى لى .. وهرولت الى مقر الوزارة فى جدة .. لأجد الأستاذ الشيبانى أمامى ، يحتفى بى ، فهو رجل لطيف وصديق وأخ محب ، لكن الوظائف والرسميات .. قد تغير الحال ، وتحول بينك وبين ماتريد . نادى الأستاذ الشيبانى .. على خادمه لكى يحضر لى شيئا باردا وشاهيا ، فقلت .. ومازال فى نفسى شىء من الجراح .. لم تندمل .. وكيف تندمل ، وانا أوصف بالكذب والتقول ؟ ولعل الأستاذ الشيبانى .. ظننى زائرا عابرا ، أو أرجو مرة اخرى امهالى فى اصدار صحيفتى فى حجمها الكبير . لاأدرى بم فسر زيارتى . غير انى لم امهله ، فقد دفعت اليه بكتاب وزير الدولة من الديوان .. ونسخة منه اليه ، فلما قرأه قال ماذا تأمر ؟ فضحكت ، وقلت انت تأمر الاصفهانى .. الذى أمرته بالأمس بعدم اصدار الرائد .. الا فى حجمها الصغير .. ان يجمع لى المواد المعطلة

بأمركم ، ودعنى أكسب الوقت لأكمل مواد العدد ، فقد اضعتم علىّ الوقت . وكنت محتاطا .. اجمع المواد وأصححها .. ولايبقى الا التوضيب وهو لايأخذ وقتا ، ففى ساعات توضب عشر صفحات .. بشىء من وقوف مع عامل التوضيب .. وبتضحية ساعات النوم بعد الظهر .. تنتهى المهمة . وصدر العدد فى موعده .. من غير تأخير ، ولم أشر فيه من قريب أو بعيد الى ماجرى ، فلا أريد شد الحبل .. مادام الذى أريده وصلت اليه ، وان الله قد نصرنى وأيدنى ، فلا حاجة الى التحرش بأحد ، ولكنى لم انس ان احد المسؤولين الكبار قد حسب على تلك الوقفة ، وانا لم اتجاوز الحد ، فقد سعيت الى ولى الأمر .. كما سعيت اليه ، وكان الملك سعود اسرع فى الاستجابة والأخذ بيدى ، لأن الأمر لايدعو الى الاطالة وتضييع الوقت .. وتحمل العناء .. وانا سلكت الطريق الطبيعى ، فلا حرج على ولا جناح ، مادمت لم اخطىء وأنا امارس حقى على النحو الذى ينصفنى من أقرب الطرق وايسرها ، ولا احب التشدد والعسر .

وقت قياسى كما يقولون .. ان تنتهى هذه المشكلة .. فى أقل من اسبوع ، حتى ان اصدار الصحيفة لم يختلف .. بشىء من تأخير ، اعجب حين افتكر هذا الموضوع وملابساته ، وكيف انتهى بهذه السرعة ؟ ولكنى ارد ذلك الى عون الله وتوفيقه ، ثم حدب الملك وعطفه وتسامحه .. وبعده عن التعقيد .

ومرت الأيام ، وقابلت الأستاذ عبدالله بلخير .. عند فندق البساتين فى جدة .. بشارع المطار ، وقابلنى مرحبا قائلا : ياأخى ماذا نعمل فى الناس الذين نحبهم .. ولكنهم لايحبوننا . انا كنت اقدر ارد على امر الملك ، ولكنى احببت ان اكسبك ، ولم يكن امامى الا ان اقول لوزير الدولة .. الذى وقف منى ذلك الموقف ، وماذا أقول له .. الا كتر خيرك .

وقد ظفرت بنصر الله ، لأنى فى تقديرى استحق عون الله .. فكان فضل الله علىّ كبيرا . ماذا أقول للشيخ بلخير سوى : كتر خيرك وشكر الله لك .. واحسن الله اليك ؟ وهذا الموقف لاأنساه ، ولو كان انسان غيرى .. ربما تردد وتراجع حين وجد الأمير فيصل امامه ، فالموقف محرج ، ومن هو الأمير فيصل ـ الملك ـ فيما بعد مكانة وقوة وقدرة ؟ ولكن المضطر يركب الصعب ، وانا احب ان اركب الصعب .. اذا كان البديل لايرضينى ولايقنعنى ، واذا كان فيه مهانة واذلال وانتقاص ومساس بالكرامة . أركب الصعب .. والأمر لله من قبل ومن بعد ، والرأس لايقطعه الا خالقه ، والرزق بيده وحده ، فعلام الخوف والجبن ؟ ولماذا يعطى الانسان الدنية ، وهو واثق .. انه ينشد الحق ولايريد سواه ، وانه سليم المسلك والنية .. مع خالقه وفى سلوكه وتعامله ؟ يوم شجاع فى حياة الانسان .. من اجل الحق ، خير من مائة سنة ذلا ومسكنة وضعفا وهزيمة . فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين . والمؤمن لايذل ولايهاب ،

ولايهزم .. اذا هو التزم بوسائل النصر ومقدماته .. وأمر الله ورسوله .

واستمرت مسيرة صحافتنا رخاء ، ترتفع درجة حرارتها تارة .. وتخف تارة اخرى ، حسب مايتاح لها .. من جرأة التعبير والتراجع فيها ، حين لايكون المناخ ملائما .. أو مشجعا أو دافعا .

استمرت صحافتنا .. تمارس دورها .. فهى قد ارتاحت من مشاكل الرقابة . مضت اذن تمارس دورها .. جادة قوية ، لاتدرى أن أمرا جديدا سوف تفاجأ به على غرة ، ذلك .. هو نظام « المؤسسات الصحافية » الذى فتت الصحافة ، وأذاب الجهود .. التى كانت تبنى وتجاهد ، بجهود فردية محدودة القدرة ، لتقدم صحافة قوية .. ذات تأثير فى المجتمع . فالصحيفة .. كانت بمثابة الابن الوحيد للانسان ، يحرص .. على رعايته والاهتمام به وتفقده ، من غير اهمال ولا سهو ولا تقصير . او هو بيت الانسان .. الذى يحب ان يكون جميلا متماسكا قويا ، أو حديقة يملكها ، ويحرص على ينعها وثمارها المختلفة ، لتكون فى عين الناس جنة ، يقول الشاكر حين يراها : « ماشاء الله لا قوة الا بالله » . ويقول الحاسد والناكر لقدرة الله وفضله : « ماأظن ان تبيد هذه ابدا وماأظن الساعة قائمة » .

كان هذا الحرص هو دأب اصحاب الصحف الفردية .. لتحقيق المزيد من النجاح .. وقد كانت صحف المؤسسات أقل نجاحا من صحف الأفراد لأن النجاح عادة لابد أن يقف وراءه فرد يهمه مصير صحيفته ويتعامل معها مثلما

يتعامل مع مصيره الخاص ، وهذا لم يتوفر فى عهد المؤسسات الا لبعضها .. التى تولاها رؤساء تحرير أقوياء جادون .. جعلوا الصحيفة قضية شخصية لهم ، وتوقعوا بوجود اعضاء فى المؤسسة يباركون جهودهم ويتعاونون معهم .. وفى بعض المؤسسات ، ربما كان بعضهم لايقرؤها ، لأنه مشغول عنها بأعماله وتجارته ، فلا تهمه فى قليل أو كثير ، ولا تهمه .. من بعيد أو قريب ، الا اذا كان فيها مايهمه ، اعلانا او نقدا لشركته او خبرا عن سفره .. اذا اهتمت بذلك ، لتحصل على اعلان منه ، وربما .. لايقرأ هو نفسه خبر قدومه أو سفره ، وانما ينبهه اليه احد اصدقائه ، ليقول له : الحمد لله على السلامة او سفرا ميمونا ، و « توحشتنا وأوحشتنا » وطولت الغيبة الخ .

والتطور الذى أتيح لصحافة المؤسسات .. لو نالته الصحافة الفردية لكانت خيرا بكثير من صحافة المؤسسات ، وهذه الشهادة يقول بها الكثيرون من المنصفين ، الذين تابعوا .. مسيرة صحافتنا فى أطوارها المختلفة ، ويقيسون الأمور بفكر ثاقب .. ونظرة مجردة وبصيرة ووعى . وأصحاب الصحف الفردية .. لم يثروا منها ولم يغتنوا ، وانما سرقتهم الصحافة وحب هذه المهنة ، فقضوا زهرة شبابهم فيها ، يتعرضون للاحن والمتاعب ، ولم يحققوا شيئا .. من مكاسب مادية ، ولم يرضوا كل الناس ، لأن رضاهم .. غاية لاتدرك كما قيل ، وانما كانوا يجهدون ، لأنهم نذروا انفسهم لما احبوا

وعشقوا .. فى مهنة البحث عن المتاعب ، فهى صناعة متاعب وعناء ونصب ، ولكن كل صاحب نجح محسود .. من الناس ، و « ويل للناس من الناس » . مهما يكن من شيء .. فان الذين يؤرخون لصحافتنا من المؤرخين المنصفين ، سيقولون كلمتهم المنصفة العادلة ، بضمير حي .. وادراك المحقق الدارس المحايد المدرك ، الذى لايداجى ولايحابى ، ولاينزلق وراء الأهواء والتجنى وغمط حقوق الناس . والمنصفون وان كانوا قلة .. فى كل زمان ومكان ، فانهم الأبعد صوتا ، لأن الحق أعلى أبلج . أما الباطل .. فهو الظلام الذى لايدوم وان امتد به الزمن ، وغمط الحق ظلم ، والذين يظلمون .. لايقدر لهم النجح ، وان سادوا وفرحوا بما نالوا .. بعض الوقت ، فجولتهم قصيرة ، وان امعنت فى السوء والسيطرة وقتا ما ، ووجدت بعض المؤيدين لباطلها وزورها وغشها وبطرها .

○ ○ ○

صحافة المؤسسات

أصدرت الدولة أمرها .. فى ٢٤ من شهر شعبان من عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٣/١/١٩٦٤م بتحويل الصحافة فى البلاد إلى « مؤسسات »

حدد أمر تحويل الصحافة إلى مؤسسات فترة انتقالها .. من وضع الى آخر ، وأعطى لوزارة الاعلام .. وكان على رأسها يومئذ الأستاذ « جميل الحجيلان » . أعطى للوزارة التنسيق مع أصحاب الصحف الفردية .. لاكمال المرحلة الانتقالية من حال الى حال بالصحف . وباشر أصحاب الصحف مكرهين يجمعون الأسماء التى تكون كيان المؤسسة .. من عشرين عضوا وقدموا اسماء الذين اختيروا ليكونوا أعضاء كل مؤسسة . وتدخلت الوزارة ، رغم ان الحكومة أعلنت .. أنها لاتريد ان تتدخل فى تكوين المؤسسات واختيار اعضائها ، الا ان وزارة الاعلام تدخلت ، فحذفت اسماء اختارتهم مؤسسة ما او اختارهم صاحب الصحيفة الفردية .. ليكوّن منهم مؤسسة ، وجاءت الوزارة بأسماء من عندها لتضيفها لبعض الأسماء المقدمة اليها .. لتكوين مؤسسة ما . جاءت

بأسماء لا علاقة لهم بالصحافة .. ولايمتون اليها بصلة ، ولايعرفون عنها شيئا .. من قريب أو بعيد ، ذلك ان : « كل ميسر لما خلق له » .. كما يقول الحديث النبوى ، ولكن لكى .. تكون المؤسسة « على نحو ما » ، وان كانت غير متجانسة وهذا ماكان .

صدرت بعض صحف المؤسسات .. فى الوقت المحدد لها مثل « البلاد » وهو اسم الصحيفة .. التى كانت تمثلها الشركة العربية للطبع والنشر ، ويملكها الشيخ محمد سرور الصبان .. وحسن عبدالحى قزاز . بعد دمج عرفات فى البلاد السعودية ، وكذلك جريدة المدينة تكونت منها مؤسسة باسم مؤسسة المدينة للصحافة والنشر ، وفى المنطقة الوسطى .. تكونت مؤسسة اليمامة ، واليمامة مجلة ثم جريدة ، كان يملكها الشيخ « حمد الجاسر » ، وكذلك « الجزيرة » اسم المجلة الشهرية التى كان يملكها الأستاذ « عبدالله بن خميس » . وتأخرت « عكاظ » بعض الوقت .. لأن خلافات نشبت بين الأستاذ احمد عطار صاحبها وبعض الأعضاء الذين انضموا الى تكوين المؤسسة ، وأدى ذلك .. إلى تخلى الأستاذ العطار عن المشاركة فى المؤسسة وتكونت بدونه ، وصدر العدد الأول من عكاظ فى عهد المؤسسات .. بتاريخ ١٢ / ٦ / ١٣٨٤هـ الموافق ١٨ / ١٠ / ١٩٦٤م وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ محمود عارف معارا لمدة سنة من مجلس الشورى ، وكان مديرها العام .. السيد « معتوق حسنين » ثم تولى تحريرها الأستاذ : عبدالله عمر خياط » وتولى ادارتها الأستاذ عمر

عبدربه . وتتالى عليها .. اكثر من رئيس تحرير واكثر من مدير عام ، فقد خلف الأستاذ عمر عبدربه .. الأستاذ على حسين شبكشي ، وتولى عبدالله الدارى رئاسة التحرير ، ثم رضا محمد لارى ، ثم هاشم عبده هاشم . ووصلت الادارة العامة الى الأستاذ « إياد أمين مدنى » .

كما ان مؤسسة البلاد .. بعد عنها الأستاذ حسن قزاز عن رئاسة التحرير وعين الأستاذ عبدالمجيد شبكشي رئيسا للتحرير بعد تخلى المنافسين له عن رئاسة التحرير .. عن ترشيح انفسهم . وبقى القزاز عضوا بعض الوقت ثم انسحب ، لأن الوضع فى الجريدة لم يعجبه ، فقد اتخذت مسارا آخر ، واخذت تنحدر وتضعف .. وكان صدور العدد الأول من البلاد فى عهد المؤسسات بتاريخ ٢/١١/١٣٨٣هـ ، الموافق ٢٠/٣/١٩٦٤م .

وصدرت الندوة بتاريخ ١/١١/١٣٨٣هـ ، وبعد عنها الأستاذ صالح محمد جمال ، وجاء الأستاذ حامد مطاوع .. ليكون رئيس تحريرها منذ انشاء المؤسسات الى اليوم .

وصدرت الرياض بتاريخ ١/١/١٣٨٥هـ .
والجزيرة صدرت بتاريخ ٢٠/٢/١٣٨٤هـ اسبوعية ، ثم اصبحت يومية ، كما صدر العدد الأول .. من صحيفة الدعوة عن مؤسستها بتاريخ ٩/١/١٣٨٥هـ .

وتكونت مؤسسة اليوم ، وصدر أول عدد من صحيفتها فى ٢/١٠/١٣٨٥هـ اسبوعية .

والمدينة المنورة صدرت فى عهـد المؤسسـات بتاريـخ ١/١١/١٣٨٣هـ .

ترأس تحرير المدينة فى عهد المؤسسة الأستاذ عثمان حافظ احد صاحبى جريدة المـدينة مـاقبل المـؤسسات ، وترأس تحريرها حين انتقلت الى جدة ماقبل المـؤسسات الأستاذ « محمد على حافظ » . وهو قد درس الصحافة فى جامعة القاهرة ، كما رَأَسَ تحريرها وقتـا قصيرا أخـوه هشام على حافظ .

اما قريش ، فقـد احس الأستاذ « احمـد السباعى » بكبر سنه ، وانه غير قادر على مزيد من التعب ، ولعله رأى بعقله .. ان وضع المؤسسات لايلائمـه فآثـر .. الا يزج بنفسه فى هذا العناء ، فاختار البعد .. لتنتهى صحيفته فى التاريخ ، بعد ان ادت دورها على قدر ماأتيح لها بجهد صاحبها الشيخ ومن حوله من اعوانه ، وخير لقريش .. ان تبقى فى التاريخ من ان تصبح مؤسسة ، فيبعد صاحبها .. كما بعد احمد عطار وحسن قزاز وحمد الجاسر وعبد الله بن خميس ، فذلك خير من البقاء بغير قيمة وبدون معنوية ولا تقدير . لأن فقد الشخصية كان طابع المؤسسات ، لأنها تذوب فى خضم المتيهة ، وان كان بعضها .. ممثلا فى مجلة وجريدة .. استطاع ان يكون ركيزة صحافية تحاول ان تكون . وقد كان لها دورها وقدرتها على التعبير والتأثـير والأداء الجيد ، والمكان بالمكين .. كمـا قيل ، فـالانسان الفعال .. فى أى موقع يحقق الهدف بتوفيق الله ، ويصل الى النجـح .. ويعمل .. مـااستطاع الى ذلك سبيـلا لتحقيق

المستحيل ، لأنه اهل للمسؤولية وتحملها وأدائها والنهوض بها ، وهو ليس قوالا . وماأكثر الذين يقولون مالايفعلون ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك .. فى قول الله عز وجل : « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون .كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون » .

وجاء دور « الرائد » . وهل تكون مؤسسة أو لاتكون ؟ .. فى خلال صدور نظام المؤسسات .. كنت فى بريطانيا ادرس اللغة الانجليزية .

وكنت قد أخذت اجازة ستة اشهر من وظيفتى فى الجمارك ، وعدت الى جدة .. لأرى الرأى ، وقلت لنمش مع التيار ولأقدم طلبا لكيان مؤسسة للرائد ، وشاء الله الا يكون ، وحمدت الله صادقا .. بعد ذلك ، لأن المؤسسة لم تتحقق ، لأنه ثقيل على النفس .. ان ترى كيانها الذى بنت وشيدت ، والزرع الذى أثمر ، تصبح لاتملكه .. وقد كانت مالكه ، وماقيمة ان تكون لك ملكية شىء .. ثم تصبح لاشىء فيها ، او تخرج منها دون ان يكون لك شأن ولا تقدير لجهودك ولا تعويض .. ولاشىء من حق ؟

عدت اذن الى جدة ، وتشاورت مع من حولى .. لاسيما الأستاذ محمود عارف ، اما الدكتور المناع فقد انضم الى مؤسسة البلاد ، وكان يتوقع ان يكون .. فى مؤسسة المدينة .. التى اخذ يكتب فيها بعض الوقت ، وقررت تقديم طلب لتكوين مؤسسة صحافية باسم الرائد .. أسوة بالمؤسسات الأخرى .. التى أذن لها أن تكون . اخترت من حولى .. ومن الكاتبين الذين يتعاونون معى ، هذا هو المتاح

والممكن .. ولا أملك المستحيل ، وهو الشيء الطبيعي .. الذي ينبغي ان يكون . فمن هم اصحاب المؤسسة سوى من يختار صاحب الجريدة ؟ . ثم إن وزارة الاعلام .. أعطت لنفسها الحق بقبول من تشاء ورفض من لاتشاء ، ومادام الأمر كذلك .. فانه يسعنى ماوسع المؤسسات الأخرى ، تحذف وزارة الاعلام ماتشاء .. من الأسماء التي قدمت ، وتضيف من تشاء .. لاكمال العدد كما صنعت مع المؤسسات الأخرى .

كتبت بياناتي ، وبعثت بها الى وزارة الاعلام وقدمت لادارة الجمارك العامة طلبا .. بمد اجازتي الاستثنائية .. لمدة ستة اشهر اخرى ، وسافرت الى اهلى لأبقى معهم .. بعض الوقت ، فقد كان تعلق ابنى « وديع » بى .. وتعلقى به .. لايأذن بالبعد عنه ، وبقى قرارى معلقا .. فى الرجوع الى لندن للدراسة او ان ادرس حيث تقيم اسرتي .. حتى نرسو على قرار ، ذلك .. أن اتخاذ القرار الارتجالى كثيرا مايضر بصاحبه . وخلال أيام .. لاتبلغ الشهر ، جاءتنى برقية من عبدالعزيز فرشوطى تقول : ان وزارة الاعلام .. رفضت الأسماء المقدمة منى لتكوين مؤسسة وطلبت أن تقدم اليها بيانات جديدة .. بأسماء أخرى .

○ ○ ○

العمل فى الخارجية

وصل مشوارى مع الصحافة الى طريق مسدود ، فما أريده لاتريده الوزارة ، وما تريده الوزارة لاأريده ، ولم يبق الا ان اطرق بابا آخر .. وعندها رجوت الأمير عبدالله الفيصل .. عن طريق الشيخ حسونه .. ان يتوسط لى عند السيد « عمر السقاف » .. وزير الدولة لشؤون الخارجية .. أن أعين متعاقدا مع وزارة الخارجية ، لأعمل فى السفارة السعودية بليبيا ، وقد تم ذلك ، وكان المرتب « الف ريال » فقط . ووجدت الزملاء هناك .. يحملون جوازات دبلوماسية .. ويصل مرتب الملحق الى مايقرب من خمسة آلاف ريال . ولهم امتيازات اعفاء مايستوردون وحصانة وحال من السعة والبحبوحة . اما انا فمن عرض الناس ، كأى فراش أو ساع ، رغم قدرتى على العمل والأداء ، ولكن هكذا كان قدرى .. وماسعيت اليه . ووظيفة الخارجية .. تتطلب شهادات وامتحانا ، وانا قد وصلت الى الأربعين ، فلا أقبل ان ادخل امتحانا ، وليس لى من الشهادات سوى .. لا اله الا الله محمد رسول الله ، والتعيين يحتاج الى مزيد من الوساطة والجاه ، ولا أحب

ذلك .. ولا الاحراج . ولولا انى مكره على مافعلت لأنى كنت فى ضيق نفسى ، لما لجأت الى توسيط الأمير .. لأكون متعاقدا .. بريالات ، لاتسمن ولاتغنى من جوع . والوظائف .. ليست كفاية فقط ، ولكنها وساطة ووجاهة وحظوظ ، وأنا لاأمتلك شيئا .. من هذه الوسائل .. والحمد لله ، الذى لايحمد على مكروه سواه .

مكثتُ فى ليبيا خمس سنوات ، منذ منتصف ١٣٨٦هـ ، الى منتصف عام ١٣٩١هـ ، وحين تغيرت الحياة فيها غادرتها .

تركت البلد الذى كنت فيه .. وانا بفضل الله عندى موازين وتقديرات ، تصيب كثيرا .. وتخطىء قليلا .. وماقدرته رأيته فيما بعد . عدت اذن الى جدة ، وانهيت علاقتى بسفارتنا فى ليبيا . وكانت اسرتى قد استقرت فى دمشق ، حملتها الى هناك فى صيف ١٩٦٩م ، ولما حل التغيير بليبيا ، رأيت أن تبقى اسرتى بالشام .. فهى يومئذ خير من البلد الذى كانت فيه ، ولما استقررت فى جدة ، جاء ابنائى ليعيشوا معى فى جدة فى عام ١٣٩٢هـ . وقد سبقتهم بعام . وكان لابد أن ابحث على عمل أعيش منه ، فأنا لاأملك شيئا طوال حياتى .. سوى « الستر » ، واتجهت الى عكاظ وكان مديرها العام الأستاذ عمر عبدربه ، وكان الأخ عبدالله خياط .. قد بعد عن رئاسة تحريرها لمشاكل حدثت فأدت الى ذلك ، ودخل المؤسسة محدود .. والوضع فيها مهزوز .. رغم ان الكثير من اعضائها رجال ، منهم السيد احمد شطا واحمد قنديل ،

وان كان غير مساره بآخرة ، والسيد على فدعق ومعتوق حسنين وعبدالله الحصين وآخرون .. كالأستاذ محمود عارف وعبدالوهاب عبدالواسع الخ .. ووضعت فى الادارة بمكافأة بدأت بخمسمائة ريال ، ووضع المؤسسة .. كان مهلهلا ، ولابد من الصبر على البلاء ، ثم أصبح الراتب الف ريال ، وأخذت أحاول ترقيع وضع الجهاز مع الأستاذ عمر عبدربه .. مدير المالية يومئذ ، حتى اعتدل التوازن فى الكيان المتداعى ، وكان مدير التحرير الأخ « عبدالله الدارى » وسكرتير التحرير « على عمر جابر » . لكن المركز المالى متداع ، وقد اخذ ينمو تدريجيا .

وقرر السيد « احمد شطا » ان يتخلى عن مركزه .. كنائب لمدير المؤسسة العام ، وكان لابد من اختيار بديل ، واعتذر الأستاذ محمود عارف وبعض المرشحين الآخرين ، وأصبح الباب مفتوحا امام الأخ على حسين شبكشى ، فأصبح نائب المدير العام . ومارجحه الا صوتى وصوت السيد على فدعق .. الذى أنابنى عنه وكان مسافرا . ومضت سفينة عكاظ تتدرج نحو التحسن النسبى ، وليس لنائب المدير العام دور .. خلال ممارسة الأستاذ عمر عبدربه لمنصبه مديرا عاما للمؤسسة ، وقد حاول النائب أن يجد ثغرة ينفذ منها .. ولكنه لم يستطع . ثم اتيح لى ان اكون عضوا فى المؤسسة حين منحنى الأستاذ محمود عارف خمسة اسهم من نصيبه ـ الأسهم العشرة ـ ، وكان هذا العمل مؤازرة ودعما من الشيخ محمود لى ، فأنا فى حاجة الى أى شىء يشد من أزرى ، فقد كنت فى فقر مدقع ،

حـتى البـيت الذى بـنيـتــه فى عــام ١٣٨١هــ فى حــى « الشــرفية » بعتــه قبل أن أذهب الى سفــارتنا .. حــين تعاقدت مع وزارة الخارجية ، وذهب ثمنه ، ولم يبق عندى شىء .. سوى عون الله . وحين أكون مدير ادارة بــراتب وصل الى الف وخمسمائة ريال أو ألفين فيما بعد .. وأنا عضو فى المؤسسة ، فانها بداية حياة جديدة ، وما أمرها من حياة ، حين تبدأ .. بعد كل حقبة من الصفر .. مع ان العمر واحد ، فكيف يستطيع انسان فيها .. ان يبدأ من البداية حين يفقد كيانه .. بفعل مايحدث من هزات تقوض مابنى وما ادى ، وليس للانسان سوى اسمه .. يعينه عند بعض من يقدره ، ليسهل له الحركة والعمل ، لكى يعيش .. ويحتفظ بانسانيته وماء وجهه ، ـ يدارى ـ ويتأقلم مع من حوله ، ويعمل .. لكى يثبت قدرته على النجح والتطوير ، وانه جدير بما يؤدى ويعمل فيه ، وان الثقة .. كـانت فى محلها ، وماأقسى الحياة .. حين تضطرك بين الحين والحين ويتغير شىء كثير مما حولك .. وأنت محتاج ، وتسعى الى من يعينك على العمل بجهدك .. وقد لاتوفق كثيرا ، ولكن هذا قــدرك ، وانت مضطر ومــطالب أن تلتمس رزقــك .. مــا استطعت الى ذلك سبيلا ، فليس لك ركن شــديد تــؤوى اليه ، وأنت قد تكون أو لا تكون وفق سعيك وجهدك وماتبلى فيما اخترت او اتيح لك ، ويسبق ذلك توفيق الله عز وجل . وماأكثر مايصدق على الانسان قول الشاعر :

يــقضى عــلى المــرء فى أيــام مــحــنــتــه

حــتــى يــرى حــســنــا مــاليس بــالحــســن

وأنا واثق من عون الله ، وان الشدة يعقبها فرج .. وان ضاق بها الانسان ، لكن المؤمن لاييأس ، لأن الفرج مع الكرب .. وأن مع العسر يسرا . لكن الانسان .. ينبغى أن يخشى ويخاف اذا كان فى نعمة وسعة ، يخشى من مفاجآت الجديدين ، فيعقب النعمة كرب وضيق وبلاء مبين ، وما أكثر مايغفل الانسان .. وينسى ان الحياة قلب ، وانها تقبل وتدبر ، ويركن الى الدعة ، فلا يحسب الحساب للمتغيرات ، وحين يحل به مايكره ، يضج بالشكوى ويجأر بالضيق ، وينتابه اليأس ، وصدق الله العظيم القائل : « واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » . والدهر مؤدب ، ولذلك .. جاء فى أمثال العرب : « نعم المؤدب الدهر » . لكن المهم فى الأمر .. ان يتعظ الانسان ، وان يتعلم من اخطائه وان يتوب الى ربه .. حين يعمل السوء ، ولايصر .. حين يعمل فاحشة أو يظلم نفسه ، حتى يجد عفو ربه وتجاوزه سبحانه عن سيئاته . قال تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

فالى عكاظ .. فى تجربة جديدة .

○ ○ ○

فى عكاظ

وصلت خطواتى فى عكاظ الى مدير ادارة ، غير ان مدير المؤسسة العام .. الأستاذ عمر عبدربه ترك المؤسسة ، واسفرت الانتخابات عن فوز الأخ على شبكشى ، لأنه لايوجد منافس له . وسارت الادارة .. بخطوات ايجابية ، ولكنها لم تخل من مغامرات المدير الجديد .. والرغبة فى التغيير ، وفى جلسة معه ، اخبرنى عن رغبته فى أن أتخلى عن الادارة ، مجرد رغبة منه ، ولم يسعنى الا التخلى ، ورغم انه اخبرنى .. انه لن يأتى بمدير ادارة جديد ، الا انه سرعان .. مااختار مديرا جديدا ، لأن له مزاجا خاصا فى ذلك . وبقيت أشهر لاأعمل ، ثم استدعانى الأخ على شبكشى .. ليعرض على أن أتولى مسؤولية « عدد اسبوعى » .. يصدر يوم السبت . وكانت الصحيفة .. تصدر ستة أيام فى الأسبوع ، وتحتجب يوم السبت ، وكان يشرف على العدد اليومى الأخ الأستاذ : « عبدالله عبدالرحمن جفرى » باسم « مدير التحرير » ، ولم أتردد فى قبول .. مسؤولية « العدد الاسبوعى » . على أمل .. ان اجد مجالى فى العمل ، واحقق تعاونا اجدى .. من العلاقة

فى الادارة . وكان مدير الادارة .. الذى عينه المدير العام قد استقال ، لأنه لم يطق المعاملة ، وجىء بالأخ « بدر عثمان خلاف » .. ليكون مديرا للادارة ، وكان يشغل قبل ذلك .. وظيفة « رئيس قسم الاشتراكات » ، وهو ملائم لأن يكون مدير ادارة .. مع رجل مغامر ، اما قوى ومغامر .. فلا يلتقيان الا فى حلبة الصراع ، وبدر خلاف .. رجل مسالم ومساير ، وكثير ممن يتولون .. مسؤوليات يريدون بجانبهم من يسمع فيطيع ، ويؤمر فيمتثل ، لن يرفض شيئا .. يكلف بأدائه ، ولايعرف كلمة « لا » .

قبلت اذن ، مسؤولية العدد الأسبوعى من عكاظ ، وذلك فى شهر شوال من عام ١٣٩٣هـ ، وكانت الحرب بين العرب واسرائيل قائمة ، وهى التى سميت بحرب العاشر من رمضان أو ٦ أكتوبر ١٩٧٣م . واخذت اعد العدة لاصدار عددى الأسبوعى .. فى أقرب وقت ممكن ، لتصبح عكاظ اليومية والأسبوعية .. أشبه بجريدتى « أخبار اليوم » و « الأخبار » . كل .. واحدة مستقلة فى جهاز تحريرها عن الأخرى ، أما الادارة فهى واحدة ، الادارة العامة وفرعها . واختير معى .. من جهاز الصحيفة اليومية الأخ « على مدهش » أحد مديرى تحرير عكاظ اليوم .. وجرى الاتفاق .. مع احد مدرسى العربية فى مدارس جدة .. لكى يقوم بتصحيح مواد العدد الأسبوعى .. فى وقت فراغه .

صدر العدد الأسبوعى الأول يوم السبت ، فى أوائل شهر ذى القعدة ١٣٩٣هـ ، وأخذ طابعا مختلفا عن العدد اليومى .. مادة واخراجا ، أى شكلا وموضوعا ، وكان لابد

ان يكون لكل منهما طابعه الخاص ومواصفاته ، وشكله الذى يميزه عن الثانى .

حشـدت له الأقلام الأدبيـة والاقتصاديـة .. وبعض كاتبى الزوايا ، واخذ العدد .. يشق طريقه ويعرف ، ولقى رواجا كبيرا .. فى السوق الصحفية ، والعجيب .. اننى فى ذلك الوقت .. وكـان توزيـع عكاظ ، عنـد الأخ « احمـد بايزيد » ، صاحب مكتبة « توزيع جدة » ، كان يوزع فى جدة وحدها .. وهو يختص بها وحدها ، كان يوزع « عشرة آلاف نسخة » ، وهى كمية كبيرة .. يومئذ ، لايصلها العدد اليومى ولا بقية الصحف الأخرى .. على اختلاف قدرتها ورواجها . وكانت مكافأتى الشهرية « الف ريال فقط » ، لم يفـاوضنى .. المديـر العام عليهـا .. ولم أسـأله فيهـا ، ولكنه .. هو الذى قدر ذلك ، وهو مبلغ زهيـد جدا .. اذا قيس بالجهد الذى يبذل فيه ، وكانت صفحاته ست عشرة صفحة .. مساحة الواحدة ٤٣×٦٠سم . وبعد وقت ليس بالقصير ، توسط .. امين مدينة جدة ، لتصبـح المكافـأة ألفى ريال . وكانت الرقابة قـد فرضت لأجـل مسمى .. بسبب ظروف الحرب مع اسرائيل ، ولكنها مدة قصيرة ، زالت بعد زوال اسبابها .

اشتهر العدد الأسبوعى .. وذاع فى البلاد ، وأصبـح مقروءا لما يحمل من مواد ادبية وثقافية ، فقد اسهمت فيه اقلام قوية جادة ، حققت مكاسبه المعنوية والمادية ، ذلك .. ان الاعلانات اخذت مساحات جديدة ، واختير العـدد .. للكثير من الاعلانات حتى ان تأخير مساحات نشر اعلان ..

كان يؤدى الى اخذ وعطاء مع الادارة ، لأن للاعلان .. وقته المحدد للنشر ، وتأخير نشره .. يؤدى الى ضيق وكالة الاعلان .. وكذلك التاجر ، لأن المسألة التزام . وكنت حريصا على نشر كل الاعلانات ، لعلمى .. ان الاعلان يمثل « عصب » الادارة كما يقال ، لأنه دخل مادى مؤكد ، وكان هذا دأبى .. منذ كنت فى الأضواء والرائد ، ذلك ان الاعلان دعم ، ويمثل نجحا للصحيفة .. وهو مكسب مادى . وكنت الجأ الى حذف ماأكتب بقلمى .. حين تزيد مساحة الاعلان ، فاذا زادت اكثر .. اجنح الى مقالات اقرب اصدقائى .. الذين لايضيقون ذرعا .. بتأخير نشر كلماتهم ، لاسيما غير المربوطة بزمن ، مثل المقالات الأدبية . وكنت احرص .. على عدم تأخير مقالات النقد ، لأنها .. تمثل حركة للصحيفة وتجلب قراء ومتابعين للمعركة الأدبية .

ورأينا فى صحف المؤسسات ، ان رئيس التحرير ونائبه ، وحتى مدير التحرير وسكرتيره .. يؤخرون نشر الاعلانات عن مواعيدها غافلين عن اهميتها لأنهم لايقدرون قيمة الاعلان مع انهم يعلمون انه دخل مادى ، بدونه تهتز احوال المؤسسة التى يطالبونها .. بزيادة الانفاق وزيادة المرتبات فى وظائف التحرير والتوسع فيها ، ومع ذلك لايحرصون على نشر الاعلانات .. التى تمثل السيولة المالية .. ولايبالون . وكم ارتفعت اصوات وكالات الاعلانات .. الى حد حسم قيمة الاعلان الذى لاينزل فى موعده .. من الدخل الشهرى للمؤسسة ، ولم يجد هذا

التهديد ، وماأكثر .. ماكان يرجو صاحب امتياز الاعلان رئيس التحـرير ومن بعـده .. لعـدم تكـرار تـأخـير نشر الاعلانات عن مواعيدها المحددة لها ، ولكن كل هـذا لم يجد ، كأن رؤساء التحرير ومساعديهم .. غير حراص على دخـل المؤسسـة المادى وخسـارتها ، وكـأن هذا الأمـر لايعنيهم .. من قريب أو بعيد . ومدير الادارة .. وكـذلك مدير عام المؤسسة يقعان فى حرج ، حين تشكو .. وكالة الاعلان ـ صاحبة الامتياز ـ ، وتلح فى تـدخل الادارة .. لحسم هذا الموقف اللا مسؤول ، واذا لم يكن مدير عام المؤسسة قويا ، فان الادارة .. لاتستطيع ان تصنع شيئا لجهاز التحرير ، لأن مدير الادارة لايملك صلاحية حسم قيمة الاعلان .. على رئيس التحريـر او المتسبب فى عدم نشره ، الا بتأييد ودعم مدير المؤسسة العام . وكثير منهم كان يؤثر العافية ، لأن العلاقة .. بين الادارة والتحرير ، تمثـل معركـة لاتنتهى . ولست ادافع عن الادارة ولكنى أقول : ان بعض رؤساء التحرير .. لايعنيهم الا ان تكون الادارة وعاء يجتمع فيه الدخل .. ولايهمهم كيف يكون ، وان يكون مسخرا للتحرير وحـده ، يجيب كل طلب له .. ولايـرفض شيئا ممـا يريـد التحريـر ، حتى وان كـانت الحال .. لاتأذن بكل مايراد من الادارة من مال . التحرير لايريد من الادارة ان تعتذر .. او تناقش فى أى انفاق يريده التحرير ، وانما عليها ان تستجيب فقط لكل متطلباتـه ، دون .. ابطاء او تأخير ولا اعتذار ، لأن بعض من تـولى جهاز التحرير .. لايدرك كيف يأتى الدخل ، ولعله يريد أن

لا يدرك ذلك ، ثم هو بالتالى غير حريص على اثراء الدخل .. من وجوهه ، وانما مطالبه .. فى تصوره ، ينبغى ان تلبى بـدون مناقشـة .. قلت أو كثـرت ، وهـذا جهـل كبـير ، وأوشـك .. ان اسميه مـوقفا غـير كـريم ، ولكنـه شـاذ وخاطىء .

لقد مارست العمـل الادارى فى الصحف .. ومارست التحرير ، لذلك فانى خبير فى هذه المسالك . وحين كنت فى التحرير ، كنت اقدر الوضع الادارى ، من باب التعاطف .. وتقدير المسؤولية ، والحـرص على تنميـة الدخل بغيـرة وسعى وجد ، لأنه ينعكس على كل جهاز المؤسسة ، ولأنك حين تسهم فى تنمية دخلك تستطيع ان تطالب .. بتحسين وضع جهاز التحرير الوظيفى ومرتباته ، ويكون لك منطق .. ينبغى ان يسمع له ، ولكنك .. حين تكون غير عامل على رفع الدخل وزيادة حجمه ، ولاتستطيع انجاح الوسيلة التى فى قيادتك ، فكيف تطالب بما لم تشارك فى دعمه وتحسينـه وتقويته والعمل له .. وانما تعارض فيه او مافى هذا المفهوم من المثبطات ؟

وبحكم خبرتى .. فى التحريـر والادارة ، فان رؤسـاء التحرير ومساعديهم ، لايستطيعون ان « يضحكوا علىّ » فأنا أدرك سر المهنة من جميع اطرافها ، أقدر حجم العمل ومتطلباتـه ، أعرف التحـرير وأعـرف الادارة .. معرفـة تؤهلنى لأن أقول كلمتى من غير تردد فى كل ذلك ، وأنا واثق مما أقول ، ولاأبعد عن الحق والواقع ، اقطع بالرأى فيما احكم وأمـارس ، لأنى ادرك العمـل .. من جـانبيـه ..

الادارى والتحريرى ، من ممارسة طويلة ، عبر ظروف مختلفة متقلبة ، فكانت حجتى قوية ، وكنت احسن الجدل فى اية قضية تثار .. بين طلب التحرير ورأى الادارة فى ذلك . ولايجدى معى الالتواء .. الذى قد يلجأ اليه التحرير فى مطالبه وحواره .. وحتى جدله . القوة .. ليست فى الرفض ، ولكن فى ان تملك المنطق وان لم تقنع .. من هو امامك ، ذلك ان الاقناع لايأخذ به الا المنطقيون ، اما المغالطون .. فانه لايرضيهم شىء ، ولايقنعهم شىء كذلك .
مهما يكن من شىء .. فان الجدل والخلاف بين الادارة والتحرير .. سيظل قضية بغير حل . كل جانب يتهم غيره . ومن الانصاف ان أذكر .. ان بعض الجاهلين فى الادارة .. يمثلون بعض الجاهلين فى التحرير ، وقد يكون الخلاف مرده التعنت فى الرأى .. من الادارة او التحرير ، ونتيجة كل ذلك .. تنعكس على كيان المؤسسة ، وليس أفضل من التعاون المجدى بين الجهازين ، لأنهما يعملان لمصلحة واحدة . ولاأسوأ من الخلاف السخيف .. الذى لايدعمه رأى صحيح ، ولايمارس .. أى من الطرفين التسامح .. الذى ينبغى ان يكون ، الا ان التمسك بالرأى .. فى أيسر الأمور وأعقدها ، يؤدى بالجهاز الى الانهيار والتقلص ، وتكثر المشاكل وتسوء الحال ، لاسيما حين ينظر طرف من الادارة او التحرير الى مايؤدى على انه وظيفة ، وهو غير حريص على النجح الذى ينبغى ان يعمل له .. ماستطاع الى ذلك سبيلا .

اخذ العدد الأسبوعى فى النجح ، ولاأقول هذا .. لأنى كنت مسؤولا عنه وانما الذى أقوله هو الحق . والاعداد متاحة للمراجعين والدارسين ليقولوا كلمة الفصل . ولعل حركة النقد الأدبى والاجتماعى .. هما من أسباب الرواج. وكنت أمارس تناول القضايا الاجتماعية .. بتركيز وقوة ، وأنقد الأخطاء التى أمامى والمواطن .. يهمه ان يجد مايتصل بحياته .. تعنى به صحافته ، وتقدم الحلول وتحاسب المقصر ، وتلفت النظر .. الى الأخطاء ومرتكبيها ، وان الشكوى تعلو .. مما لحق الناس من أذى أو عسر . هذا هو دور الصحافة . بجانب اهتمامها بالجوانب المختلفة ، من ثقافة وسياسة وفن ورياضة ، والا فهى صحافة .. هزيلة ، يريد اصحابها ان يبقوا على كراسيهم ، ولايعملوا شيئا يغضب مسؤولا او مستغلا ، وهى فى هذه الحال .. تصبح أقل قيمة .. من صحافة حائط التى يصدرها الطلاب .. ومن اليهم ، من أجل المرانة على التعبير واظهار مواهبهم وقدراتهم .

أذكر انى كتبت مقالا فى الصفحة الأخيرة من عكاظ الأسبوعية ، عنوانه ـ كلمات فيها مصارحة ـ انتقد فيه بلدية جدة .. يومئذ ، وكانت شركات تشارك فى اخذ « مناقصات » ، تزفيت الطرق ونحوها ، كتبت انتقد بعض مرافق البلدية ، ولم انتقد العمل الذى تؤديه شركة بعينها ، وانما اعمالا شتى . ويوم صدر العدد ساءت الحال مع مدير المؤسسة العام . وجاء فى اليوم التالى ليوجه الى كتابا ، يعلن فيه .. ان ماكتبته ليس نقدا ولاينبغى ان

يكون ثم اخذ منى مواد العدد القادم ، وفرض نفسه رقيبا عليهـا رغم ان الدولة .. الغت الرقـابـة عـلى الصحف ، وحملت المسئولية .. رؤساء التحرير ومن ينوب عنهم كانت حال تشنج التى مارسها معى مـدير المـؤسسة العـام ، وأدركت ابعـادهـا ، ولم أجـادل فى شيء ثم كلف احـد المحررين ، ليكتب ردا على لسان رئيس البلدية ، وعندى « مسودة » هذا الرد ، ولم أره الا مجمـوعا ومنشـورا ، والمسألة تحد وليس قرع الحجة بمثلها .

ومادام قد كتب على لسان رئيس البلدية مايريد ان يرد به علىّ .. فأعتقد ان الموضوع قد انتهى ، وان كان الرد غير صحيـح ، ثم انى لم افكـر فى الرد عليـه ، لأن الوضـع لايشجع على نقاش غير متكافىء .. ولا مكان للمنطق فيه ، ولا حتى للفهم .. فى الحوار الرياضى الصريح ، وأين مكان الصراحة امام المصالح والتعتيم . والرأى لمن يملكه ؟ (٢٤) .

استمرت عكاظ الاسبـوعية وعكـاظ اليوميـة ، وحدث صـدام قوى ، بـين مديـر عكاظ العـام والسيد عبدالله جفرى .. مدير تحرير العدد اليومى ، ادى الى تخلى السيد الجفرى ، وبقيت الجريدة على المحررين .. بعض الوقت ، وذلك بعد أن بعد الأخ عبدالله الدارى عن التحرير ، وكان قد عين رئيسا لتحرير عكاظ .. ماقبل مجىء على شبكشى الى الادارة العامة ، وخلال ادارة الأستاذ عمر عبد ربه . بعد ان شغرت رئاسة التحرير وقتا غير قصير ، وكلما فكر فى ترشيح ثلاثة من اعضـاء المؤسسـة لهذه المهمـة ، وقف

---

(٢٤) مقـالى ورد رئيس البلديـة نشر الاول فى العـدد «٢٨٢٨» تـاريـخ ١٣٩٤/٢/١هـ والثانى بالعدد « ٢٨٣٥ » فى ٨ منه من عكاظ الاسبوعى .

الأستاذ احمد قنديل .. يؤجل البت بشتى العلل ، من ذلك ان الدولة لم تجب على ترشيحات المؤسسة للتحرير ، وذلك اثر اجتماع .. غير مكتمل النصاب . واخيرا .. تم ترشيح ثلاثة منا ، الدارى والمليبارى وأبو مدين ، وحسب منطق النظام ، فانه حين يوافق على المرشحين الثلاثة ، يختار اعضاء المؤسسة .. فى اقتراع سرى احدهم ليكون رئيس التحرير . لكن ماحدث فى هذا الترشيح .. يختلف عن منطق النظام وحتى روحه . فبعد الكتابة عن المرشحين .. بشهر ونصف اذا بمدير المطبوعات فى جدة .. يبلغ مدير عام المؤسسة الأستاذ عمر عبدربه بأن المسؤول رأى أن يكون رئيس التحرير فلان .. وهو الأخ .. عبدالله الدارى .

وماتت عكاظ أيام الدارى .. وكانت تطبع عند الاصفهانى ، وكان فيها الدارى .. ايام كان رئيس تحريرها عبدالله خياط ، وماقبل ذلك .. اى منذ صدورها فى عهد المؤسسات ، وترأسها الأستاذ « محمود عارف » ، لمدة سنة واحدة ، إعارة .. من مجلس الشورى ، والرياح .. كما أشرت آنفا متغيرة . مثل المد والجزر فى البحر ، يقرب الانسان ويبعد ، يرتفع وينخفض ، يتقدم ويتأخر .. بين كر وفر .. لمن يحسن ذلك .. والا فانه يزحزح حينا .. ويقرب حينا آخر .

ضعفت كثيرا عكاظ فى هذه الفترة ، والذى يرقب مايصنع رئيس التحرير .. وهو قد قرأ المادة المقدمة للنشر مرة قبل ان تدخل المطابع ، ولكن الخوف .. يدفع بصاحبه الى المزيد من التردد والاحجام . كان الجمع يومئذ

رصاصا ، بمكن « اللونوتايب » ، وتوضب الصفحات .. الى مابعد منتصف الليل ، ويذهب رئيس التحرير الى داره .. خلف المطابع .. ليتناول عشاءه ، ويعود .. والساعة حوالى الثالثة ، وعمال التوضيب .. يتعشون ويستريحون بعض الوقت .

ويمد رئيس التحرير بعض اصابعه ، وهى تشبه « ملقط » العامل الفنى ، الذى يلتقط به السطر والسطور .. من الصفحات المربوطة بالدوبارة ، وهى عملية .. تحتاج الى مهارة وخفة ، لأنها عويصة ورئيس التحرير .. حينما ذهب الى داره .. شغلته الوساوس فى مقال او خبر او تعليق ، فرجع .. ليقرأ ماشك فيه وشغل نفسه به ، وأمامه « بروفات » الصفحات .. التى وضبت ، ولم يبق الا تصحيح مايكون قد ظهر من المراجعة الأخيرة . ويعود الموضبون ، ليجدوا بعض الصفحات « شربة » من جراء نزع بعض السطور .. من اعمدتها .

وهذا يؤدى الى تصحيح او ربط الجمل بعضها ببعض ، ثم وضع « رقائق » لملء الفراغ .. الذى نتج عن السطور التى ابعدها رئيس التحرير ، وكل هذا يأخذ وقتا ، والعامل الفنى .. بدأ عمله من الظهر .. او بعده مباشرة ، وقد مضى عليه اكثر من اربع عشرة ساعة . ولكن العاملين .. امام تردد رئيس التحرير لايسعهم الا ان يصبروا ، بعد ان يتذمروا .. ويضيقوا ذرعا بما يحدث .. ويتكرر .. بين الحين والآخر . والصحافة امتحان فى حد ذاتها ، وامتحان لمن يعمل فيها ، وهى صناعة يظهر فيها الغش والضعف

والقـوة ، لأنها مـرآة وانعكاس لمـا نقـع عليـه ، وحسب الممارسات التى تدار فيها وتمارس ، ترتفـع وتنخفض .. وفق من يسوسها ، ألم يقل : ان المكان بالمكين ؟

ضاق مدير عكاظ العام برئيس التحرير الذى اضعف الصحيفة وأخذ يعمل المدير العام ليل نهار لإزاحة رئيس التحرير من مكانه ، وبعد جهد وسعى عند الدولة ، خاصة وزير الاعلام معالى الأستاذ ابراهيم العنقرى يومئذ . وقد تم له ذلك رغم ان رئيس التحرير مرغوب فى بقائه . وأشرف على الجريدة.بعده السيد الجفرى ، حتى كان الخصام ، وجىء بـالاخ رضا لارى ، وهـو ابن عم المديـر العـام ، وذلك .. فى النصف الاول من منتصف العام ١٣٩٦هـ . قبل ايام من تركى للعدد الاسبوعى وعكاظ معا ، لان العمل فى رأيى اصبح من المستحيل .. مع رجل ليس له استقرار ولا اتجاه معين كل يوم له مزاج جـديد ، وعليـك انت فى التحرير .. ان تصنف افكاره واتجاهاته وتعلنهـا بقلمك ، وان تنفذ ، وان ناقشت فان لذى امامك قادر على الاقناع بكل السبل والمراوغة .. ليقنعك برأيه وحججه .

ولما شعرت بالضيق . تركت العدد الاسبوعى ، ورئيس التحرير يومئذ رضا لارى ، الذى بدأ قبل ان يصبح رئيسا للتحرير يتدخل فى العـدد الاسبوعى ليكتب تعليقـا .. لا يوقعه باسمه .. وانما يجعله باسم الصحيفة ، ومعنى ذلك اننى .. انا المسؤول عنه . وحدث ان عدلت مرة فى تعليق سيـاسى .. وأخـرى لم انشر تعليقـا .. للسبب عينـه . والصحافة عندى ليست وظيفة .. ولكنها رسالة تؤدى فى

جو حرية وتمارس بانطلاقة .. من غير ضغوط وسيطرة .

تـركت عكـاظا مستقبـلا ، وبقى اسمى معـلقـا فى « ترويسة » العدد الاسبوعى .. اكثر من اسبوعين ، حتى شكوت للدكتور « محمد عبده يمانى » .. وزير الاعلام ، لكى يبعد اسمى مادمت قد استقلت .. وذلك باختيارى ، ولا أرغب فى البقاء ، لان العمل .. لا يتم بالاكراه ، وكفى ما لقيت .. لقاء فتات فى آخر الشهر ، لا يمثل شيئا من الجهود التى تبذل فى انجاح عدد .. يتجدد كل اسبوع ، وظللت ثلاثة اشهر احرره من سيارتى ، لان المبنى المتصدع .. الذى تشغله عكاظ فى طريق الميناء .. ويعود للبنك الاهلى التجارى ، كانت البلدية .. قد اقتطعت منه جزءا توسيعا للشارع المتقاطع .. مع شارع الميناء ، وابعد اسمى لانى أصررت على عدم العودة للعمل . والمدير العام الف بعض موظفيه فى التحرير .. حين يغاضبهم ، انهم يغيبون عن العمل .. ويأتـون فى آخر الشهـر .. ليتسلموا مـرتباتهم ويحسون بعد ذلك او خلال غيابهم .. انهم لا مجال لهم سـوى هذا العمـل .. الذى يحتملهم ، وحين يغيبون .. يصبرون عليه ويصبر عليهم ، مسألة مزاوجة قبلوها ، لعل بعضهم مكره ، أما أنا فلا ارضى ان اتقاضى مرتبا بلا حق .

من ذكريات عكاظ وهى كثيرة ، اننى انتقدت ذات مرة شاعرنا « عمر ابو ريشة » ، حين القى بعض ابيـات من قصيدته ، عن مقدمة الملحمة المحمدية فى منى ، فى اليوم الثانى .. من عيد النحر . وكان قد القاهـا .. قبل ذلك ، وقلت : ان هذا لا يليق فى بلد الشعر والشعراء ، فإما ان

يأتى الشاعر بجديد .. أو أن يصمت . وفى اليوم التالى لنشر هـذا النقـد ، كلمنى الصـديق الاستـاذ : « مـاجـد الحسينى » .. وكان مديرا لمكتب وزير الاعلام ، وكان قبل ذلك .. يعمل فى الادارة العامـة للجنسية ، وحينمـا جاء الاستاذ ابراهيم العنقرى الى الاعلام .. جاء به معـه .. ليعينه على مهامه ، فالسيد ماجد اديب مطبوع ، وقد تمرس على العمل الادارى فى الدولة فهـو يعرف الرجـال .. وما يـريدون ومـا لا يـريـدون ، وعـلى الاقـل فهم ابـراهيم العنقرى .. وفهمه الرجل فهما جيدا .. والعنقرى . جاء الى الاعلام بعد جميـل حجيلان الذى إستمـر بهذا المنصب قـرابة عشـرة أعوام . وتحـولت فى عهده الصحـافة الى مـؤسسات وصـدر للصحافـة نظام صـادر هو المـرجـع والاساس فى ملكية الصحف وأوضاعها وجميع شؤونهـا سواء كان ذلك فى طريقة تأسيسها أو ملكيتها أو تحريرها .

لا حرج علىّ .. اذا قلت ان عملى فى العدد الاسبوعى من عكاظ ، كان حافلا بالعمل الجاد ، ولا انكر على نفسى .. اذا قلت ان العمل الجادفى دمى ، ولا أقبل .. فى كل الاحوال انصاف الحلول ، ولا أقبل كذلك الاعمال .. الهزيلة التى لا تحقق هدفا اسمى .. ولا توصل الى نتائج ولا تفضى الى حق . انا امقت هذه الالوان من العمل التراكمى .. الهزيل الضعيف الذى لم يؤده اصحابه بقوة ارادة وتجويد واناة وعزم واخلاص ، وانما يؤدونه على نحو ما ، ولا يهمهم بعد ذلك .. ماذا تكون نتائجه وتبعاته .. بعد ان يفرغوا منه . لانهم لم يخلصوا له ، ولأن الاخلاص فى نفوسهم نسبى ،

ولأنهم كذلك لا يحسون بوطأة الامانة وادائها ، ولعلهم لا يفقهون منها كثيرا ولا قليلا ، وانما هم قد رأوا الناس يعملون .. كما تعمل الآلة .. بغير ارادة ، فقلدوهم وعملوا مثلهم ، لتكون بعد ذلك نتيجة أو لا تكون . سيان الامر عندهم ، وهم أمام الناس .. وحتى أمام انفسهم .. انهم قد عملوا ، وليس احد بداخل صدورهم .. ليعلم خباياها ، فهذا شيء لا يعمله الا الله وحده ، لانه سبحانه .. عالم الغيب والشهادة .

ومن فضل الله على أنني لا اقدم على عمل الا قدرت انني استطيع ان احقق له نجحا ، ولأني لذلك لا أفكر في مكاسب تعود عليّ منه ، ولعل هذا سر النجح .. الذي أصل اليه .. بفضل الله سبحانه وتعالى . انا لا أفكر في نفسي وما يعود عليها من العمل .. الا في آخر المطاف ، وبعد أن أؤدي واجبي . وانا كذلك .. لا أزج بنفسي في عمل .. لا أحسن اداءه ، ولا أكابر في ذلك .. ولا اغالط ، ولعل حرفة الادب .. تعلم المزيد من معرفة الانسان لنفسه وقدره ، بجانب .. انها تعلم الصبر ، وقديما قالوا ، وما اكثر الحكم .. في ادبنا العربي وتراثنا الفني :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

ولعل ثبات قدمي في الصحافة .. ممارسة منذ عام ١٣٧٦هـ ، ثم كتاباتي المتصلة ، سوى انقطاعي .. خلال السنين العجاف ، منذ قيام المؤسسات .. الى ان عدت من

غربتى ، وهى فترة تقدر بثمانى سنوات ، ضاعت من العمر سدى .. ليس لى فيها كثير اختيار ، ذلك أن الظروف التى امامى .. كانت أقوى منى ، وكان لابد ازاءها .. ان اتخذ قرارا سريعا ، وان كان يؤدى الى زلزلة كيانى .. من حيث العمل والاستقرار النسبى ، ولكنى رفضت وضعا خاطئا ، فدفعت الثمن غاليا. وهذا شىء طبيعى .. فكل شىء له ثمن ، والذى لا يدفع الثمن .. لا يأخذ المقابل .. مما يريد او مما يختار . ولعل العناد والاصرار على الرأى .. يفضيان الى نتائج لا تسر صاحبها فى كل الاحوال ، وقد يكون معذورا ، لان الظروف الحرجة والقاسية .. تضطر الانسان الحر فى كثير من الاوقات الى ان يتخذ قرارات سريعة ، وإن اكتشف بعد ذلك .. أنها خاطئة ، ولكنه كان فى موقف حرج .. لا يستطيع أن يفكر طويلا ، ولا يسعفه التفكير .. لكى يختار الاسلم ، ثم هو امتحان صعب .. وهز لارادته ، اذا كان ينقاد .. أو يتأبى .. لما يعرض عليه ، وان كان معه آخرون وفى كل زمان ومكان .. يختلف الناس فى الانقياد للامر الواقع ورفضه ، وانا .. من الذين يرفضون ما لا يرضى نفوسهم وطموحهم ، انا ضد الهدم .. وضد البناء الخاطىء . وانا موقن .. ان حرية الصحافة واحدة من الاسس .. التى ترعى حقوق الانسان ، فاذا تعرضت الصحافة الى تغيير يخرسها .. فلا تعبر عن الحرية الملتزمة بالمثل ، فهى غير جديرة .. بأن تسمى صحافة ، وانا لا أحب ان انتسب لها .. ولا أعمل فيها .. ولا اسير معها ، هكذا طبعى ، ورغم تقدم السن ، ورغم تجارب الحياة

الطويلة وقسوتها .. التى عشتها فى سنين مختلفة ، فان كل هذا .. لا يزيد فىّ الا اصرارا على التمسك بمبادئى ومثلى ، وانى لا أحب الادنى .. وانما اتطلع دائما .. الى اعالى الامور .. والى الذى هو خير . فعزائم الامور عندى هدف .. فى كل شىء ، وأعرف فى كثير من الاوقات والمواقف .. أن تمسكى بهذه الخصال .. يجر علىّ الكثير من العناء والنصب ، وان المسايرة النسبية .. تريحنى وتمنحنى بعض المكاسب .. ان صح التعبير . رغم كل ذلك .. فأنا اتمسك بما اختار ، ولا أزعم لنفسى اننى دائما على حق ، وانا المصيب وغير المخطىء ، ولكنى لا أحب الالتواء فى أى شىء ، أمقت الكذب والتلون والضعف والخسة والحقارة .. والاستكانة والنفاق والتزلف . لذلك تجدنى امام كثير من المواقف متحيرا ، ثم رافضا .. لما اراه يبعد عن الحق ، فالزيف يسلك مسارا والنفاق دارا .. والمهنة قرارا .. فأقف بتصلب احيانا ، وابعد .. اذا لم استطع ان اصادم وان انتصر . ويكفينى ذلك رفضا واباء . لو اردت ان اضرب الامثلة لطال بى الحديث ، ولكنى لا أريد ان انهج فيه الحديث الشخصى ، وان كان جزءا .. من تجربة الحياة ، لانه مخالطة للناس ، ومعايشة لهم وتعامل معهم .. واحتكاك بهم ، واختبار لمعادنهم ونفوسهم وحياتهم ، الحديث طويل .. وطويل جدا لو مضيت أصوره كما عشته .. وكما رأيته ، ولكن ما الى ذلك اردت واخترت ، وانما هو عن تجربة فيها عمق .. وفيها سطحية ، وفيها ما هو بين بين .

كانت التجربة فى عكاظ اذن ناجحة ، لانه سبقها مرحلتان .. فى الاضواء والرائد ، ولان خبرة السنين زادت من معارفى .. فى العمل الصحافى ، ولان المؤسسة كيانها اكبر .. من العمل الفردى ، وان اختلفا .. اهدافا ومسيرة ودورا . ولكنى أقول .. إن الاصل فى كل عمل الاخلاص والاداء الجيد الصحيح ، اما الامكانات .. فهى عامل مساعد ، وليس لها قيمة .. اذا لم يكن معها خبرة وعلم وصدق وارادة تنفذ .. وتحقق المكاسب . الا ترى ان السلاح فى يد الجبان .. لا قيمة له البتة . وان المال مثلا .. لا يبنى مشروعات ناجحة .. اذا لم يكن معه عقل .. يخطط ويدبر وينفذ ؟

جئت لعكاظ بحافز صحافى وادارى ، الى جانب المساحة من العلاقات العريضة مع الناس ، كاتبين وقارئين . وانا فى مساحة منافسة ، وانا أحب ذلك . انك قد تبدع وتبدع فعلا .. حين تعمل وحدك ، ولكن الابداع .. يقاس على غيره ، والعمل فى ظل التنافس يؤدى الى المزيد من الاجادة .. او الاخفاق عند الاموات والخاملين ، الزحام والتنافس محك للنضج او الاخفاق ، للتقدم أو التقهقر ، وانا انسان احب التحدى .. كما قلت آنفا ، لذلك فان مناخ المنافسة يبهرنى ويسعدنى ، لانه يدفع بى الى المزيد .. من العمل . وانا ابغض الخمول والكسل ، وأبغض الاعتماد على الآخرين ، فيما استطيع ان اؤدى واستثقل تكليف الناس وما قد اراه احراجا لهم ، لا احب ان اتلقى امرا .. ولا احب ان اصدر اوامر ، الانسان فى رأيى تلقائيا ..

ينهض بواجبه ، امـا اذا احتاج الى ان تنبهـه اليه وان تشعره به .. وتذكره بما عليه ، فلست آبه لهذا الصنف من الناس ، لان الانسان حس ، فاذا كان بليدا .. او لا يأبه له ولا ينميه .. فلا كثير خير فيه .

ولولا مضايقة المدير العام وتقلبات مزاجه وتحكمـه ، لكان فى الامكان ان يكون من عكاظ الاسبوعية مجلة ادبية نقدية .. فى شكل جريدة .. تشد الناس ، ويجدون فيهـا حاجتهم ومطلبهم الفكرى ، لانى احسن العمل فى ذلك ، ولا احسنه فى سياسة او علوم او اقتصاد .. او نحـو ذلك . وكذلك مجىء الاخ رضا لارى رئيس تحرير ، له اتجاه ولى اتجاه .. يختلف بالتأكيد عن مساره ، واصبح موظفا .. ينفذ ما يطلب منه .. أنا أمقت ذلك وأرفضه رفضا قاطعا ، لا لأنى ذو مزاج أعرج ، وانما الصحافة .. ليست وظيفة وامزجة ، وانما هى عمل ووعى واداء وخطة واتجاه . ان العدد الاسبوعى الذى يعنى بالادب والفكر .. يجرى وراء الموضوعات الجيدة ، والقصـائد الجيـاد والنقد القـوى الهادف ، وهذه مهمته ، وهو واجد الرواج العريض ، لان القيادة اساس وهدف من يعمل . وماعدا ذلك . فانه تسلط وهيمنة .. وانتفاخ ليقال : ان فلانا ذو نفوذ وقوة وتأثير ، انه الآمر الناهى ، لا يخرج عن رأيه وسلطته احد ، فمن معه او كل من معه مرؤوسون له .. ومنقادون ومطيعون .

أمثل من يكون فى هذا « الهم » ، جدير بأن يكون ذا رأى وشخصيـة وعـزم وحـزم ؟ كـلا : فمن يقبـل هـذه السيطرة .. يعش الخنى والذل والهوان .

تركت عكاظا إذن مكرها .. وانا حزين عليها ، لان الذى يشيد بناء .. ينبغى أن يحرصه ويرعاه ويتعهده ، لاسيما حين يحس أو يدرك ، ان بناءه يدركه التصدع .. حين يبعد عنه ، او الذى ينشىء جنة فينانة ، قطوفها دانية .. وفيها ظل ظليل ، ثم يتخلى عنها ويدركها الذبول .. من العطش والجهل بالخبرة الزراعية ، وتشقى الزهور والورود ، حين لا تجد الايدى الحانية .. والانفاس الدافئة ، التى تهدهدها وترعاها ، تصبحها وتمسيها ، تتهامس معها .. فى شجن وغزل ، وفق تقلب المناخ .. وعصف الرياح ، والقر والحر . والمعايشة .. مناجاة وحنان وصفاء ، وحس مرهف ، لانه الموصل الى الشرايين والاوردة وذرات الاحاسيس المرتعشة ، النابضة بالحياة ودقة الادراك والوجد . واوشك ان اقطع ، بأن الصدق .. حتى مع الجماد يؤدى الى علاقة كريمة . ولماذا نصم الجماد بالبلادة والجمود .. اذا كان يسبح .. وكل شىء يسبح لخالقه ؟ ولكن نحن البشر لا نفقه تسبيحهم . فما بالنا بالزهر .. الرقيق الندى ، فهو جمال وعطر فواح وشذى .. ولطف ، يعلم الحب والحنان والعطف ، لانه رقة وشفافية وحياة . ولانه قبل ذلك وبعده .. من صنع الله القادر ، الخبير البصير .

عز على أن أترك عكاظا ، ولكنى .. كنت مكرها ، والمكره يركب الصعب ، اذا كان مهيأ .. لأن ينكر ما لا يحب ، وانا أركب الصعب . وحين تركت عكاظا ، دب الضعف .. فى العدد الاسبوعى ثم ذابت ملامحه ، ولم تعد له استقلاليته

وشخصيته وكيانه وموادة وشكله .. اختفى وذاب .. وهذا شيء طبيعى .

ومما اذكر اننى حين بدأت فى عكاظ ، وكان معى على مدهش ، وقرر أن يكون وضع الترويسة للعدد الاسبوعى . يشير الى اننى مدير التحرير وعلى مدهش سكرتير التحرير ، ولكن حدث بعد عددين او ثلاثة .. ان اختفى اسم على مدهش من الترويسة بفعل فاعل غيرى .. فظن على مدهش أننى انا وراء ذلك وغضب منى ، ولكن الفاعل كان هو من يملك أوامر أعلى من اوامرى ، وبذلك جنيت انا غضب الزميل ، والفاعل ظل بعيدا بعد ان حقق مراده ، دون مواجهة مع المشكلة .. التى صنعها ، والضحية فى ذلك هو انا والأخ على حيث تحملت غضب الزميل .. من دون ذنب جنيت ، اما هو فقد اختفى اسمه عن الترويسة .

○ ○ ○

فى البلاد

تركت عكاظا فى الشهر الخامس من عام ١٣٩٦هـ ، وظللت بلا عمل .. حتى منتصف شوال من العام نفسه ، وقد اتأمل فى نفسى احيانا ، واعجب احيانا اخرى . ليس التأمل الذى امرنا الله به .. فى قوله تعالى : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » ، ولكنى انظر واعجب .. حين لا يكون عندى عمل ودخل اعيش منه . وانا انسان .. اعيش على دخلى الشهرى ، ليس لى موارد ولا املك ارصدة ولله الحمد ، ولكنى لا اجزع .. حين اترك عملا ما .. كما يصنع بعض الناس او كثير منهم ، نراهم .. حين يفصلون من وظائفهم . أو ما يؤدى الى توقف دخلهم .. لاسيما الوظيفى ، يجزعون ويدركهم الخوف .. على انفسهم ومن يعولون .. يسخطون ويصرخون ، من سينفق عليهم ؟ ومن أين يعيشون ؟ ومن سيقرضهم ؟ ومن أين يسددون .. اذا وجدوا من يوسع عليهم بعض الوقت ؟ أرى هذا واسمعه ، وقد أضيق وأشفق فى الوقت نفسه . ولكنى .. لست من هؤلاء ولله الثناء الجميل ، فأنا حين أترك عملا ما .. أجد اطمئنانا لا اعرف له مصدرا ، بل واجد راحة ، لاسيما ..

حين أبعد عن شيء أكرهه ، أو أكرهت على تركه .. ولم تجد فيه المداراة . أجد اطمئنانا .. من خالقي جل وعلا ، لا أجزع ولا أشكو ، بل لا أعلن لأحد .. أننى تركت العمل الذى كنت فيه ، الا اصحابى الملتصقين بى ، وكثيرا .. ما أكتم عنهم الخبر ، فأجدهم قد ذهبوا .. الى حيث كنت أعمل ، فقد يقال لهم بشيء من مجاملة من الموظفين الذين .. كانوا يعملون معى ، انى فى اجازة . ويعرف الصديق .. أننى لا آخذ اجازة لابقى فى البيت ، فأقول لهم : إننى قد تركت العمل .. وأحكى لهم القصة ، ولكنى لا أشكو ، لأنى أدرك أن الشكو لغير الله .. مذلة . صحيح . أن فى الشكوى تنفيسا ، ولكن لا تكون عن الرزق ، لان رزق أى مخلوق فى السماء . « وفى السماء رزقكم وما توعدون » . ومن رحمة الله بخلقه .. انه تكفل برزق من خلق .. وكذلك « الاجل » . لم يوكلهما لاحد سواه . ومادام الامر كذلك .. فلماذا الجزع والخوف ؟ ان الايمان وحده بخالق الكون والموت والحياة .. هو مبعث الاطمئنان . « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . مزيد من الايمان .. والاعتماد على الخالق الرازق .. والاتكال عليه ، يؤدى .. الى الراحة النفسية . على الانسان .. أن يلجأ الى الله فى كربه واحنه ومصائبه ، فهو سبحانه .. يفرج الكروب .. ويدفع الهم والغم . وهو سبحانه وتعالى .. الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء .. وهو اللطيف الخبير . المهم ثقته فى الله ومزيد من الايمان .. الذى يملأ النفس راحة وطمأنينة ، وما بعد العسر الا اليسر ، ذلك ..

من فضل الله . « ان الله لذو فضل على الناس .. ولكن اكثر الناس لا يشكرون » ، فلله مزيد الحمد والشكر ، فهو وحده جل وعـلا .. ولى النعم ، وهو المنعم على عباده ، وقد تكفل بالاستجابة .. حين يدعى . « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداعى اذا دعان » . اما الذين ينسون الله فـانـه ينسيهم انفسهم ، وحينئـذ .. يصبحـون هم المفـرطين .. فى حق أنفسهم . وفى حق خالقهم ، وعليهم وحـدهم .. تقع تبعـة التفريـط والجحود ، وفى الحـديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى » ظن ما شئت ، أنت كما تدين تدان .

كان فى ادارة مؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، الاخ « عـلى العمير » ، ومـديـرهـا العـام السيـد « عبـد الله الدباغ » ، ويرأس تحرير جريدة البلاد .. الاستاذ « عبد المجيد شبكشى » .. منذ قيام المؤسسـات . ثم اصبح فى المؤسسة مجلة اقرأ .. التى اسندت رئاسة تحريرها الى الاخ الدكتور « عبد الله مناع » .. عضو المـؤسسة منـذ صدورها عام ١٣٩٤هـ ، وكان الاخ العمير .. على غيـر وفاق فى هذه الادارة ، وهو رجل كثير التطلع الى غيـر ما بيده ، فقد يكون كاتبا حرا نـاجحا ، لكنـه لن يمسك .. الادارة بضوابطها وانظمتها .. التى هى ضد طبعه النافر والملول ، ولعل لنشئته الاولى اسبابا فى هذا الطبع النافر عنده .

ثم ترك الاخ العمير .. ادارة المؤسسة فى شهر شعبان ١٣٩٦هـ ، ولابد للادارة ممن يمارسهـا ، لان المديـرين

العامين غير المتفرغين لاعمال المؤسسات الصحافية .. فهم يمارسون التجارة .. أو وظائف حكومية ، لهم مراكزهم الوظيفية والعملية ، ولم ينص نظام المؤسسات .. على تفرغهم لها ، ولا تستطيع المؤسسات اعطاءهم مرتبات عالية .. تغريهم للتفرغ ، وهو عمل غير مضمون .. لما يقع من خلاف .. مع اعضاء المؤسسة ورؤساء التحرير يصل الى حد التصادم ، وقد تتدخل وزارة الاعلام لفض النزاع ، وكثيرا .. ما يتخلى المدير العام عن بقائه فى المؤسسة ترفعا منه ، كما حدث .. مع السيد الدباغ والدكتور حسن ابو ركبة فى مؤسسة البلاد ، وعلى شبكشى فى عكاظ ، والدكتور الهرسانى فى الندوة ، ونحو ذلك فى المؤسسات الاخرى .. فى المنطقة الوسطى ، فى الصحف .. التى تصدر فى الرياض ، وكذلك الحال فى مؤسسة المدينة للصحافة والنشر . ولا أدل .. على ذلك من ترك السيد محمد حسن فقى لمؤسسة البلاد .. بعد ستة اشهر من تأسيسها ، التغيير متصل فى مراكز المديرين العامين ، وليست الحال كذلك فى رئاسات التحرير الا اذا جاء الامر ، كما حدث للاخ رضا لارى فى عكاظ ، وجريدة اليوم .. التى تصدر فى الدمام .. بالمنطقة الشرقية ، كما تغير رؤساء التحرير فى الجزيرة ، من الاستاذ عبد الرحمن المعمر الى الاستاذ « خالد المالك » الى رئيس تحريرها الحالى الاستاذ « محمد ناصر بن عباس » .

وفكر فىّ صديقى المناع ، فهو يعرف ممارساتى الادارية الطويلة وخبرتى الصحافية ، فنحن تربطنا علاقة .. من

اوئل الثمانينات ، منذ ان كان الدكتور مناع طالبا .. فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية ، وانا يومئذ . اصدر صحيفتى الرائد .. ثم قويت الصلة .. حين عاد ، فكان كاتبا وملتصقا .. التصاق صداقة والتحام . وحين أصدرت العدد الاسبوعى من عكاظ ، كان الدكتور .. يكتب فيها كل اسبوع .. قبل ان يرأس تحرير مجلة اقرأ ، وكان يمارس .. طب الاسنان ، فى عيادته الخاصة .. فى شارع الملك عبد العزيز بجدة بعد أن ترك العمل الحكومى .. فى المستشفى المركزى بجدة ، ثم فى مندوبية الطائف .. لوقت قصير . اتصل بى أخى المناع .. يعرض على العمل فى ادارة مؤسسة البلاد . وليس بد من قبول هذا العمل ، لان الصحافة والالتصاق بها عملى .. الذى أحسنه ، وأخبرنى صاحبى . أن اذهب لزيارة السيد الدباغ فى مكتبه .. بمؤسسته الزراعية ، وقد كان ذلك ، وعرض على السيد الدباغ اختيارى لاكون مديرا لادارة المؤسسة ، وقال لى : انه ذاهب .. وسيحل محله الدكتور ابو ركبة ، كما قال : ان رئيس تحرير جريدة البلاد .. ذاهب كذلك ، وسيحل محله مرشح جديد ، وهذا الامر وشيك الحدوث . أنا لا أعرف المدير العام الجديد ، ولكنى أعرف والده الشيخ « عبد الله ابو ركبة » ، كان .. يعمل فى ميناء جدة البحرى فى قيادة استقبال السلع المستوردة وفرزها .. وتحديد أماكنها . ولا أعرف كذلك .. من سيرشح لرئاسة تحرير البلاد . قبلت العمل ، وكنت اود بقاء السيد الدباغ لانه رجل رزين عاقل ، سهل التفاهم .. والاقناع والاقتناع بوجهات

النظر ، وقدرت أننى استطيع العمل بيسر .. مع رئيس تحرير البلاد ، لأنى أعرفه .. منذ وقت طويل ، أيام كان رئيسا للقسم العدلى .. فى شرطة جدة ، ثم مديرا للحج بجدة ، ومديرا للجوازات والجنسية بجدة ، والمناع صديقى ، اعرفه ويعرفنى ، وليس من العسير ان نتعاون .. لصالح العمل وانجاحه ، فهو رجل مدرك ، وانا اقدر ذلك .. فى نفسى .

بدأت العمل فى ادارة البلاد .. فى منتصف شهر شوال ١٣٩٦هـ وذهب السيد الدباغ .. فى شهر ذى القعدة من العام نفسه . ولكن رئيس تحرير الجريدة بقى .. وكان امتياز الاعلانات يومئذ .. عند « تهامة » ، عبارة عن « فتات » ، ثمانون الف ريال للجريدة .. وثلاثون الفاً للمجلة .. كل شهر . كان الوضع مترديا .. من الجانب المالى ، والجريدة ضعيفة مترديه ، وبجانبها فى المنطقة الغربية .. وكذلك الوسطى ، صحافة قوية جادة ، عكاظ والمدينة ، والرياض والجزيرة . كان لابد إذن أن أعمل وأن اجد .. لأرفع موارد المؤسسة . وأنا انسان .. أحب عملى واتفانى فيه وأخلص له كل الاخلاص .. ما استطعت الى ذلك سبيلا . ولكنى لا استطيع أن اغير شيئا فى رفع .. مستوى الجريدة ، فهذا شىء ليس بيدى ، وانما هو دور المدير العام ، اذا وجد تأييدا ودعما من « الجمعية العمومية » .. للمؤسسة أو وزارة الاعلام ، وقد لا يستطيع أو لا يقدم الاعضاء ولا الوزارة ، فالانسان المؤيد أو الذى يسعى للبقاء .. بكل السبل يصعب زحزحته ، لأنه

يستميت فى البقاء .. والابقاء على نفسه ، وهو يحس .. انه اذا بعد ينساه الناس ويتجاهلونه ، وهى رؤية خاطئة ، فالمراكز .. لا تدوم والانسان سيتخلى عنها .. شاء أم لم يشأ ، فذلك طبيعة الحياة ، يترك الانسان ما يحب .. بعجز أو نحو ذلك ، ويتركه بموت ، تلك أمور صحيحة ثابتة ..

جاء الدكتور ابو ركبة بترشيح .. من وزارة الاعلام .. وموافقة ولى الامر . والدكتور اليمانى .. وزير الاعلام يعرف الدكتور ابو ركبة فهو زميله فى جامعة الملك عبد العزيز ، أيام كان الدكتور اليمانى .. مديرا لها ، فاختاره لمؤسسة البلاد ، والدكتور ابو ركبة .. رجل على خلق ، وهو رجل ادارى .. وان كان لا يحيط بالصحافة وشؤونها وهمومها وخفاياها ، وهو يومئذ .. « عميد لكلية الاقتصاد والادارة » من سماته الهدوء .. وعدم الاستعجال فى اتخاذ القرار ، وهو رجل رزين .. مهذب جدا ، قليل فى لداته نادر الغضب ، لا تسمع منه .. كلمة جارحة مهما اختلفت معه فى الرأى ، ولا فى غيبتك .. يتحدث عنك بما يسوءك ، وانما هو رجل وفى كريم التعامل ، متسامح .. الى أبعد الحدود . عرفنى وعرفته ، فكان التعاون الوثيق ، وكانت الثقة .. تحكم تعاملنا ، ولا يقض من قلقه وقلقى .. الا ضعف الجريدة اليومية ولا يمكن ان ترقى .. الا اذا تغير مسارها ، فهى صحيفة .. ذات تاريخ عريق منذ ان صدر العدد الاول منها.. بتاريخ ١٣٥٠/١١/٢٧هـ.وكان اسمها « صوت الحجاز » واول رئيس تحرير لها الاستاذ « عبد الوهاب آشى » رحمه الله . ثم تعاقب على تحريرها رجال

كثيرون فى أدبهم وتفكيرهم وشخصياتهم ، تغير اسمها بعد ذلك .. الى البلاد السعودية وكان رئيس تحريرها .. فى فترة من فترات ازدهارها الاستاذ « عبد الله عريف » وهو صحفى ناجح واديب وادارى حازم .. وكاتب جيد ، وبعد الدمج تولى تحريرها الاستاذ « حسن عبد الحى قزاز » وهو صحافى ناجح ، ظلت صوت الحجاز والبلاد السعودية والبلاد .. ثلث قرن الصحيفة الأولى فى البلاد ، المقروءة والقوية ، ولم يدركها الوهن .. الا يوم دخلت فى المؤسسات . ورأينا بعض صحف المؤسسات قوية .. ناجحة ، والعيب ليس فى الصحيفة .. ولا النظام وحده ، ولكن « المكان بالمكين » كما قيل . وهذا الكلام .. من خلال هذه التجربة قد يغضب الكثيرين ، ولكنه الحق ، وكثير .. من الناس لا ينصاعون الى الحق ، وانما هم يريدون تجاوزه الى الاطراء ولو بالكذب ، وان تزيف وتنافق وتداجى وتلبس وتدنس ، وأنا لا أستطيع .. أن اصنع ذلك ، فطبعى لا يقبله .. فى كل الاحوال والظروف .

مؤسسة البلاد مقيدة إذن باتفاقية ثلاث سنوات مع تهامة ، مر منها عام أو أقل ، والدخل ردىء ، ولابد للادارة الجديدة .. ان تسعى عبر وسائل مختلفة الى رفعه .. بحيث تتجاوز المرحلة الصعبة .. التى كانت فيها المؤسسة ، فهى لا تملك أى رصيد فى البنوك ، بل .. إنها تأخذ من البنك الاهلى التجارى .. الذى تتعامل معه « على المكشوف » .. فى حدود خمسمائة الف ريال ، بكفالة بعض اعضاء المؤسسة الماليين .. وترقع فى وضعها .. من دخل

الاشتراكات الحكومية السنوى .. ومعونة الدولة السنوية .. التى تبلغ مليون ريال . ومعونة المجلة السنوية .. ثلاثمائة الف ريال ، شىء لا يسد بعض النفقات ، ومبيعات الجريدة .. لا يساوى شيئا ، لان القارىء .. يفتش عن الجريدة القوية .. التى تعنى بمشاكله وقضاياه .. فيقبل عليها ، وجريدة البلاد لا تعنى بشىء من ذلك . فهى لا تبيع « خمسة آلاف نسخة » .. فى اليوم ، فى طول البلاد وعرضها ، وما أكثر رجيعها .. أو المرتجع ، خسارة ورق وطباعة ونقل الخ . والمؤسسة لا تملك مطبعة ، وأنى لها ذلك .. وليس لها رصيد ، بل هى مدينة ؟ وكيف تمتلك مطبعة .. وليس لها أرض تقيمها عليها ، ومن سيمول تكاليف شراء الآلات ، ومن يضمن نجحها وسداد دينها أو تحقيق ارباح منها ؟ ومن هو الذى سيغامر بماله .. فى مشروع غير مضمون ، والصحافة « على كف عفريت » ، تبقى الصحيفة .. أو لا تبقى ؟ .

كانت الجريدة .. تطبع فى مطابع « المدينة » بالاجر . وكانت الحال ضنكى ، ادارتها تشغل ثلاث شقق .. فى عمارة باخشب بالدور الاول ، وطباعة الجريدة .. تنتقل من مطبعة الى اخرى ، حين يختلف رئيس تحريرها مع مطبعة ما ، فيضيق بها ويكتب الى الادارة .. برغبة الانتقال الى غيرها . ولا يسع الادارة .. الا ان تستجيب للانتقال ، لانها تريد لوسيلتها ان تمضى .. حتى بضعفها وعرجها ، ولا تناقش فى تغير الأمزجة .. ورفضها لشىء وبحثها عن بديل . وكانت المجلة .. منذ بدء صدورها تطبع عند

الاصفهانى ، ويشغل تحرير الجريدة حجرة يتراص فيها رئيس التحرير ومحرريه بأجر ، وذلك فى وقت توضيب الجريدة الى الطباعة ، ونفس الحال فى المجلة . واذا تأخرت المؤسسة .. فى سداد اجور الطبع .. عن الجريدة او المجلة يهدد اصحاب المطابع بايقاف الطباعة ، ويشكون المؤسسة الى وزارة الاعلام لتكون شاهدا .. ولئلا تؤاخذهم ، لان إيقاف اى مطبوعة يومية أو اسبوعية هزة .. واساءة للسمعة ، والوزارة .. تحول دون ذلك وتعد المطابع بالسداد ، على ان المؤسسات .. التى تملك رصيدا جيدا تقوى على السير وان تأخرت عنها المعونة ، اما المؤسسات التى ضعف رصيدها .. فانها تعانى من الانتظار من جهة ، ومن مواجهة الدائنين من جهة أخرى .

أذكر .. انه تأخر السداد عن مطابع المدينة ، وهددت ادارة المطابع .. أنها لن تطبع الجريدة فى تاريخ حددته ، الا اذا سدد ما عليها . وذهب الدكتور أبو ركبة .. الى ادارة المطابع بوقاره وجميل سمته وهدوئه وثقته فى نفسه والناس ، ومن سوء حظه .. انه وجد امامه « احد المسؤولين عن ادارة المطابع ، فقابله مقابلة جافة ، وكان الدكتور ابو ركبة .. يناقشه بهدوء ، ويقول له : إن هذه جريدة البلاد بتاريخها واصالتها ودورها الخ ، كلام .. يستدر العطف والتقدير .. عند الذين يقدرون ويحسون ولكن لم يجد هذا الرجاء ، بل .. سمع الدكتور ابو ركبة ما يكره حين قال المسؤول بعنف وغلظة « تنحرق البلاد » ،

وانا مالى . فساء ذلك .. الرجل المهذب الوديع المسالم ، وعاد حزينا .. من هذه المقابلة الشرسة الرديئة ، ولعله ندم أكثر من مرة ، لانه قبل المغامرة الخاسرة .. كمسؤول عن مؤسسة البلاد .

والاصفهانى .. ليس اقل من ذلك ، فهو يوقف « جمع » مواد اقرأ ويبعث ببرقية .. الى مدير المؤسسة العام ونسخة منها لوزير الاعلام ، مطالبا بماله عند المؤسسة .. لقاء طباعة اقرأ . كل هذه اساليب تهديدية .. تمثل الحال فى المؤسسة وفى المطابع التى تتعامل معها . والقرض الذى تأخذه المؤسسة ، أو « التسهيلات » .. على الاصح من البنك الاهلى .. مدته عام ، ثم بعد ذلك يجدد .. بضمان جديد من بعض اعضاء المؤسسة . واسعى أنا والدكتور ابو ركبة .. من جديد لمقابلة نائب مدير عام البنك ، نرجوه منحنا التسهيلات اياها ، وقد لا يتاح لنا مقابلته .. فى اول زيارة لغيابه ، فنعود مرة ومرة . والدكتور ابو ركبة .. مشغول فى الجامعة بعمله، ونتحين الوقت .. الذى يوفق بين ظروف الدكتور ووجود نائب مدير عام البنك ، ونأخذ « استمارة » الضمان ، وأسعى بها انا .. الى بعض الاعضاء ليوقعوا عليها ، بعد اقناع وحرص منا .. على الوفاء بالالتزام ، والعمل على تنمية موارد المؤسسة ، وهذه التسهيلات تعرضنا « للربا » . وهى العمولة .. التى يتقاضاها البنك لقاء ذلك . وانا اكره وأمقت الربا .. الذى يمحقه الله ، ولا أتعامل به .. البتة فى شؤونى الخاصة ، مهما كانت الظروف ، ولا مبرر للاعذار .. التى يختلقها

المعـذّرون ، بأنهم مضطرون .. الى الاقتراض لتـوسيع تجارتهم واعمالهم ، فهى اعذار مرفوضة ولو كانت مقبولة لاباح الله الربا .. بأى شكل من اشكاله ، ولكنه حرمه ، ما قل منه وما كثر ، ولا عذر للناس فى ذلك ، فالحرام .. يظل حراما فى كل زمان ومكان ، ذلك ان الحرام بين والحلال بين .. كما جاء فى الحديث الشريف .

وأخـذت .. رغم الاتفـاق الاعـلانى المحـدد القيمـة الشهرية مع تهامة ، أخذت أقاتل وأجادل بالكتابة .. لرفع الدخل .. بالحصول على المزيد من الاعلانات .. وتوسيع مساحته ، ليزيد حجم الدخل الشهرى ، وقد تحقق ذلك .. بفضل الله تدريجيا ، فما انتهت مدة الاتفاقية .. حتى كان دخل المؤسسة الشهرى ، أو انه زاد الى اكثر من ثلاثمائة الف ريالا ، وهى زيادة .. ما كانت المؤسسة تطمع فيها .. فى ظل الاتفاقية ، غير أن اصرارى .. على اثبات وجودى وقوة الادارة ، حقق هذه المكاسب وهذا النمو .

والاتفاقية .. تنص على الحوار مع تهامة ، قبل ستـة أشهر من انتهاء الاتفاقية .. للتجديد او الالغاء . وكان على ساحة التعامل الاعـلانى فى السوق ، « شـركة مـروة » للاعـلان ، وهى مصدر جـديد ، وعضـو مجلس ادارتها الاستاذ « محمد صلاح الدين » .. الذى كان يملك « وكالة مكة للاعلان » ، ثم انشئت « مروة » كشركة .. برأس مال يحتمل الدخول فى منافسة مع تهامة . واخذت والدكتور أبو ركبة .. نتحاور مع مروة فى اعطائها امتياز اعلانات البلاد ، المجلة والجريدة ، ووصلنا معها الى مبلغ « سبعمائة الف

ريال شهريا » ، واخذ الحوار مع تهامة مجددا ، وجاء الى مؤسسة البلاد .. الاخ الاستاذ « محمد سعيد طيب » مدير عام تهامة .. ومجلس ادارة البلاد منعقد ، لنعرف من مدير تهامة .. كم ستدفع تهامة قيمة اعلانية لإتفاق جديد بعد انتهاء الاتفاق القديم . وشرعت انا .. لأقول لمدير تهامة العام : إنه دفع لنا سبعمائة الف ريال شهريا ، فأكثر من ذلك ريال .. يمكن أن نتحاور ، وأقل من ذلك بريال .. فلا مجال للحوار ، الا أن مدير تهامة « تأبط » مشلحه .. ليغادر مكتب مؤسسة البلاد لانه رأى حسم الامر وهو قد جاء ليعرض مبلغا.. لايتجاوز خمسمائة الى خمسمائة وخمسين الف ريال . وحينما سمع ما قلت اعتذر عن دخول تهامة .. فى هذه المنافسة ودعا لنا بالتوفيق . وكان اعضاء مجلس ادارة مؤسسة البلاد صامتين .. لم يقولوا شيئا .. للاخ محمد سعيد طيب ، فقد كفيتهم مؤونة الحوار والجدل ، فأنا .. الذى فى المواجهة وأحس بعبء المسؤولية الجسيمة وهمومها ، وينبغى أن اعلن الرأى القاطع الحاسم .. فى هذا الموقف ، فهذا هو دور المسؤول .. الذى يدرك ما عليه ، وينبغى أن يؤديه .. على أتم وجه وأكمله وأجمله .

انتهت اتفاقية تهامة الاعلانية ، لندخل تجربة جديدة مع مروة ، وكانت تجربة صعبة ، لأن قدرة مروة .. لم تكن فى مستوى تهامة ، امكانات وخدمة ومعرفة سوق وانفاق وجهاز ادارى الى غير ذلك .. من سبل المعرفة فى السوق الاعلانية ، التى تحتاج الى مهارة ، تجعل

صاحبها ـ يلعب بالبيضة والحجر ـ في وقت واحد معا .

لم تستطع « مروة » . دفع السبعمائة الف ريال .. عند بدء التعامل معها ولا في خلال عامين الا اشهر ، لان الشهر .. سرعان ما ينقضي ، ومساحة الاعلانات المتاحة لها .. والمنشورة في وسيلتي نشر البلاد محدودة ، إذا بلغت السبعمائة الف ريال في بعض الأشهر .. فانها لا تبلغها في بعضها الآخر . ومعنى ذلك .. ان مروة تعمل « مجانا » لحساب البلاد بعض الوقت ، وتخسر .. في وقت آخر . جهاز مروة .. ليس في مستوى تهامة ، والاخ محمد صلاح الدين .. صاحب التزامات تجارية تخصه ، فهو جواب آفاق بين شمالي الكرة الارضية وجنوبها ، ويصدق عليه القول : « ما آب من سفر الا الى سفر » .

اخذت مروة .. تدفع بالتقسيط ، مائتي الف .. ومائة وخمسين ورغم اننا وهي .. ملتزمون بعقد وهو .. كما يقول القانون ورجاله « شريعة المتعاقدين » ، ولكن ماذا تصنع ادارة مؤسسة البلاد ؟ الدكتور ابو ركبة .. يعلم من يتعامل معه الصبر الجميل والهدوء ، ومعاملة الناس .. بكثير من هذا الهدوء والصبر .. الى المثالية المفرطة احيانا ، يستطيع ان يروض مثلي بعض الوقت .. وليس كل الوقت ، فأنا احمى بسرعة لذلك .. كان في الادارة اتزان بين اتخاذ قرار سريع وبين التفكير والتأمل الطويل .. ولكنه فعال في وقته ، كنا نتعامل من خلال رأيي ورأيه ، أو خطوات العمل .. في مثل المواقف الجادة ، نتعامل « بشعرة معاوية » اشد ويرخي ، وليس هذا اتفاقا بيننا ولكنه الطبع

فى كل منا ، فلو احتكمنا .. نحن ومروة سنضيع جهودا ووقتا وقد لا نظفر بما نريد . والمساحة الاعلانية .. التى تغطيها مروة فى المجلة والجريدة .. لا تحفز على الشغب فى طلب الحق ، ولكن شيئا من مسايرة .. قد توصل الى نتائج فى وقت ما . فقد تقاضينا خمسمائة الف ريال لخمسة اشهر .. من بدء الاتفاق الاعلانى ، ثم ستمائة الف ريال لعام وبضعة اشهر ، وكنا نتحاور مع مروة بالكتابات .. لنسجل عليها . كنت اكتب ذلك .. فى اكثر الاحيان بلغة جادة قوية ، ويكتبها الدكتور حسن .. فى بعض الاحيان بمنطق الاقتصاد والادارة .. وشيء من قانونيهما . وفى ذات يوم من شهر رمضان ١٤٠١هـ ، حددنا لقاء مع مسؤولى مروة . ولم يبق على انتهاء العقد سوى عشرة اشهر ، وجاء الاخ مصطفى مغربى .. نائب مدير عام مروة والاخ بدر كريم .. المدير العام ، ودعوت الدكتور عبد الله مناع .. ليحضر معى الحوار ، وليكون توازن ، اثنين مقابل اثنين ، فرأيان .. احسن من رأى ، وانا الممارس والحاسب ، وفى نفسى موقف محدد .. سأقدمه لرجلى مروة ، لا محيد عنه ولا تراجع فيه ، ولعلى لم اخبر به زميلى ، ولكنه قرار اتخذته بنفسى .. لاحسم الموقف حسما باتا قاطعا . وبعد اخذ وعطاء .. فى الحوار ، قلت لممثلى مروة : امامكما خياران ، إما ان تدفعوا سبعمائة الف ريال شهريا .. بأثر رجعى من رجب ١٤٠١هـ الى آخر العقد ، والا .. فان مؤسسة البلاد سنتهى العلاقة بدءا من اول شوال المقبل ١٤٠١هـ ، عليكم ان تدفعوا فورا مائتى الف ريال .. عن

شهرى رجب وشعبان الماضيين ، وسبعمائة الف ريال .. اعتبارا من شهر رمضان الحالى .. الى نهاية العقد فى جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ ، ولا رجوع ولا تفاوض ..غير هذين الخيارين اللذين امامكما . حتى الدكتور ابو ركبة لا يدرى عن قرارى الذى فجرته امام مروة ، ولكنها خطوة .. ليست مبنية من فراغ ، ذلك .. ان تهامة قائمة فى المنافسة ، وكلما التقيت بأخى محمد سعيد طيب .. يشير من طرف خفى ، بأن تهامة مستعدة .. ان تبدأ حوارا معنا فى اخذ امتياز الاعلان من جديد ، فكان هذا دعما لى وقوة ، اتخذت منهما قرارى .. فى حمل مروة على اعطائنا حقنا كاملا ، حتى قلت لهم : ان تهامة مستعدة اليوم قبل غد .. اخذ امتياز اعلانات المؤسسة بأكثر من سبعمائة الف ريال . فى موقف كهذا .. لابد من مجابهة منافس بآخر لتحقيق مكاسب .. للكيان المتنافس عليه ، وهذا فى رأيى .. هو العمل الناجح فى الادارة الناجحة ، ولا ازكى نفسى . وامام تفجر هذا الموقف ، لم يسع ممثلا مروة الا ان يطلبا مهلة حددتها انا باليوم الثانى ليقولا نعم او لا . وكان الرد بنعم ، وكتبت اليهم كتابا اؤكد فيه ذلك ، وهو دفع مائتى الف ريال .. خلال اسبوع ، ثم سبعمائة الف ريال .. بدءاً من شهر رمضان الى نهاية العقد . وبذلك حققت دخلا لمؤسستى بلغ مليون ومائتى الف ريال كانت ستضيع .. لولا اتخاذ هذا الموقف الجاد .. الحاسم القاطع . وقد ضاع على المؤسسة .. حوالى مليون وتسعمائة الف ريال عن المدة السابقة ، حين تقاضينا خمسمائة الف ريالا

وستمائة الفا ، ورغم اننا وكلنا المحامى .. الدكتور محمد سعيد العوضى واختار محكما هو الاستاذ احمد صلاح جمجوم ، واختارت مروة .. احد اعضائها .. هو الاستاذ إياد مدنى ، غير ان مروة خسرت ولم تكسب .. فى العقد الاعلانى مع البلاد لذلك لم نحصل على شيء ، كما خسرت .. حين ابرمت عقدا .. مع مؤسسة اليمامة .. بمبلغ يصل الى ضعف ما اتفقت به مع البلاد ، وحدثت خلافات بينها وبين اليمامة .. ادى الى ان انتقدت وسائل نشر اليمامة مروة ، لانها لم تغط المساحة الاعلانية .. التى التزمت بها ، واضطرت التحرير الى تغطيتها بمواد اعلامية ، وفى ظل عدم التزام مروة ماديا واعلانيا .. فسخ العقد بينهما .

عدنا من جديد للتفاوض مع تهامة .. لأنها اقدر ، ولانها تريد أن تهزم منافسها بقدرتها واستعدادها وخبرتها . وكان الدكتور حسن ابو ركبة قد تخلى عن الادارة العامة لمؤسسة البلاد ، فقد تعب .. ويئس من رفع مستوى الجريدة ، وذلك بعد احتكاك برئيس تحريرها .. بحضور الجمعية العمومية للمؤسسة ، ولم يحسم اعضاء المؤسسة الموقف ، فالمجاملات .. والابتعاد عن الحساسيات وفقدان المواقف الجادة وعدم الشجاعة فى اتخاذ القرار ، كل ذلك ادى .. الى يأس مدير المؤسسة العام ، فآثر السلامة .. بالابتعاد ، بعد ان قضى اربع سنوات عجاف بدون مردود .. للجهد الذى كان يبذله ويشغله بعض الوقت عن مركزه فى الجامعة ، وهى عنده ابقى وأحق بهذا الجهد

الضائع ، وهو رجل .. كما قلت هادىء وطيب ، لا يحب القتال والصراع ، وانما يحب العمل بعقله وادراكه وجده ، وحين لم يجد المناخ .. الذى يستحق ان يعمل فيه .. آثر الابتعاد ، وهو منطق العقل والارادة ، وكان الدكتور أبو ركبة على حق ، كما كان السيد عبد الله الدباغ .. على حق حين ترك المؤسسة ... بعد ثلاث عشرة سنة .

وجاء نائب مدير المؤسسة العام .. منذ انشائها .. جاء ليصبح بالتعيين من الدولة .. مشرفا على مؤسسة البلاد ودار البلاد للطباعةوالنشر .

فى خلال عملى والدكتور ابو ركبة فى ادارة المؤسسة ، فكرنا .. ان ننشىء مطبعة يطبع فيها الجريدة والمجلة ، وتمارس الى جانب ذلك الاعمال التجارية ، لان التعامل مع المطابع التجارية .. فى طبع المجلة والجريدة عناء ، ونحن مهددون دائما .. اذا لم نسدد اجور الطباعة ، فتقدمنا الى وزارة المالية والاقتصاد الوطنى .. عن طريق وزارة الاعلام بطلب قرض ثلاثة ملايين ريال تسدد على اقساط ، فى كل سنة ستمائة الف ريال ، بعد عام .. من تسلم القرض ، وتم ذلك .. بعون الله وتقديره ، وهى نسبة حددتها وزارة المالية نفسها بعد منح القرض ، وكان القرض باسم : مؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، وحصلنا على ترخيص بانشاء المطبعة .. من وزارة الاعلام ، لكن الثلاثة ملايين .. لا تشترى مطابع ، ثم اين الارض التى ستقام عليها المطابع ؟ وطلبنا من وزارة الشؤون البلدية والقروية .. اعطاءنا قطعة أرض من أراضى الحكومة لننشىء عليها

المطابع .. وجاءت الموافقة ، ويبقى دور بلدية جدة .. فى اعطائنا مساحة من الارض ملائمة مكانا وسعة . وسعينا الى رئيس بلدية جدة قبل أن تصبح « امانة » . فمنحنا المهندس محمد سعيد فارسى قطعة ارض تبلغ مساحتها «٧٦٦٥» مترا مربعا فى موقع جيد ، فى شارع ابى الطيب المتنبى .. الذى يلتقى مع شارع فلسطين فى شطره الشرقى ، وسعيت والدكتور ابو ركبة .. سعيا حثيثا لدى اعضاء المؤسسة للاسهام فى رأس مال المطبعة .. الذى حددناه بعشرة ملايين ريال بما فى ذلك قرض وزارة المالية . واشترط الواعون والخبراء بالتجارة ان تكون المطبعة مستقلة .. عن مؤسسة البلاد ، لان الصحافة .. تظهر وتختفى ، وان ربط مصير المطبعة بالمؤسسة .. غير مأمون ، وانما المطبعة التجارية .. لها شخصيتها المستقلة القانونية . كان هذا رأى .. الاستاذ « على الجفالى » وشرطه فى الاسهام المالى ، ولا بأس .. ان تسهم مؤسسة البلاد ببعض رأس مال المطبعة ، واخذ منا هذا السعى جهدا ووقتا ، لقد كنا نتلاقى « لنتحرك معا ، على ظهرينا مشلحانا » ، فى ترداد على مكتب هذا العضو .. لنقنعه بالاسهام فى المطبعة وانه مشروع مربح ان شاء الله ، وما أصعب اقناع الناس .. للحصول على بعض مالهم .. فى مشروع ما ، لاسيما اذا كانوا بعيدين عن التخصص ونتائج اعماله ومسؤولياته ، وكان الدكتور ابو ركبة وانا .. نحسن الاقناع من خلال معرفتنا بالطباعة ، فالدكتور عرف شيئا ما .. من الاحتكاك مع الاصفهانى والمدينة ، اما

انا .. فترجع معرفتي الى عهود الاضواء والرائد وعكاظ ، ـ سقى الله تلك العهود ـ بشآبيب الخير .. لذكراها الفواحة بالعمل والصدق والشباب والحب والايثار .

تم اجتماع اعضاء المؤسسة فيها ، بهدف الاسهام فى مشروع المطبعة ، وبلغ عدد المساهمين ثلاثة عشر بما فى ذلك مؤسسة البلاد ، ولم يسهم الباقون ، منهم محمد على مغربى وعبد المجيد شبكشى وعبد الوهاب آشى .. لكبر سنه واقامته فى مصر ، وعبد الغنى قستى وهاشم عبده هاشم ، ـ وقد انضممت انا وهاشم ـ الى عضوية مؤسسة البلاد .. فى عهد ادارة الدكتور حسن ابو ركبة . بعض الاعضاء الذين لم يسهموا قادرون ولكنهم .. آثروا ما اختاروا .

قبل الحصول على الارض من بلدية جدة .. لتقام عليها مطابع البلاد ، شاورنى الدكتور ابو ركبة .. فى شراء فيلا وقطعة ارض بجانبها .. فى حى « الروضة » . فالفيلا يكون بعضها لبعض اجهزة المطابع ، مثل اقسام المونتاج والتصوير والزنكات والرتوش والجمع التصويرى ، وبعضها الآخر .. مكاتب لادارتها . وقطعة الارض .. تصبح مكانا لآلات الطباعة ، فأيدت الرأى . كان الدكتور وانا معه .. نتشاور ونتخذ القرارات التى نتفق عليها دون الرجوع الى الاعضاء ، لان اجتماعهم كثيرا ما يتعسر ، ولان الحوار معطل ، لاسيما فى موضوع لا يدرك بالبديهة والحديث ، ومادام زميلى وانا مسؤولين فى الادارة واخذنا على عاتقنا .. مسؤولية انشاء المطابع ، فلابد .. ان نتحمل

ما هممنا به ، وقد عرضنا استعدادنا للمسؤولية ، وانا احب اداء المسؤولية وقبلها الثقة ، اعطنى ثقة ثم حاسبنى اذا شئت .. ومتى شئت . هذا هو المبدأ القوام عندى .

بعد شراء الفيلا وقطعة الارض المجاورة لها اتصلنا .. بالاستاذ « احمد الجفالى » وآل الجفالى فى تجارتهم .. وكالة لآلات طباعة انجليزية والمانية ، ورجونا الشيخ احمد .. تسهيلات فى سداد القيمة بعد ان ندفع ما عندنا ، لان العشرة ملايين .. لا تبنى كيانا للمطابع وتشتريها ، ونحن قد صرفنا مليون وستمائة الف ريال .. قيمة الفيلا والارض اللتين اشتريناها .. كما قلت .. وحسبنا تكاليف « الهنقر » .. الذى سيحتوى المطابع مع شركة « الرضوان » ، فكانت اكثر من اربعة ملايين ريال ، ذهب .. أو سيذهب اكثر من نصف رأس المال ، والباقى لا ينشىء مطابع حديثة ، تطبع مجلة ملونة وجريدة يومية ، الى جانب اعمال تجارية اخرى ، وحولنا مطابع كبرى .. متطورة حديثة مثل الاصفهانى والمدينة وغيرها الموجود منها والذى سيوجد .. فى هذه الطفرة المذهلة التى تسير فيها البلاد ، والتى بدأت .. بعد حرب رمضان ١٣٩٣هـ حيث ارتفعت قيمة الزيت .. الى اكثر من الضعف ، وارتفع الانتاج .. خمسة اضعاف أو اكثر . كل هذا ادى الى طفرة أغرب .. من الخيال ، ظلت تسع سنوات فى ازدهار لا يوصف فى سوق البيع والشراء والاستيراد والانشاء و « الاراضى » .. التى تباع بالشبر ، والعقار .. الذى يؤجر بالسنتيمتر « المسطح » .

كان الشيخ احمد الجفالى كـريما .. مثـل خلقه وأدب نفسه .. فمنحنا التسهيل الذى نحتاج رغم تشدد الاستاذ « موسى عفيفى » .. مدير عام شركة آل الجفالى ، ذلك أن امر من يملك يعطل ما سواه . ووقف منـدوب الجفالى فى « قسم آلات الطباعة » على الفيلا والارض المشتراتين ، فقال : ان المساحة لا تكفى للمشروع .. وكـذلك النظرة المستقبلية للتوسع ، وهذا هـو المنطق العمـلى ، لان مثل مشروع المطبعة لا يبنى لوقته الحاضر .. وانما للمستقبل ، وعالم الطباعة يتطور ويتجدد كل عام .. بما ينتج من تطوير وتنويع .. من معطيات التقانة .

من اجل ذلك .. سعينا للحصول على ارض وبناء كيان المطابع عليها ، وقررنا ان نجعل الفيـلا المشتراة سكنـا للعاملين فى المطابع .. فذلك يوفر علينا ايجارة عالية ، وقد ارتفعت اثمان العقار بصورة مذهلة . وتم الاتفاق مع شركة الرضـوان .. على انشـاء « هنقر » المـطبعـة عـلى ارض البلدية ، وحددنا مع السيد « على التبريزى » .. مدير قسم آلات الطباعة عند الجفالى .. الاشياء التى نحتاجها منها .. فى حدود المبالغ التى نستطيع سدادها وتؤدى الى انجاز طباعة المجلة الملونة والجريدة والعمل التجارى ، ثم بعد ذلك .. نتـوسع تـدريجيا بعـد سـداد الاقسـاط وحسب متطلباتنا وامكاناتنا المالية .

وجاءت المطابع .. بعد ستـة اشهر ، وجـاء مهندسـو الشركات لتركيبها ، دوامة عمل واتصال وسهر ، ولكنها المسؤولية .. التى لا تتجزأ .

وخلال وصول الآلات وتركيبها كانت اتفاقيتنا مع مطابع المدينة على وشك الانتهاء ، ورجونا ادارة مطابعها .. الاستمرار فى الطباعة لمدة ثلاثة اشهر اخرى ريثما يتم تركيب مطابعنا .. وننتقل اليها ، وكان موقفا غاية فى العجب وانتهاز الفرص والاستغلال وعدم تقدير الزمالة والتعامل ، وما اطغى الانسان واكفره حين يستغنى ويبطر ويتحكم : لقد فرضوا علينا دفع .. ما يساوى ١٥٠٪ زيادة على قيمة الاتفاقية المبرمة معهم ، وليس بد .. من قبول الامر الواقع ، لاننا مضطرون ومكرهون ، ولسنا ابطالا فى هذه الحال ، وقبلنا كارهين ، وانا اسجل هذا الموقف وسوء التعامل للتاريخ ، ذلك .. ان الناس معادن فى كل زمان ومكان . ودفعنا على مضض ستمائة الف ريال فرقا او زيادة .. عن التكاليف المتفق عليها فى العقد المنتهى لقاء امهالنا ثلاثة اشهر فقط . لو كانت الزيادة .. عشرين او حتى خمسين فى المائة .. لهان الامر وقلنا : انها زيادة قد تفرض أو تعرض .. لو اننا جددنا العقد ، فأما ان نرضى بها او نفتش عن مطبعة أخرى أيسر واقل تكاليف . ولعل هذا الموقف ... جاء رد فعل ، لأنا أصبحنا أو نوشك .. أن نصبح أصحاب مطابع منافسين .. أو غير منافسين .. فى سوق الطباعة . ثم لماذا نستكثر على الناس ان ينالوا نصيبهم من الحياة .. ماداموا يعملون بشرف وصدق وجهد وعقل ومبدأ ؟ غير ان الحسد قديم فى الناس كما قال « ابن ابى ربيعة » .

لقد انتهى بناء « الهنقر » .. تم تركيب المطابع والتجريب ، واصبح لنا كيان طباعى كغيرنا .. رغم .. ان مؤسسة البلاد .. كان افلاسها معلنا ، وكانت كما اشرت آنفا ، تأخذ تسهيلات من البنك بعمولة ربوية ، أسهمت مؤسسة البلاد .. فى رأس مال المطابع بأربعة ملايين ريال ، ثلاثة منها .. قرض من وزارة المالية ومليون ايجارة الارض الممنوحة من الدولة .. لمدة خمسين سنة .

وأصبح للمطبعة ادارة ، ولتحرير الجريدة والمجلة مكاتب فيها سعة ، وأصبح جهازا التحرير .. الكبار فيه والصغار .. يقولون : هذه مطبعتنا ، وقد كانوا لصقاء بالآخرين ومهددين بايقاف المطبوعتين .. اذا لم تدفع المؤسسة ديونها وحالها يعلم به الله .. الى جانب ووزارة الاعلام ودائنوها . واخذت المطبعة .. تمارس العمل التجارى ، والدكتور ابو ركبة .. هو رئيس مجلس ادارة المطابع ومدير المؤسسة العام ، وانا فى ادارة المؤسسة ومسهم فى رأس مال المطبعة برأس مال متواضع . وظهر ان رئيس تحرير جريدة البلاد عضو فى مجلس ادارة المطابع وهو لم يسهم فيها ، والمح عضو فى احد الاجتماعات .. بأن هذا العمل غير قانونى ويخالف كذلك عقد الشراكة ، لان العضو فى المطابع .. هو الشريك فى رأس المال ، وغضب رئيس التحرير حين أعلم بذلك ، وسلخ من عضوية مجلس الادارة .

ذهب .. كما اشرت الدكتور ابو ركبة .. بعد بناء كيان المطابع .. بجهد مشترك عريض ، ذلك انه قدرنا أننا نبنى

كواجب ، وان هذه الجهود لن تضيع ، وان نوقن .. انها ان ضاعت عند البشر .. فلن تضيع عند خالقهم .. القائل فى كتابه العزيز « انا لا نضيع اجـر من احسن عملا » .
واصبح الاخ حسين هونـدجى .. باختيـار احد اعضـاء مؤسسة البلاد واحد الشركاء فى رأس مال المطابع ، أصبح حسين الهوندجى مديرا للمطابع عاما ، وهو غريب عن هذا العمل واسراره ومداخله ومخارجه وهمومه ومسؤولياته ، ولكنه وقد ترك الجمارك .. لانه .. لم يسافر الى الرياض ، يريد ان يشغل بعض فراغه .. بجانب ممارساته التجارية المحدودة ، ولم يطل بقاؤه فى ادارة المطابع ، وتركها .. بعد تصادم مع الدكتور المناع .. رئيس تحـرير اقـرأ وعضو المؤسسة والمطابع ، لانه شريك فى رأس مالها . وقد عنف المناع مع الهوندجى .. فى رسالة بعث بها اليه ، ولم يألف الهوندجى .. هـذا الاسلوب الهجومى ، فقـد كان مـدير المالية ورئيس شـؤون الموظفين .. فى مـديريـة الجمارك العامة بجدة ، وهو أثير عند مديرها العام .. الشيخ محمد نور رحيمى ، فجزع ممـا وجه اليـه من تعنيف وتجهيل لادارته فى المطابع ، وشاورنى فقلت له : دع ما يريبك الى ما لا يريبك . وحين حل بى ما يشبه ما حل به .. فى آخر عهدى بمؤسسة البلاد ومطابع دار البلاد ، قال لى الاخ حسين هوندجى الجملة التى قلتها له : دع ما يريبك فتخليت بعد صدام مع .. رئيس مجلس دار البلاد للطباعة والنشر ، وهو لا يفقه شيئا فى المـطابع ولا فى الادارة ، ولكن ارتجـالية الاختيار ومسلك المجاملات .. يجيئان بالاختيار الخاطىء

على نحو ما ، ليس لمصلحة العمل .. ولكن لتكون اخطاء لاتحد ، تضر بالعمل وادائه ، وإلا كيف يختار لهذا العمل المهم رجل معارفه بعيدة جدا عن فقه هذا العمل وتخصصاته ومتطلباته وهمومه ، وواجبه الوظيفى يلزمه المداومة وكذلك متطلبات العمل .. ولكن لا احد يسأل ؟

اعود الى ادارة مؤسسة البلاد والتفاوض الاعلانى ، فقد أخذت اتفاوض .. مع تهامة لتجديد التعاون الاعلانى .. والحصول على دخل مجز ، وأشركت معى .. فى بعض التفاوض الدكتور المناع ليعيننى ، والمسؤول الاول اعرض عليه خطواتى . اشركت معى الدكتور المناع ، لتكون المسؤولية مشتركة .. والادارة الصحافية .. تريد مرانة ، حتى من الذين لا خبرة لهم فيها ،

وصلنا مع تهامة الى مبلغ ثمانمائة وخمسين الف ريال شهريا .. عن اعلاناتها فى المجلة والجريدة ، وهو مبلغ .. لا تحلم به مؤسسة البلاد ، والدليل ان تهامة .. قبل شهور قررت تخفيض المبلغ الى اقل من النصف ، بعد انتهاء الاتفاقية ، بل نفذت ذلك خلالها لانها احست بوقوع خسارة ، لان الاعلان يفتش عن الوسائل الرائجة ، والجريدة حتى بعد ان ذهب رئيس تحريرها .. الى نيابة المدير العام للمؤسسة وجاء الدكتور « عبد العزيز النهارى » فى رئاسة التحرير ، لم يرتفع مستواها ، لان الانفاق عليها شح .. وهذا يؤدى الى التردى ، لان الصحافة انفاق وجهاز التحرير .. اذا لم يكن .. فى مستوى

المنافسة والقدرة .. استبدل بمن هو خير . والدكتور النهارى .. ذو خلق وأدب وخبرة صحافية .. من خلال الممارسة والاداء ، فى جريدة البلاد ومجلة اقرأ .. وجريدة عكاظ لسنوات . ولكن كيف ترقى وتتطور صحيفة .. من غير انفاق ؟ فالتقتير لا ينشىء صحافة قوية ناجحة ، وانما هو يميتها ويقبرها ويجعلها كسيحة تافهة لا احد يقبل عليها ، وبالتالى .. تخسر المعلن ، والاعلان عصب الصحافة ، لا يمكن ان تنجح مطبوعة يومية أو اسبوعية أو حتى دورية .. أو ان يكون لها انفاق خاص ، ولكن الصحافة السيارة .. لا تغطى تكاليفها بالانفاق الخاص ومعونات الدولة ، وانما بتزاحم الاعلانات على صفحاتها .. وكثرة قرائها وشيوعها . ولا يكون ذلك .. الا فى الصحافة القوية . ثم ان هذه المعونة الرمزية .. تطالب بمقابل وهو نشر الاعلانات الحكومية مجانا كما هى الحال اليوم ، ولو قدرت لهذه الاعلانات .. قيمة لزادت كثيرا عن المعونة المحددة التى لم تزد .. منذ عشر سنوات أو يزيد ، وهى لا تشكل اى دعم مادى . والصحافة .. فى اية دولة مظهر حضارى اذا كانت تمارس الحرية وتعيشها . وانا حين اشير الى الحرية .. فهى غير الفوضى ، وانما التى تتيح للصحافة .. ممارسة دورها ومماشاة تطور البلاد ونهضتها ، وقد قرأت مرة فى احدى صحف المنطقة الوسطى .. رأيا لصحافى لبنانى كبير يقول : ان صحافتنا .. لا تواكب نهضة البلاد الواسعة ، فهى دون ذلك ، وهى فى كل الاحوال مرآة .. تعكس الحياة ، فاذا لم

تكن كـذلك فانهـا لا تمثل الحقيقـة ، وانـا اؤكـد .. ان صحافتنا تعنى بنهضة البلاد .. وتؤدى واجبها فى هـذا الجـانب ، فى تغطيـة مستمـرة .. ومتـابعـة متصلة ، لا تتوانى .. ولا تتخلف ولا تقصر فى هذا الواجب الاساسى .

بعـد ذهاب الاخ حسين هـوندجى .. اختـرت عضوا منتدبا لدار البلاد للطباعة والنشر .. لمدة ثلاث سنوات ، وانا اشغل مدير عام ادارة مؤسسة البلاد الصحـافية ، واخذت امارس عملى هنا وهناك الادارة الصحافية .. فى عمارة باخشب بشارع الملك عبد العزيز والمطابع فى شارع ابى الطيب . وحين اطلقت الدولة حرية العقار ارتفعت .. ايجارة مقر المؤسسة اربعة اضعاف الايجارة القديمـة ، فقررنا ترك عمارة باخشب سوى شقة واحدة .. للاعلانات الفردية ، وانتقلت الادارة الى مبنى بجانب المطابع ، جزء منه تشغله ادارة المطابع .. والبقية لادارة المؤسسة ، ثم انشأت المطابع مكاتب لها فى جزء .. من مساحة الارض التى تشغلهـا المطبعـة ، اتاح لى ذلك ممـارسة عمـلى فى الادارتين عن قرب .

حققت المطابع . فى فترة التأسيس ، ربحا بلغ ١٥٪ فى السنة الاولى و ١٠٪ فى السنة الثانية ، و ٥٪ فى السنـة الثالثة ، واشترت المطابع آلات جديدة .. تبلغ قيمتها ثلاثة ملايين ريال .. من السيولة النقدية التى توفرت عندها ، من دخل الطباعة التجارية وجريدة البلاد ومجلة اقـرأ . وحين بدأت عملى فى المطابع .. كان عليها دين لبنك القاهرة مليونين واربعمائة الف ريال ، تدفع عنها .. ستة وثلاثين

الف ريال عمولة فى كل شهر ، وهو مبلغ باهظ ، واستطعت بفضل الله وعونه .. سداد هذا الدين ، وتخلصت المطابع من العمولة الربوية الثقيلة المرهقة لدخلها ، وذلك بتكثيف العمل التجارى .. من كتب ومجلات دورية ، كتب من تهامة ، احصل عليها بعراك مع المطابع الاخرى واوظف علاقتى برئيس تهامة وادارة نشرها وكذلك كتب .. بعض الاندية الادبية فى ابها وجازان ، الى جانب جميع كتب النادى الادبى الثقافى بجدة ، وكذلك المجلة الطبية .. التى تصدر عن كلية الطب بجامعة الملك فيصل .. فى المنطقة الشرقية ، وكتاب كلية الآداب السنوى .. بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وجريدة قسم الاعلام .. بالكلية نفسها ، وكتب جمعية الثقافة والفنون ـ فرع جدة ـ والكتب الفردية .. التى نحصل عليها من هنا وهناك بالعلاقات الشخصية ، الى جانب الاعمال التجارية المختلفة ، كان الاخ « فيصل الملصى » .. يشغل وظيفة مدير ادارة مطابع البلاد .. قبل ان اختار عضوا منتدبا لها .. ثم عين مديرا للتسويق ، وقد ادى هذا التعاون .. الى مزيد من تحقيق مكاسب للمطبعة .. بتكثيف الجهود .. والعلاقات المثمرة مع الاصدقاء والمعارف .

ان العمل فى المطابع وظيفة شاقة .. لاسيما مع الصحافة ، لان اوقات صدورها محددة لا يمكن ان تتأخر عنها ، وقد حاولت الا يكون نقص فى الجهاز الفنى الآلى والبشرى ، ولكن يحدث .. ان تتأخر بعض مواد المجلة او الجريدة ، وهذا بالتالى .. يؤدى الى مضاعفة الجهد فى

الانتاج بالمطبعة ، ويؤدى كذلك الى أجور اضافية للمطبعة والعاملين بها .. لتلافى تأخير جهازى التحرير .. فى تقديم المواد التحريرية اليها عن المواعيد المناسبة ، وقد حاولت مع صديقى المناع والنهارى .. عمل مواعيد محددة لتلقى المواد ، ليتحمل كل جانب مسؤوليته .. ولكن لم يلتزم جهازا التحرير بذلك . وقد كانت نفس الحال .. مع الاستاذ عبد المجيد شبكشى . واذا تأخر صدور الجريدة ساعة او أكثر فانهم يضعون التبعة على المطابع رغم انهم لا يلتزمون بتوقيع ورقة عمل .. تتضمن تقديم مواد الصفحات فى اوقات ثابتة ، لانهم غير قادرين على التحكم فى الاوقات . ويصر رئيس تحرير الجريدة .. فى كل الاوقات على الحصول على صورة ضيف كبير .. يزور البلاد ، ويتردد مراسل الصحيفة على وكالة الانباء السعودية ، حتى اذا يئس ذهب الى بيته من العناء ، او يخبر جهاز التحرير بذلك .. والصحيفة معطلة تنتظر الصورة ، على حين ان صحف المنطقة الوسطى .. التى يصلها الزائر ، اذا لم تحصل على الصورة فى الوقت المحدد والمناسب ، نشرت صورة له .. من الارشيف الى جانب صورة جلالة الملك ، اما فى البلاد فالحال فيها يختلف ، وكذلك الحال فى بعض الاجتماعات الرسمية .. الذى قد يتأخر ، ويتأخر بالتالى وصول صورة فوتوغرافية للاجتماع ، وتبقى الجريدة معطلة الى ان تصل الصورة وقد لا تصل ، هذه حال صحافة فريدة ونادرة .

ومجلة اقرأ .. قد تتأخر بعض موادها ثم تنهال المواد والصفحات .. على اقسام المطابع ، وقد تتوقف ملزمة على

عمود لمحرر يكتبه فى آخر لحظة ، وامام المادة جمعها وتصحيحها . وقد يغيب او يتأخر المصحح ونبقى معطلين ، وقد يغير الغلاف .. تبعا للاحداث الصحافية ، وطبع غلاف من اربعة الوان .. تسبقه عملية فنية طويلة معقدة ، فى فرز الالوان .. واعمال التصوير والمونتاج والرتوش الخ . وقد تكون بعض « اصول » الغلاف غير واضحة ، وبالتالى لا تظهر واضحة فى الطباعة ، وتوضع التبعة على المطبعة .. ويحاول الفنيون بذل الجهد للحصول على المزيد من الوضوح فى الصورة والملامح و « الارضية » .. للغلاف . وقد علمتنا التجارب الاحتكام الى الاصل ، حتى لا تكون المطبعة دائما .. هى الملومة ، قد يحدث تقصير من قسم فنى احيانا ، وفى هذه الحال .. نحن نحاسب العامل المقصر وغير الدقيق ، اما اذا كان الخطأ .. ليس منا ، فانا نجادل بمنطق .. بانا لسنا مسؤولين عنه . وتحدث هذه الحال فى الاعلانات .. لاسيما الملونة ، فقد تكون اصولها غير واضحة كما ينبغى ، وقد لا تكون « اصلية » وانما مأخوذة من اعلان مطبوع ، وقد يرفض صاحبه دفع اجرته ، وترجع وكالة الاعلان إلى المؤسسة ، وترجع المؤسسة الى المطبعة ، وتراجع المطبعة اصول الاعلان ، فاذا وجدتها سليمة .. تحملت الخطأ وحاسبت القسم المسؤول عنه ، والا ردت بحجتها القاطعة .. بأن العيب ليس فى المطبعة .

كثير من المشاكل والخلافات مع التحرير تؤدى الى جدل واتهامات ، وكنت ارفض الاتهام الباطل ، لا لانى اشرف

على المطابع ، ولكن الآخرين .. يريدون ان يحملونا تبعة لم نرتكبها .

قد يفوت على رئيس التحرير .. عدم قراءة موضوع ، وبعد طبع الملزمة التى بها الموضوع .. يكتشف رئيس التحرير او جهازه .. الخطأ الذى قد يؤدى الى مشاكل ومسائلة ، فتلغى الملزمة .. وتعدل المادة التى بها شك ، وتصور من جديد وتعمل لها « زنكات » ، ثم تدخل مكنة الطبع ، وهى عملية .. تأخذ وقتا ، فاذا قلت وانت مدير ادارة (مثلا) بعد التجاوز عن خطأ او اكثر لا يقبل منك ما تلاحظه ، واعتبرت ضدا ، وان لك موقفا منهم ، يريدون مدير ادارة « آليا » .. لا يعترض على الاخطاء وانما يمارس دوره فى شكلية ومداراة ، ويغض الطرف .. عن كل الاخطاء ولا يشير اليها ولا ينبه لها . وانا لست من هؤلاء ولا مع هؤلاء ، لانى ادرك واجبى .. واعرف مسؤوليتى ودورى .. وكذلك حدودى . أما الخطأ .. فانه مسؤول عنه من حدث منه .

على اية حال ، فان كل عمل مشترك .. لابد ان يحدث فيه احتكاك ، ولكن الاحتكام الى العقل .. لا يوسع دائرة الخلاف ، ولا يؤدى الى المشاحنة والتصادم وطرح الثقة .. بين المتعاملين ، ذلك ان التسامح وتقدير المواقف .. واحترام المسؤولية ، ومعرفة دور الانسان .. فى ظل هذه المسؤولية ، يؤدى الى التقدير .. الذى مرده الحرص على ان تسير اعمال كل جانب فى مناخ .. يسوده التفاهم والود الاحترام ، اذا حاول مسؤول ان يمارس واجبه .. بكثير

من الحرص والتقدير والتعاون .. الى حد نكران الذات ، فى سبيل كسب الناس .. ومحاولة ارضائهم والحفاظ على العلاقات الطيبة ، ذلك ان الانسان ذو الحس .. يدرك ان الفراق سيكون .. طال الزمان او قصر ، فلماذا لا يترك المرء سمعة كريمة وذكرا حسنا وراءه ؟ ماذا سيأخذ من الحياة ومن الناس ؟ وصدق القائل :

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن اذا متنا أشد تغانيا

فى خلال عملى فى ادارة البلاد .. فى عهد الدكتور حسن ابو ركبة ، اقترحت اصدار عدد اسبوعى .. يتبع جريدة البلاد واشرف عليه ، الى جانب قيامى بأعمال الادارة ، وانا واثق .. ان رئيس تحرير الجريدة سيرفض هذا الرأى ، لان العدد الاسبوعى .. سيكون قويا بتوفيق الله وعونه ، وسوف يكون خطرا .. على الجريدة اليومية ، وليس هدفى المنافسة .. او مضايقة رئيس التحرير ولا مزاحمته فى رئاسته ، ولكنى احب ان اعمل فى مجال الرأى والنشر اذا أتيح ذلك لى . ورئيس تحرير جريدة البلاد .. كان فى مقدوره ان تكون جريدته قوية .. مقروءة .

طلب الىّ الدكتور أبو ركبة ان اقدم اليه « تقريرا » يتضمن تصورى لاصدار العدد الاسبوعى .. فكتبت وأكدت .. انه لا يحتاج أى معونة من الدولة .. ولا نفقة من المؤسسة ولا جهازا .. تتحمل تبعة تكاليفه ، وانما اعلاناته وتوزيعه واشتراكاته .. سوف تغطى مصروفاته ، بل قلت :

إن هذا العدد .. اذا قدرله ان يكون ، فسوف يحقق ارباحا سنوية تصل الى مليون ريال ، كنت واثقا مما أقول .. من خلال خبرتى وتجربتى فى عكاظ الاسبوعية .. وخبراتى الصحافية الاخرى . قرأ مدير المؤسسة العام ما كتبت فى موضوع العدد الاسبوعى ، وهو لا يستطيع أن يبت فيه .. قبل اخذ رأى رئيس تحرير الجريدة ، فأحاله اليه ، ولم يقل رئيس التحرير نعم أو لا ، ولكنه دفنه .. فى أحد أدراج مكتبه .. الى ان ترك رئاسة التحرير ، وذهب قبله الدكتور ابو ركبة ، فماتت الفكرة فى مهدها .

خلال عملى فى ادارة البلاد ، أخذت اكتب كل اسبوع مقالا فى مجلة اقرأ بعنوان : « من أحاديث الحياة والناس » يتناول قضايا اجتماعية ونقدية .. لبضع سنين ، وأخذت فى بعض الاوقات أكتب صفحة كاملة اسبوعية فى جريدة البلاد ، او اكتب فى يومياتها .. وكنت قبل ذلك .. أكتب عمودا يوميا .. فى جريدة عكاظ .. بعنوان « معالم » وكتبت مقالات فيها أيام رئاسة الاستاذ الدارى للصحيفة . فالكتابة ديدنى .. الذى اتنفس من خلاله . وكنت أتوقف بعض الوقت ، لأعود اليها بعده .. بمزيد من النشاط والحماسة . لا التزم .. بما لا أستطيع ، ولا أرهق نفسى بأكثر مما تحتمل ، ولا أكلفها .. من أمرها عسرا . فقد كنت فى وقت ادارتى المؤسسة والمطابع .. فى رئاسة النادى الادبى الثقافى بجدة ، وكنت سعيدا بهذا النشاط .. وبهذه الاعمال ، لا أتوانى ولا أقصر فى واجباتى .. فى اى من هذه الاعباء الثقال .. والمسؤولية العريضة ، فقد تأثرت بما

قرأت للدكتور طه حسين .. يرحمه الله ، حين قال : إنه كان فى فترة من فترات حياته : لا يريح ولا يستريح . كان من معى .. يشعر بهذا الجهد ، وكنت جادا معهم .. كل الجد ، أحاسب المقصر والمتوانى والكسول والذى يغيب بغير سبب أقبله ، وكنت أتخلص .. من العناصر التى لا تؤدى عملا .. إنما هى عبء علىّ وعلى العمل ، وكنت أختار الموظف المتحمس للعمل فى ادارة المؤسسة ، وأختار العامل الفنى للمطبعة .. وفى مؤسسة البلاد .. من الاداريين عشرين ، غير الموزعين وسائقى السيارات والفراشين والمراسلين ، وفى جهازى تحرير البلاد واقرأ .. عدد من المحررين والمراسلين ، ومكاتب المؤسسة .. فى الرياض ومكة والمدينة والمنطقة الشرقية والمتعاونين ، والمراسلين فى الخارج ، كل هؤلاء .. مسؤولة عنهم الادارة بجهازها المتواضع . حتى حين كنت فى اجازتى ، أتصل .. من أوروبا وأمريكا . اتفقد العمل والموظفين ، وأسأل عمن أريد أتابع بشغف واهتمام ، ليحس من معى بالمسؤولية ، وأنى وراء عملى حتى وأنا بعيد عنه ؛ لأنى اقدر مساحة مسؤوليتى ، وينبغى أن أؤديها .. فى قربى وبعدى ، أى عمل فى تقديرى مسؤولية ، وأنا أعجب .. للذين يتقبلون المسؤولية ثم لا يؤدونها .. كما يقول القرآن الكريم « ظلوما جهولا » . ظلوما لنفسه .. حين تحمل الامانة .. وجهولا بأعبائها ، حين لا يقدر له أن يؤديها ، ولا يضحى فى سبيلها ، والله سبحانه وتعالى .. سائل كل مسؤول عما ائتمن عليه ، وقبل تبعة ما اختار .. أو اسند اليه ، ثم قصر فى ذات نفسه ..

وفى ذات مسؤوليته . هكذا أتصور تبعة العمل . وأشفق .. حين أحس أو أرى ان خللا حدث ..وخطأ وقع ، أخاف من التقصير ، لأنى أخاف رقيبا لا يغفل ولا ينسى ، ولا تخفى عليه خافية .. فى الارض ولا فى السماء ، « لا يعزب عن ربك مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء » ، كيف يرضى لنفسه من تحمل شيئا من الامانات الا يؤديها ولا يرعاها ، ويدرك ان وراءه حسيبا .. يقول فى كتابه العزيز : « وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ؟ رحمتك اللهم بنا ، وعفوك يا عفو يا غفور ، يا لطيف يا خبير ، أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن . « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

أحسست أن بعض رفاقى استكثروا على القيام بأعمال ادارة المطابع وادارة البلاد ، وان المشرف يريدنى موظفا معه ، لا اعمل شيئا .. الا بمشورته ورأيه ، مجرد موظف بسيط ، وأنا أرى أن مدير الادارة .. ذو مسؤولية ودور ، وأدرك .. ان ممارستى خلال سبع سنوات ، حققت مكاسب .. لم تحققها المؤسسة منذ انشائها ، قبل عشرين عاما . فى عام ١٤٠٣هـ كان رصيد المؤسسة فى البنك ، اكثر من خمسة ملايين ريال ، ولا يطالبها احد بدين وان دين وزارة المالية من القرض .. الثلاثة ملايين لم يبق منه

سوى قسط واحد .. ستمائة الف ريال ، سيحسم من المعونة السنوية ..

المشرف العام .. يشغله مركزه اربعة ايام او خمسة احيانا ، ويجىء الى جدة ثلاثة ايام .. منها يوم جمعة ، ونرتبط حين يجىء الى الادارة فى الثانية بعد الظهر ،، الى السادسة لا غداء .. ولا راحة ، وفى رمضان .. الى ما بعد مدفع السحور ، وهو كذلك يسافر للخارج .. فى مهمات رسمية أو للاستفشاء ، وأنا فى كل الاوقات المسؤول المباشر والموجود طول الوقت ، أقابل .. مسؤولية المطبعة وادارة المؤسسة ، وليس عندى مشاكل والحمد لله ، لم يحدث أن شكوت مشاكلى إلى أى من المديرين العامين .. ولا الى رئيس مجلس ادارة المطابع .. الذى يجىء ساعة واحدة كل اسبوع من يوم الاربعاء ، من الواحدة الى الثانية . وأنا أبعدت نفسى .. عن التوقيع على الشيكات ، ولا أطمع .. ان يكون لى ذلك ، وغيرى من مديرى ادارات المؤسسات الصحافية .. مبتهجون .. لان عندهم صلاحيات التوقيع على الشيكات ، وأنا ارى .. أن هذه امور شكلية لا تقدم ولا تؤخر .. ولا تضيف للشخصية شيئا ، فالمهم العمل والانجاز والدقة ، وتوفيق الله .. يسبقه ويعقبه ، وقد كان لى والحمد لله .

مؤسسة البلاد .. مدينة منذ انشائها الى عام ١٣٩٦هـ ، وحين تسلمت ادارتها والدكتور أبو ركبة ، اصبح لها رصيد أكثر من خمسة ملايين ريال ، ولها اسهم فى المطابع بأربعة ملايين ريال ، ومسؤولها يدرك ظروفها ..

عبر تاريخها الطويل ، هو يريد هذا النجح .. ولا يريد أن ينسب لاحد ، ولا يريد سلطة بجانبه ، وانما موظفين يأتمرون بأمره ، لا يبرمون شيئا من ورائه .. وانما من بين يديه وبموافقته .. حسب رأيه وان كان خاطئا ، واذا ناقشت .. فانك تشغل بمتيهة فى المناقشة وحديث طويل .. عن الحياة ، وتسمع دروسا لا نهاية لها .. والآراء المراد التزامها .. تحد من انطلاقتك ، لانك امام رؤية واضحة لعملك .. الذى تحسنه وتعرفه ، ومن احتكاكك .. وتعاملك مع الآخرين ، كيف تقنع غيرك به .. وتوصل المعلومة الى من يرى غير ما ترى .. وليته على صواب ؟ تلك هى المعضلة ، ولو كان المسؤول معك متعايشا .. وعنده استعداد ومرانة للاداء السريع الصحيح .. لهان الامر ، ولكن الحال تختلف كثيرا ، ولا سبيل الى التواؤم والعمل .. الذى يفضى الى النجح والى المزيد منه . وهذه الحال .. تؤدى الى انكاسة كما رأيتها ببصيرتى .. وقد حدثت فعلا .. بعد عام من بعدى عن العمل .

قررت ان اتخلى عن ادارة مؤسسة البلاد .. قبل ان افاجأ ويطلب منى التخلى ، او ان اخير .. بين ادارة المطابع وادارة المؤسسة ، فأستاء مما يحيق بى ، والقى جزاء سنمار .

قدمت استقالة من ادارة مؤسسة البلاد .. وهى فى احسن حال .. وقد عتب على بعض زملائى .. من موظفى المؤسسة على هذه الخطوة ، وقلت لهم رأيى .. الذى دعانى الى ذلك ، ولكنهم لم يقتنعوا لا من اجل استقرارهم ..

وطيب المناخ الذى كانوا يعيشون فيه ، ولكن .. من اجلى انا .. واعبائى المادية الكبيـرة فى تعليم ابنائى بـأمريكـا والانفاق عليهم من جيبى الخاص ، فقلت لهم لا تشفقوا ، فقرارى .. كان فى وقته ، وانا اضطررت اليه اضطرارا ، والخطوة .. فى هذا الاقدام .. تكون منى خيراً من ان تكون من غيـرى ، واصبـح فى حــال .. لا أحسـد عليهـا من الشـامتين ، لان كل نجـاح يقف فى وجهه شـامتون ، لا يستطيعون صنع شىء ، ولكنهم يتربصون .. متى يحل بك ما تكره وما يحبون ، فيبهجون ويسعدون .. بما سمعوا وما رأوا . ولكن الشاعر يرد عليهم .

فـقـل للشـامـتـيـن بـنـا افـيـقـوا
سـيـلقـى الشـامـتـون كـمـا لقـيـنـا

بعد عام من تركى العمل فى مؤسسة البلاد ، جاء الى بعض الزمـلاء .. من الاصدقـاء ، يثنون عـلى خـطوتى وقرارى فى التخلى ، وانى كنت مصيبا فى التوقيت وذا نظر بعيد ، فشكرتهم .. وحمدت الله على توفيقه ، وقالوا : إن حال المؤسسة تردى .. وسائر فى المزيد من التردى ، وان بعضهم قرر الاستقالة وتسلم حقوقه .. قبل ان يأتى يوم يقالون فيه ، وقـد لا يجدون عنـد المؤسسـة حقوقهم .. فتضيع عليهم . أما انا فقد استرحت .. ونلت التقدير الذى استحق ، ذلك .. انه اعطى لى بعض حقى ، أما البعض الآخر فقد ضاع .. لان نظام العمـل حكم فى القضية .. بالقياس الى المستقيل يضيع عليه .. ما نسبته الثلث من

المكافأة ، أما اذا اقيل .. فإنه يأخذ حقه كاملا موفى . ألم أقل : انه « جزاء سنمار » . وهل هو جزاء من يخلص ويبنى ويضحى ؟ لئن ضاع ذلك . عند البشر ، فلن يضيع شيء عند الله .

لم أوسط ولم أترج .. لأنال فتاتا من حطام الدنيا ، رغم انى استحق التقدير ، ولكن هذ التقدير .. اذا كان استجداء ، فانه يفقد جماله ومعناه ، وتصبح يدى سفلى .. وأنا أريدها ان تكون لى ، لا عليا ولا سفلى ، وانما نظيفة .. نقية ، فى قناعة وعفاف ورضا . لا اريد اكثر من ذلك ، لا أريد الجدى والمن والأذى ، فان ذلك يسيئنى ويمرضنى ويرديني .

وجاء دور المطابع ، وانتهت مدة مجلس الادارة .. وانا أحد اعضائها فى عضوية انتداب للادارة ، وكانت هناك عواصف بينى وبين .. رئيس مجلس الادارة ، لتدخله فى شؤون عملى ، وهو يريدنى .. أن أكون تابعا له ، وهو لم يقرأ عقد شراكة المطابع الذى أعطى كل الصلاحيات الادارية .. للعضو المنتدب ، ولو كنت مداهنا ومسايرا .. ومجرد موظف كما يراد منى لتحقق لى تجديد مدة بقائى عضوا منتدبا لفترة أخرى ، غير انى لم اكن كذلك . أذكر مرة .. ان رئيس مجلس الادارة وجه الى كتابا ، يحملنى فيه المسؤلية .. امام المشرف العام على المطابع وهى تسمية خطأ قانونيا بالقياس الى كيان المطابع واستقلاليته بشخصيته النظامية ومجلس ادارته وجمعيته العمومية .. كشركة ، تعين من يمثلها ومن يكون مسؤولا عنها .. وفق

نظام الشركات في البلاد . إن رئيس المجلس يحملني المسؤولية أمام مجلس الادارة . وانه ينبغي عليّ ألا أبت فى أمر .. الا بعد الرجوع اليه ، وانى تصرفت فى كذا وكذا ، وكان ذلك خطأ .. بزعمه .. وهو لا يدرك شيئا مما يقول . ورددت عليه برسالة أرفض فيها ما طلب منى ، وإنى لا أقبل توجيها من أحد وإنى أتحمل مسؤوليتى كاملة . هذا الصدام وما سبقه من مواقف صلبة من جانبى .. تجعلنى أبعد عن ادارة المطابع .. فى اجتماع الجمعية العمومية للدار ومجلس ادارتها .. وقد كان ذلك والحمد لله على ما قدر .

كان اجتماع الجمعية العمومية لدار البلاد يوم ٩/٨/١٤٠٤هـ حضره جميع الاعضاء ، ماعدا الاستاذ محمد حسن فقى .. وعضو آخر يقيم فى مكة . وأقرت الميزانية العمومية ، وشكل مجلس ادارة جديد ، خرج منه الشيخ على الجفالى ، لانه اعتذر عن المشاركة .. لانشغاله . ودخل « غسان » محمد ابراهيم مسعود عضوا ، ومؤسسة البلاد كذلك . وبكلمة عابرة .. من أحد الاعضاء ، يبدو انها نتيجة اتفاق مسبق ومدبر قال : نضم وظيفة العضو المنتدب الى رئاسة مجلس الادارة فأيد أعضاء مجلس الادارة ذلك بعد انصراف .. بقية اعضاء الجمعية العمومية واصبحت أنا .. عضوا فى مجلس الادارة ، فقد كان أمر ابعادى عن الادارة شيئا مؤكدا . وقلت : اننى أريد بيع « اسهمى » ولا اريد الاستمرار فى الشركة ، وقيل

لى .. اكتب هذه الرغبة ، لعرض اسهمك على الشركاء .. ليشتريها من يرغب فيها .

وعند انفضاض الاجتماع .. قلت لرئيس مجلس ادارة المطابع الذى بقى فى مركزه ، وأضيفت اليه وظيفة « العضو المنتدب » ، وهو رجل مشغول بتجارته ، والعضو المنتدب .. فى اعمال الشركات ، يفترض فيه ان يكون متفرغا ، غير ان الامر فى بعض الحالات .. يأخذ شكل الارتجال ، بقصد أى هدف ، قلت لرئيس مجلس الادارة : ارجو تصفية حقوقى .. خلال عملى ثلاث سنوات فى ادارة المطابع .. حسب نظام العمل ، فقال : اكتب طلبا .. لاجراء ذلك ، والامر لا يتطلب منى كتابة طلب ، لانه حق معروف فى نظام العمل .. عند استقالة موظف فى القطاع الخاص ، والاستغناء عن عمله ، غير ان رئيس مجلس الادارة يبدو انه اراد مماطلتى ، واراد التسويف .. قبل اعطائى حقى النظامى .

وفى اليوم التالى .. لاجتماع الجمعية العمومية ، جئت الى مكتبى .. وجمعت اوراقى وحاجاتى من كتب وغيرها ، وكتبت طلبا حسب رغبة رئيس مجلس الادارة ،، وبعثت به اليه ، فشرح عليه : « يعرض على مجلس الادارة » والامر .. لا يدعو للعرض ولا الطلب . ولكنه عناد .. واستغلال موقف ، ما كان ينبغى ان يكون لو كان التعامل كريما ، ولو كان .. من عملت معهم يقدرون دورى وعملى ،، وما حققت من مكاسب سواء لمؤسسة البلاد أو المطابع ..

وما بذلت من جهد ، ولكن .. هكذا بعض الناس ، يعطلون حقا .. بقصد الانتقام والاساءة الى من أحسن .

وعلمت ان رئيس مجلس الادارة .. يريد السفر الى الخارج ، وقد وكل الأخ جميل مرزا ، لينوب عنه .. خلال غيابه .. وهممت أن اركب رأسي .. لاعطله عن السفر حتى يصرف لى حقوقى .. مادام الامر عنادا وتسويفا ، غير أنى آثرت .. أن أكون كبيرا ، ولا أنزل الى الصغائر . سافر اذن دون صرف حقى ، وجئت الى الاخ جميل مرزا .. مطالبا بما استحق ، فقال : مادام رئيس مجلس الادارة .. قد شرح على طلبى عرضه على مجلس الادارة ، فانه لا يستطيع البت فيه ولكن فى مقدوره .. من باب العون ، أن يصرف لى نصيبى من الربح .. وهو ٥٪ . فقبلت .. حتى يعود رئيس مجلس الادارة من سفره . ثم ذهبت الى السيد عبد الله الدباغ ، أحد الشركاء فى المطبعة وعضو مجلس الادارة ، وشكوت له الامر ، وقلت : أهذا هو التقدير والمكافأة وما يجب أن .. يقابل به العاملون المخلصون ، فلم ترضه الحال واتصل هاتفيا .. بجميل مرزا وقال له : مادام فلان يريد حقه النظامى .. فلماذا لا يعطى له ؟ ورد جميل : بأنه لابد من الانتظار .. الى عودة رئيس مجلس الادارة ، وأنه لا يستطيع التصرف فى هذا الموضوع ازاء ما شرحه رئيس مجلس الادارة ، وانه .. لن يتأخر اكثر من اسبوعين . وطلب الى السيد الدباغ الانتظار ، واننى سأحصل على حقى عند عودة رئيس مجلس الادارة ..

وتركته الى الشيخ أحمد صلاح جمجوم ، وهو هميم برد الحقوق الى اهلها وشرحت له الحال ، وقلت : انني لا أطالب .. بمكافأة تقدير ولا صدقة .. ولكني أريد حقي ، قال : ان من يترك العمل عندنا يتسلم حقه فورا ، وامهلني الى عودة مسؤول مطابعنا وعاد المسافر ، وراجعت السيد الدباغ والشيخ الجمجوم ، ورد بأن الموضوع سيعرض على مجلس الادارة ، ولكن السيد الدباغ أكد له ، بأن مثل هذا الموضوع النظامي .. لا حاجة الى عرضه على مجلس الادارة ، ووعد بالصرف ، وذهبت الى الشيخ الجمجوم ، فقال : ان فلانا لم يعد ، فقلت : بل عاد البارحة ، فهتف له ، وقال : اريد ان اراك اليوم مساء لموضوع مهم ، وطمأنني .. الى انه سينهي الامر فورا .. فشكرته وأنا اقول : اني اعجب ، كيف يحتاج انسان يطالب بحقه الصريح .. ان يلتمس ذلك بالرجاء والالحاح . أهذا هو التقدير المنتظر ؟ ان الانسان .. قد يندم على اخلاصه في عمله .. مادامت المعاملة في نيل الحق على هذا النحو ، وأنا في مقدوري أن أصعّد الشكوى الى أعلى مستوى ، وأكشف هذا العبث وسوء المعاملة .. ولكن لي عزاء في قول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » . ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول : « الدين المعاملة » وابلغت صديقي الدكتور مناع .. عضو مجلس ادارة المطابع فقال : ان حقك سيصلك بعد تصفيته . وبعد يومين تلقيت شيكا ببعض حقي ، ولم اعط « شهر الانذار » . ذلك ان رئيس محاسبة

الدار كلفــه رئيس مجلس الادارة .. فسعــى الى مكـتب العمل ، وفهم منه .. ان شهر الانذار لا يستحقــه من فى عملى ، لان مدة العمـل مقيدة بـزمن محدد .. هــو ثلاث سنوات ، مدة مجلس الادارة .

كنت أحسب ان من عملت معهم أكـبــر .. من هـــذه المواقف على الاقل ، فالتقدير .. الذى لم أجـده .. نتيجة لبعض الخلافات .. لتدخل رئيس مجلس الادارة فى عملى ، وأنه يريدنى موظفا عنده .. أتلقى منـه التعليمات وكيف أعمل .. ولا أمارس واجبى الا بــاذنه واطلاعــه . ورأيت بعض من فى الدار . يقف مع رئيس مجلس الادارة ضدى ، ورئيسه يؤيده .. على تصرفاته .. التى اعارضها أنا ، لان فيها اخطاء ومخالفات ، ولأنى جاد فى ادارتى ، وكثيرا ما يسعى البعض الى رئيس مجلس الادارة ، وكان واجبه الا يؤيده خطا ، لانه مرتبط بى اداريا وماليا ولكن التصرفات الخاطئة .. تؤدى الى أكثر من ذلك . وهناك رجل يمارس العمل على نحو ما كان فى الشركات التى كان يعمل فيها فى بلده ، وهو لا يفقه كثيرا فى العمل الذى يمـارسه ، ومن المؤسف .. انه وجد من يصانعه ويؤيده على الخطأ ، لمجرد أن ينقل اليه الاخبار والدس .. وما يكيـد ، وكان خـائفا قلقا .. مساء اجتماع الجمعية العمومية للمطابع ، فهو قد كان عازما عل الاستقالة لو بقيت أنا فى مـركزى عضـوا منتدبا ، غيرانه فـرح حين علم بخروجى ، لان الذين لا يحسنون العمل .. ويمارسون الدس ، يسيئهم ان يكونوا مع قوى .. يكشف تصرفاتهم الخاطئة .

واصبح الاخ جميل مرزا مديرا عاما للدار ، فلعله كان يتطلع الى ذلك ، رغم انه فى غنى ، فهو ذو تجارة عريضة ، والمدير العام يحضر الى الادارة ويغيب لانه رجل مشغول بتجارته واعماله المختلفة الواسعة .

وقابلته بعد ستة أشهر .. فوجدته قد ضاق بـالعمل ، ربما لأنه لم يكن على النحو الذى يريد أو يتوقع ، لأن رئيس مجلس الادارة غير مدرك لهذا العمل . وقال لى المدير انه يريد اكمال عامه .. ثم يترك العمل ، لانه شغله عن عمله ، وانه لا يريد الاستمرار فعلمت بالحال ، لانى كنت أقضى الساعات الطوال .. ليـلا ونهارا فى الادارة والمطابع .. لمواجهة المسؤولية واعبائها . والعمل ليس بريقـا .. وان تحقق ، فهو نتيجة جهد واداء صحيح وصبر وعناء .

من المفارقات .. ان يكون المسؤول عن مؤسسة البلاد ، مشرفا على المطابع ، لان هذا الشيء .. وذاك شيء آخر . فمؤسسة البلاد .. من حق الدولة ان تضع فيها من تريد .. وان كان ذلك يخالف نظام المؤسسات الصحافيـة . اما المطابع ، فهى ذات شخصية نظاميـة مستقلة ، بسجلها التجارى وترخيصها الذى اصبح باسمها .. بعد ان كان باسم مؤسسة البلاد . وكذلك نظام الشـركة .. ومجلس ادارتها . حين جاء كتاب وزارة الاعلام . ينبىء بأن فلانا مشـرف على مـؤسسة البـلاد ودار البلاد ، قلت لرئيس مجلس الادارة يومئذ : أكتب رسـالة شخصية الى وزيـر الاعـلام .. لتصحيـح الوضـع ، ولكنـه لم يفعـل ، لان

الشجاعة غائبة . واثير الموضوع فى مجلس الادارة اكثر من مرة ، وقال الشجاع .. من الاعضاء : ان المطابع مستقلة عن المؤسسة .. وانها ليست تابعة لها ولا جزء منها وان المؤسسة تتعامل معها .. وشريك بنسب ٤٠٪ فقط ، وان المطبعة لها كيانها المستقل القانونى ، وفى آخر فترة مجلس الادارة ، أشير فى بعض المحاضر .. الى ان يتصل رئيس مجلس الادارة بوزارة الاعلام لتصحيح الموقف ، وان الاشراف .. على المطابع .. ينبغى ان يلغى ، لانها شركة .. تختار مجلس ادارتها من جمعيتها العمومية ، مثل اية شركة اخرى فى البلاد .. التى لا تتدخل فيها الدولة ولا انظمتها باختيار .. من يديرها ومن يشرف عليها ، ولعل الدولة حين قررت اختيار او الاستجابة لطلب التعيين ، لعل كان فى تقديرها .. ان المطابع تابعة للمؤسسة . أو هكذا يراد لها ، لتخف اعباء النفقات عن المؤسسات ولا يظهر فيها عجز مالى ، لكى لا تحرج الحكومة بمعونات .. تدعم الكيان الضعيف فى بعض المؤسسات المتداعية .

لقد ذهب وزير الاعلام .. الدكتور محمد عبده يمانى ، الذى بلغ هذا الامر .. ليكون نافذا دون ان يصحح الوضع ..

عرضت اسهمى للبيع .. فرغبها بعض الاعضاء ، وحين علموا اننى جاد فى البيع ، كان عرض الشراء بأقل ١٠٪ من قيمتها الاصلية ، واشار على بعض الصديق الا أبيع ، ولكنى كنت فى « قرف » ، أريد الخلاص ، فلا مكان لى .. فى تقديرى فى مكان لقيت منه العناء وسوء التقدير ..

نتيجة موقف منى جاد . والابتعاد هو الطريق الصحيح .. الذي ينبغى أن أسلكه . واخترت من أبيع له من بين الاعضاء الذين رغبوا فى الشراء ، منهم مؤسسة البلاد وغسان محمد ابراهيم مسعود ، وجميل مرزا واحمد آشى ، فبعت لجميل واحمد ، ومع ذلك اعترض بعضهم ، بأن البيع ينبغى ان يوافق عليه الشركاء .. وفق عقد الشركة ، ولكنني لم اهتم بهذا ، فأنا قد بعت ، وللشركاء .. اتخاذ ما يرونه من قرار بالرفض او الموافقة ، فأنا أريد الخلاص .. وان كانت قيمة اسهمى أقل مما دفعت فيها وقت شرائها ، والكيان .. لم يخسر حتى تنخفض القيمة عن معدلها ، غير أن الموقف منى فى البيع .. ادى الى هذا الوكس فى القيمة ، وقد رضيت بها ، لان بقائى فيه اكراه بغيض الى النفس .. وثقيل عليها ، فهو ممض مكروه فى كل زمان ومكان . والحياة الكريمة .. ينبغى ان تكون فى الاباء والعزة والشمم ، اما الاستكانة والذل .. فانهما يقودان الى الاستهانة والخنى ، والحر .. يأبى الا المعالى مكانا له ومطلبا لا بديل له عنده ، واصحاب النفوس الكبار .. يتعبون اجسامهم فى سبيل الرفعة ، كما يقول ابو الطيب المتنبى . وبشار يقول :

اذا لم يساعدك الزمان فحارب
وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

وحين علمت ان الاسهم ستوزع وفق رغبة الشارين ، الغيت البيع الأول مادام غير نظامى واحتفظت بأسهمى لنفسى .

ο ο ο

حادث دهس

فى مساء يوم جمعة ، من شهر ربيع الاول عام ١٣٨٠هـ دفعنى القدر .. الى ان استقل سيارتى لأذهب الى مطبعة الاصفهانى ، حيث تطبع الرائد ، وما كنت أحفل بالراحة ، فالايام عندى كلها عمل ، خطر لى خاطر .. أن أرى بعض مواد الصحيفة ، وليس عندى ما يشغلنى فى المنزل ، فأخذت سيارتى .. وانطلقت الى المطبعة عن طريق مطار جدة القديم .. شارع الملك خالد ، حتى ملابسى .. كانت عبارة عن ثوب ورأس مكشوف . وفى شارع المطار .. وقع الحادث الاليم . شابان حضرميان .. كانا على دراجة نارية ، ليس فيها اضاءة خلفية « استوب » ، والاضاءة فى الشارع ضعيفة ، والنظر الله يعلم به . ففوجئت بسيارتى تدق الدراجة ، فتوقفت وتجمع الناس كالعادة ، وجاء المرور ، ونقل المصابان الى المستشفى ، اما انا .. فقد اخذت الى قسم الشرطة للتحقيق ، واخذت فورا الى المستشفى المركزى .. ليعرف اذا كنت ثملا .. ولأشم ، ولم يكن من ذلك شىء .. ولله الحمد ، وهو اجراء اساسى يتخذ فى الحال . وسمح لى الاتصال بأخى الاستاذ عبد العزيز

الرفاعى .. صاحب المواقف الكريمة دائما . اخبرته بما حدث ، ولا ادرى نتيجة ما كان من اثر الحادث على الرجلين ، واتصل اخى برئيس قسم الشرطة .. ليسأله اذا كان فى الامكان اطلاق سراحى بكفالته .. لأذهب الى منزلى ، وأن اعود فى اليوم التالى .. حين ينجلى الموقف ، ولكن رئيس القسم قال للاستاذ الرفاعى .. انه لا يمكن تخلية سبيلى .. فذلك من حق مدير الشرطة ، واتصل الصديق بمدير الشرطة « عبد الغنى عبد الهادى » ، ولكن الرجاء لم يجد . واتصل بى أخى مرة اخرى وسألنى اذا كنت احتاج الى شيء . فقلت ابلاغ اسرتى .. التى تنتظر عودتى ، والتى لا امل فيها الليلة ، ولا ادرى .. الى متى ستطول ، وكذلك فانى احتاج الى فراش استلقى عليه ، وانا اعلم .. انه لا سبيل الى النوم ، وكيف ينام .. من هو فى حالى وموقفى ، وما هو مجهول فى نتائج الحادث ؟ وذهب صديقى الوفى وأخى الى منزلى ، ولا أدرى .. ماذا قال لاسرتى ؟ لابد أنه صور الامر على انه يسير ، من واقع كياسة أخى وحرصه على عدم افجاع أهلى ، وجاء لى بفراش القيته فى حجرة من حجرات قسم الشرطة ، وقضيت ليلة .. طويلة ، مليئة بالقلق والتخوف ، الاضواء مشعلة ، وانا لا انام الا فى الظلام ، وكنت مستسلما لقدرى ولا خيار لى فيه ، وحركات الجنود السهارى .. تقرقع من احذيتهم وتحركاتهم واحاديثهم ، وانا فى حراسة متصلة ، فمن هو فى مثل موقفى .. قد تسول له نفسه ان يفلت ، ولكن ليس كل الناس .. تسول لهم انفسهم .. ان يرتكبوا هذا

الجرم . وانا حين وقع الحادث .. لم أحاول الهرب ، لانه جرم ، وانا فى موقف .. ينبغى فيه الصبر والاستسلام للامر الواقع . وفى اليوم التالى .. فاجأنى رئيس القسم ، بأن احد الرجلين اللذين كانا على الدراجة النارية .. التى صدمتها .. قد توفى ، كأنه أراد ازعاجى وتعميق الجرح فى نفسى وهز كيانى ، فاضطربت نفسى ، وسلمت امرى لخالقى ، ثم قرر .. ان انقل الى السجن العمومى .. حتى يبت فى امرى .. بالنسبة للحق الخاص للرجلين ، والثانى اصابته بسيطة ، والذى توفى .. هو الذى كان يركب فى الخلف ، لانه حين دق .. صدام السيارة مؤخرة الدراجة ، دق رأسه فى مقدمة السيارة .. فكان القضاء الذى لا مفر منه . ثم هناك الحق العام .. الذى هو للحكومة .. تحكم فيه بما تراه ، أو وفق لوائح محددة ، حسب حجم الحادث ونسبة الخطأ .. على أى من المشتركين فيه .

نقلت الى السجن العمومى .. الكائن فى محله الحالى ، غرب شارع الملك فهد ، وغرب الاسكان .. الى الشمال . وكان مدير السجن الاخ « جعفر حبشى » . ووضعت فى حجرة .. بها ثلاثة رجال وانا رابعهم ، قضاياهم مختلفة ، احدهم ضابط طيار .. وقع فى حادث مثل حادثى ، ولكن ليس فيه وفاة ، والآخران .. لكل منهما قضية معينة . ونقل الاخ جعفر احد الرجال الثلاثة .. وبقينا ثلاثة ، احدهم الضابط الطيار ، ورجل مسن وانا ، السجن يومئذ .. لم يكن على حاله اليوم .. المتطور النظيف ، ولكنه كان قذرا ، الذباب والناموس والبيارات طافحة ، والعنابر ملأى

بـالمجرمين ، واكثـرهم من غير السعـوديين ، مشـاكلهم كثيـرة ، فهم يثيرون الضـوضاء والصخب واقـلاقنـا ، واتعاب مدير السجن وجهازه المحدود . وكان مدير السجن صارما قويا ، فهو يعاقب المشاغبين .. والمثيرين للشغب والتعب ، بـالضرب والشـد فى « التخشيبـة » وبمختلف اساليب العنف .. وهو شىء اساسى ، ليحد من الفوضى التى يثيرها هؤلاء المجرمون .. الذين يعدون بالمئات .. فى كل عنبـر ، فقد كـان فى السجن يومئـذ ما يـزيـد عن الف وخمسمائة سجينا .

أخـذ اخوتى واصـدقائى يـزورونني ، وفى مقـدمتهم استاذنا .. محمود عارف .. وحمدان صدقة وعبد العزيز فرشوطى ومن اليهم . واخـذ اهلى يبعثـون الى كل يـوم « بمـطبقية » طعـام يحملها جمعـان ، او « حسن عبـد الحميد » الذى كان يعمل فى قسم التحرير بالجمارك ، وانا يومئذ مازلت موظفا فيها .

غير ان الموقف .. الذى هز كيانى وأرعد فرائسى ، يوم جاء الىّ طفلاى ليلى وعمرها يومئذ اربع سنوات ، ووديع وعمره عامان ونصف ، فرحت بلقائهما ، ولا ادرى .. ما هو تأثير بعـد ابيهما عنهمـا .. فهو امـامهما ، ولكنـه .. لا يستطيع ان يكون معهما فى البيت ، وانما هو محتجز ، انه بعيد قريب ، لا ادرى .. ما هو تفسير حالى عند نفسيهما الصغيرتين ، ولكن حين هم جمعان ان يعيدهما الى البيت ، صرخا وبكيا ، لأنهما لا يريدان فـراقى ، ولكن ان يبقيا معى .. أو أن أذهب معهمـا . هزنى هـذا الموقف وزلزل

نفسى ، وأضعف موقفى امامهما ، وكان حاضرا هذا الموقف « التراجيدى » .. الاستاذ الكبير محمود عارف ، وقبلت الطفلين .. وانا حزين ، وحاولت حبس دموعى .. لكنى لم استطع .. فقد غلبتنى عبرتى ، واعتصرت نفسى ، لأحول دون الدموع .. من الانهمار امام الطفلين البريئين . عدت الى الحجرة التى بها الزميلان فى السجن ، ذلك .. ان لقائى بطفلى .. كان فى ساحة السجن ، عدت مهموما حزينا .. كسيف النفس ، تمنيت لو خيرت الا ارى طفلى ، ولا أرى هذا الموقف الممض للنفس والمحزن .. أشد الحزن وأمره وأقساه على النفس ، ولكن المرء لا يملك من امره شيئا ، ولا يملك .. فى مثل هذا الموقف ان يتحكم فى مشاعره ، لان الموقف أقوى منه ، ولا يتحكم فى اطار النفس المهتز .. وكبح المشاعر المتدفقة الجياشة ، فيفلت الزمام منه ، لأن المقاومة اضعف .. من ان تحتمل المفاجأة .. غير المحسوبة فى لقاء الطفلين .. اللذين رأيتهما بعد اسبوع .. من دخول السجن . ولعل والدتهما قالت لهما إنى مسافر . كما نرى فى الافلام والمسلسلات ، وحين قال لى جمعان .. ان الطفلين يسألان عنى .. والأم .. تريد ان تعرف رأيى فى ذلك ، قدرت ان لقائى بهما .. قد لا يثير شيئا مما اتخوف منه ، وقلت ائتنى بهما ، وكان تقديرى خاطئا ، فلم أكن أتوقع .. أن يثير لقائى بهما الشجن الذى كان ، والموقف الصعب .. الذى رأيت ، ما أكثر ما تخطىء حسابات الناس وتقديراتهم للامور ، وما أكثر ما يتعلم الانسان كل يوم ، وما اكثر ما ينسى . ما أكثر المواقف الصعبة التى تصادف

الانسان ، ليس اختبارا منه ، ولكنه يساق إليها .. وتساق اليه ، شاء أم لم يشأ . فى الحياة الكبد ، لا شىء فيها غريب ، فالانسان .. ما أكثر ما يلقى اكثر مما يتوقع ، وهو يحتمل .. او لا يحتمل ما يحل به ويصيبه ، ولكنه لا يملك ان يغير شيئا .. مهما أوتى من قوة وارادة .. لانه ضعيف ، مهما زعم لنفسه أو لغيره .. انه قوى ، وأنه قادر على الاحتمال والصبر ، فاذا نزل به .. ما هو فوق طاقته ، انهار وضعف .. وجأر بالشكوى ، حين يحل به بلاء ، وليدرك .. ان قدرته الواهنة الكاذبة لا شىء ، امام القادر وعظمته ، الامر اذن تذكير للانسان بضعفه وهوانه ،، حتى لا يغتر ، وحتى يتراجع .. حين يصيبه شىء من مرض الكبرياء .. التى ليست له ، والكبرياء للخالق كمال .. وصفة من صفاته .. سبحانه وتعالى ، فهو المتكّبر، القادر ، الخلاق ، العزيز ، الجبار ، ذو الطول ، لا اله الا هو اليه المصير .

قضيت ليلى مسهدا ،، أتجالد امام رفيقى ، ولكنى احترق من الداخل ، ليس من أجل الحادث .. الذى قدر علىّ ، وان كان ازهاق نفس يحزن ويؤلم ، ولكن الخطأ .. مقدر على الانسان .. لانه ليس باختياره .. ولا خيار له فيه .

مكثت شهرا فى السجن ، وصديقى محمود عارف يسعى جادا لانهاء القضية .. مع ورثة المتوفى وبالنسبة للحق العام ، وبعد الشهر .. نقلت بتقرير طبى الى مستشفى الكندرة ، وكان مديره يومئذ .. الصديق الدكتور

« عارف قياسه » ، وكان وزير الصحة فى ذلك العهد .. الدكتور « حسن يوسف نصيف » . ومكثت فى المستشفى شهرا آخر . غير ان الحال فى المستشفى تختلف عنها فى السجن الكريه ، فقد رأيت ابنائى ووالدتهم .. اكثر من مرة ، فى مكان لائق ومناسب ، ومع ذلك ظل غذائى .. يصلنى من بيتى ، رغم ان طعام المستشفى لا بأس به ، وانا لست مريضا .. ولله الحمد .

اما بالنسبة للدية .. فقد ابرقت لجلالة الملك سعود ، ليتحمل عنى ذلك ، لأنى .. لا املك اربعين الف ريال .. الدية يومئذ ، وبعد متابعة وتوسيط ، أمر الملك بسداد الدية عنى لورثة المتوفى ، ووجدت بعض التصلب .. فى موضوع اطلاق سراحى مبكرا .

وقد وسع غيرى .. « ما لم يسعنى ، ذلك هو حظى ، لان « ظهرى » .. لم يكن قويا ، إذن لابد من مزيد العقاب .. وانا .. لا ادعو الى التساهل فى هذه الامور ، حتى لا يستهتر الناس بأرواح الآخرين ، ويشيع العبث .. الذى يؤدى الى الفوضى ، ولكن حين يكون الحادث ليس فيه استهتار .. بأى حال من الاحوال ، ينبغى ان يكون تقدير الموقف مقدما .. على التمسك بالاوامر ، ودقة التمسك باللوائح .

مهما يكن من شىء ، فقد كانت تجربتى مرة .. لازهاق روح ، ثم دخول السجن .. ضيفا فيه ، وليس زيارة عابرة لمن فيه .. من المسؤولين او المسجونين . والسجن قبر الاحياء .. كما قيل .

وبعد خروجى من السجن .. أقام لى صديقى الوفى ، الاستاذ احمد عبد الله الفاسى حفلة .. فى فندق « قصر الكندرة » ، دعا اليها الادباء والصحافيين وقائمقام جدة ، وقد القيت كلمات الادباء من المدعوين ، منهم الاستاذ « محمد حسين زيدان » والمحتفى ،، والاستاذ « عبد السلام الساسى » . كما حضر الحفل .. الاستاذ عبد الله عريف والاستاذ العطار وحسن قزاز الخ . ثم وقفت اشكر جلالة الملك سعود وأخى أحمد ، واحمد الله على السلامة . كما أقام لى صديقى الاستاذ احمد عبد الغفور عطار حفل تكريم مماثل فى جدة ، أظنه فى بيت اخوى « احمد ويوسف ناغى » . وشعرت بالسعادة .. لهذا التقدير الكبير والاهتمام والعناية بى . وهذه المواقف لا تنسى . ولا ينسى الجميل .. الا الردىء من الناس ، اما الانسان الاصيل .. فانه لا ينسى المعروف ، وانه ليذكر الفضل لذويه ويشيد .. بمن يحسن اليه ، ويصبح هذا الاحسان قيدا فى عنقه .. وصدق ابو الطيب المتنبى حين قال :

وقيدت نفسى فى هواك محبة
ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

اكتشفت .. فى الحفل التكريمى ، الذى اقامه لى صديقى الاستاذ الكبير احمد عطار ، ان صاحبى ليس خطيبا ، رغم انه كاتب مجيد ومتحدث بارع ، ويجيد الجدل المنطقى المفحم ، والخطابة موهبة ، فشوقى مثلا .. لا يلقى شعره ، على حين كان حافظ شاعرا مجلجلا . وعاشق

التـراث وعمقـه وعبقـه .. الاستـاذ : « محمـود محمـد شاكر » ، ليس رجلا منبريا فهو لا يحسن الخطابة ، ولا يتحدث للصحافة ولا الى الاذاعتين المرئية والمسموعـة ، واستاذنا محمود عارف .. احد هؤلاء الذين لم يتعـودوا اعتلاء المنابر .. ولم يتعود هذه المواجهة . على ايـة حال فهذا لا اعده نقصا ، وانما هو قدرة يحسنها .. من كان عنده استعداد فطرى .. وكانت له مرانة ، ويبعد عنها .. من لا يستطيع اداءها كما ينبغى . وأرى وأسمع شعراء مجيدين ، حتى اذا اخذوا فى انشـاد شعرهم ، سمعتهم وكأنهم يقطعـون صخرا من جبـل ، اداء سىء ،، والقاء اسوأ ، يفقد معه جمال الشعر ، معانى وموسيقى والفاظا . وتجد بعضهم شعراء .. والقاءهم أجمل ، وهم مع ذلك .. يحفـظون شعـرهم ، مثـل الاستـاذ « حسن عبـد الله القرشى » .

خرجت الى الحياة بعد توقف ،، أو شبه توقف ،، استمر شهـرين ، قـدرتهمـا بعشـرين سنـة . وعجبت .. للذين يرتكبون جـرائم و « جنحا » يـؤدى ذلك الى ايداعهم فى غيـاهب السجن . أين عقـول هـؤلاء ؟ وأين ادراكـاتهم واحاسيسهم ؟ هل السجن خيـر من الحريـة ،، التى لا يعرف قدرها .. الا من حرم منها ، والذى يرتكب مايجعله يفتقد اغلى شىء فى الحياة ، هو اذن ليس حريصا عليه ولا يقدر الحرية .. ولا يعبأ بها ، بل لا يعرف قيمتها الغالية .. الا الاحرار وحدهم .. هم الذين يقدرونها قدرها ،، وانما هى تؤخذ بالقياس الى البشر ، أما الخالق ، فهو سبحانه

واهب الحريات .. وخالق الناس احرارا ، كما قال .. ابن الخطاب رضى الله عنه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا » ؟

أخذت اؤدى عملى .. بمزيد من النشاط والحيوية ، وقد انمحى اثر السجن ،، وان كنت لا أنساه ، فما أكثر الصخب فيه من المجرمين ،؛ بياض النهار وشطرا من الليل ، وما اكثر المشاكل والهياج .. الذى يلجأ اليه السجناء ، غير ان حزم مدير السجن وعقابه .. يؤدب العتاة .. الذين جاءت بهم خطيئاتهم اليه ، فهم رهن الحكم أو محكومون ، وما عليهم الا ان يتحملوا عقاب اوزارهم ، ومن يحاول الشغب .. يلق جزاءه وعقابه الرادع . ومع ذلك .. فان الشغب باق .. يتجدد كل يوم ، ولا نعرف سبيلا الى الهدوء الا بعد العاشرة والنصف .. مساء ، فاذا اذن الصبح بالانبلاج ، عادت الحركة والهرج ، ولا سبيل الى النوم بعد طلوع الشمس .. الى جانب هجوم الذباب وانتشار الضوء فى الحجرة .. التى وسيلة التهوية الوحيدة فيها وغيرها « المراوح » ، وتنبعث الروائح الكريهة من البيارات المحيطة بالمبنى .. من تدفق المياه القذرة فيها . والسجن تجربة .. ليست اختيارية ، ولكن حين تقاد اليها بما قدر عليك .. وقدمت يداك ، تعرف هذ التجربة عن كثب ، فرق .. بين ان تعيشها وان تراها ، فالنار لا تحرق الا رجل واطيها .. كما قيل ، والذى يخرج من هذا القمقم ،، لا يفكر فى الرجوع اليه .. الا زائرا لمن عرف .. وفاء له ، والأيام صعبة ،، كان الانسان فيها .. يتسلى مع

هؤلاء الاخوة ،، الذين تعرف عليهم ، فربطتهم معرفة ، ورفعت بينهم الكلفة ، فأصبحوا اصدقاء ،، يشغلون وقتهم بالقراءة تارة ،، وبالنوم اخرى ، ويزور احدنا مدير السجن بعض الوقت ، لنيل « انفاس من الجراك » ،، الذى حرمت منه ، لانى سجين ، والسجن عقاب .. وليس ترفا ورفاهية . وكان الرجل كريما ،، وهو صديق ، تعارفنا فى المرور بجدة ، فقد كان مساعدا لمديره ،، الاخ عبد المنعم الباز على ما أذكر ، ثم ان صاحبى جعفر من البلد الطيب .. المدينة المنورة ، أفلا يكون .. كريما سخيا محبا ، يتعاطف مع امثالى .. ولو بكلمة طيبة ؟ وقد كان ذلك .. منه ومن الابن « أنور » الكاتب ، وهو من المدينة كذلك .

○ ○ ○

عود على بدء

(١)

حين أعود بالذاكرة .. الى صراعنا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ، لا أنسى ذلك اليوم الثقيل ، حين طلبت السفارة المصرية ، من « العمال الفنيين » .. فى المطابع ، ان يتركوها ،، ويذهبوا الى السفارة لترحلهم الى بلادهم ومن لم يستجب ، فسيلحقه الهوان والعقاب الصارم ، وهو احتجاج على ممارسة هؤلاء العاملين .. لعمل فيه شتم وانتقاد رئيسهم وبلادهم . وبين عشية وضحاها .. اصبحنا فى حال سيئة .. من غياب الفنيين المهرة عن مطابعنا . وليس فى البلد بديل ، لا من المواطنين .. ولا من جنسيات أخرى . لم يكن فى الحسبان .. أن يحدث ما حدث ، وأصحاب المطابع الى اليوم .. ليس لهم حسابات ولا تقديرات فى هذا الامر .

كان فى كل مطبعة .. بضعة افراد من « الحضارم » ومن ابنائنا .. من غامد وزهران مساعدين فى بعض الاعمال الفنية ، ونزل عليهم العبء ، وهم غير قادرين .. على النهوض به ، وليسوا معدين ولا مستعدين له ، وليسوا هم عددا .. يؤدى هذا العمل على نحو ما .

كان ما حدث مفاجأة لنا .. أصحاب الصحف واصحاب المطابع ، كنا معا فى المفاجأة . وسارع أصحاب المطابع .. الى لبنان والشام .. يجلبون ما يجدون من فنيين ، والعامل اللبنانى يومئذ غال الاجر . وجىء بما يمكن أن يسير العمل ، الى جانب عناصر اخرى فى الاقسام الفنية من اليونان ونحوها . والحق ان العامل المصرى جيد .. جيد فى ادائه وطاعته وتحمله .

مرت علينا ايام ثقال ، ندخل المطبعة بعد العصر ..فلا نخرج منها الا صباح اليوم التالى . ونحن حالنا أهون ، لانا صحيفة اسبوعية ، لكن الهم .. كان على أصحاب الصحف اليومية ، التى ادركها الهزال فى الاخراج والتأخير والاخطاء الكثيرة ، وتقلصت صفحاتها ، كانت تجربة مريرة تحملناها جميعا .. أصحاب المطابع واصحاب الصحف ، والذين يحتاطون للحياة وطوارئها .. تخف عليهم الصدمات .. حين يحل بهم ما يكرهون . اما الذين لا يأبهون لمفاجآت الايام .. ولا يحسبون لها أى حساب ، فانهم خليقون بما ينالهم .. لانهم غافلون ، ولأن ليس لهم حسابات .. الا فى المكسب وما يدفع الخسارة منهم ، اما ماعدا ذلك .. فشىء لا يخطر على بال الكثيرين .. ولا يفكرون فيه ، حتى اذا وقعت الواقعة .. استيقظوا من رقدتهم ، وافاقوا من غفلتهم وضربوا .. كفا بكف حسرة واسفا .. وخوفا على مكاسبهم .. وما قد تتعرض له من هذه الهزة .. التى حلت بهم وهم غافلون . غير ان اللبيب اللبيب .. يتعلم من اخطائه ولا يكررها ، كما يستفيد من

اخطاء الآخرين ، ذلك .. ان الحياة أكبر مدرسة يتعلم فيها الانسان العامل ، ويظل يخطىء ويتعلم حتى يموت ، ومن مساوىء الانسان انه ينسى ويغفل . والغافل .. من لا يستفيد من تجاربه وتجارب الآخرين ، ومن ينسى درسه .. وما يحل به .. فلا يأخذ الاهبة لمستقبل أيامه وحياته ، ولا يغنم الفرص التى تتاح له .. فيتجنب الوقوع فى الاخطاء مجددا ، لا قيمة لحياة انسان .. يجدد اخطاءه كل يوم ، وقد تزيد فى كل مرة عن سابقتها ، فلا يرعوى .. ولا يعتبر . والانسان الفطن يتعظ بغيره .. وبما يحل به بادراكه وزكانته ، والحرص الشديد .. قد يقود صاحبه الى مزيد من الاخطاء المركبة ، اذا كان انانيا .. لا يستشير ولا يسعفه عقله بتلمس .. ما يحميه ويجنبه الوقوع فى العمل الردىء .. أو الذى يفضى اليه .

من العجيب .. اننا حتى الآن ، رغم حدوث تلك المأساة ، ورغم مرور ما يزيد عن اثنين وعشرين خريفا ، فانا لم نستعد .. فى مطابعنا خاصة ما يؤهلنا .. الى الاستغناء عن العامل الفنى المستقدم ، ولا نحسب أى حساب لهزة جديدة .. تتكرر فيها المأساة عل نحو ما . وقد زاد عدد المطابع عن ذى قبل .. بخمسين ضعفا !. ولقد كتبت أكثر من مرة انبه الى هذه الحال .. وأحذر منها ، وأطالب مطابعنا الكبرى ان توفد فى كل عام .. بضعة افراد الى شركات المطابع التى تستورد منها آلات الطباعة ، ليتعلموا فيها ثم يعودون .. وقد تعلموا ليعملوا وفق عقود بينهم وبين المطابع التى اوفدتهم .. مدة خمس سنوات

« مثلا » ، ثم يكون التعامل .. وفق اتفاق مجدد . وكذلك الامر بالنسبة الى المعاهد المهنية ومراكز التدريب المهنى الكثيرة فى البلاد ، ينبغى ان تسهم بتركيز .. فى اعداد عمال فنيين مهرة فى شؤون الطباعة كلها ، لتكون دعما لمطابعنا من ابنائنا .. أو من الاجناس المقيمة فى البلاد اقامة دائمة ، اذا أحجم ابناؤنا .. عن الاستجابة لهذا العمل . ومن المتوقع .. ان تكون السنون القادمة فرصة للاهتمام بالقوى البشرية .. فى خطة التنمية ، ذلك ان جامعاتنا السبع .. تقذف فى كل عام بالمزيد .. من الشباب الذين يتلقون الدراسات النظرية .. حتى نوشك ان يكون عندنا تشبع من هؤلاء الخريجين ، واذا لم نتدارك امرنا من اليوم ، بل كان ينبغى .. ان نداركه من الامس فسوف يأتى يوم غير بعيد .. فنجد امامنا بطالة ، كما هى الحال فيمن حولنا من البلاد الاخرى . فنحن فى حاجة ملحة .. الى الحرفيين والفنيين المدربين .. تدريبا جيدا وعاليا ، لنخدم بلادنا ونهضتنا ومتطلباتها ، وليس للوطن سوى ابنائه .. ينهضون به ويعملون له ، ولا تقوم نهضة فى أى وطن .. الا بسواعد ابنائه ، فهم احق به .. وهو احق بهم . ان البناء مهمة صعبة .. وهو دور سواعد ابناء الوطن وحدهم ، فهل آن الاوان .. للاهتمام بهذا الجانب المهم ؟ أعتقد ذلك ! ان مصانعنا الكثيرة .. المنتشرة فى طول البلاد وعرضها .. لا يمكن ان تعتمد .. الاعتماد الكلى على الفنيين والخبراء الاجانب طوال حياتها ، فذلك خلل فى التركيبة الوطنية .. ينبغى اصلاحه وتداركه اليوم ، فى عصر التقانة والتطور ،

والكيـان الاقتصادى للصنـاعة .. اذا كـان مضطرا الى استيراد المواد الخام .. التى تقوم عليها الصناعة ، فان القـوى البشريـة .. التى تديـرها .. لا يمكن بحـال من الاحـوال الاعتمـاد طوال الوقت عـل الايـدى الفنيـة المستـوردة ، ذلك .. ان وضعا كهـذا يـؤدى الى العجـز واختـلال التـوازن .. فى منـافسـة السلع المستـوردة .. لارتفاع كلفة المنتج محليا ، والعامل الفنى المستقدم .. لابد ان يعود الى وطنه يوما ما ، وعملية الاستبـدال .. مكلفة وغير مربحة . أما الايدى الوطنية المدربة .. فهى العماد الاساسى والحقيقى .. الذى ينبغى ان يكون ، وان يعد قبل الشروع .. فى انشاء المصنع . هذا هو المنطق الحق .. فى حياة البناء والعمل الصحيح ، وماعداه .. فانه نـوع من المحاولة العرجـاء .. التى لا تؤدى الى النتـائج المـرجوة الناجحة .. فى كل زمان ومكـان . من الممكن .. الاعتماد بعض الوقت على الآخرين .. فى بداية النهضـة والعمل ، ولكن ليس طوال الوقت .. وعبر المسيرة الطويلة الجـادة البناءة . هذا ما .. ينبغى الاهتمام به والتفكير فيـه قبل فوات الاوان ، حتى لا تصبح مصانعنا ومشروعاتنا عالة .. على الآخرين ، هم الذين يديرونها .. وهم الخبراء فيها ، والاعتماد عليهم وحدهم ، حتى اذا تـركونـا .. أصبحنا عاجزين عن ادارة هـذه المصانـع والمنشآت الضخـام ، لانا .. لم نعتمدعلى انفسنا .. ولم نكونها ، ولم نهتم بها الاهتمـام .. الذى ينبغى ان يكون هـدفـا من الاهـداف المنجزة الجادة . فهل نحن نعمل ليومنا فقط .. ولا نعمل

للغد والمستقبل ؟ . وما جدوى هذه النظرة الضيقة المحدودة الاداء والهدف ؟ ليست المصانع والمطابع .. والمنشآت الزراعية ومختلف انتاجنا المحلى .. مسؤولية اصحابها وحدهم ، ولكنها كذلك .. مسؤولية الدولة التى تخطط وتبنى للكيان الكبير ، لينال حظه ،. من الرفعة والرقى والنهضة الواسعة ، وقد افاء الله عليه من الخير .. ما يؤهله لان يكون فى المستوى الذى ينهض به .. ويجعله فى مصاف الدول المتطورة ، فالدول النامية .. القادرة على بناء كيانها ، لا يمكن ان تبقى الى الابد نامية ، ولكنها .. وهى مهيئة .. لأن تأخذ حظها فى الحياة المتطورة ، ستصبح يوما ما .. غير بعيد قادرة على ان تمارس مهامها ونهضتها بثروتها .. وسواعد ابنائها ، حتى لا يفوتها الركب .. وتصبح فى مكانها لا تريم ، فلا تحقق شيئا .. من المكاسب والحياة الكريمة ، ولا تستفيد من فرص الثروة والتطور اللذين اتيحا لها ، ولكنه .. قعدت عن ان تستجيب لمطالب الحياة والوطن فى ظل السباق الحضارى والمدنية ، الانسان يتخلف .. اذا اتيح له انجاز وعمل .. ولكنه لم يفعل ولم يعمل ، ونحن المسلمين .. امرنا خالقنا ان نعمل ما استطعنا الى ذلك سبيلا .. والا نكون متواكلين ، وانما نتوكل ونعمل ، والله يعين .. من احسن عملا ويحاسب القاعدين .. القادرين . والاخلاص شىء اساسى فى العمل واتقانه ، والنية مطية .. كما يقال . والعمل عبادة ، بل انه مقدم عليها فى بعض الاحوال ، لان الانسان .. ينبغى ان يعمر الكون .. كما امره خالقه بجانب عبادته ، تلك هى

رسالة الحياة ومحصلتها .. التى تترتب عليها النتائج فى خاتمة المطاف .

فلماذا لا يعد خريجو الجامعات ليملأوا الوظائف التى يشغلها غير المواطن ؟ ذلك شىء .. ليس عسيرا ولا مستحيلا فالمواطن الذى يعد خبرة وتعليما فى الادارة واللغات .. ويسبق ذلك الاعداد النفسى ، يستطيع ان يكون اللبنة القوية .. القادرة على شغل المكان الذى يشغله غيره . انه دور الدولة فى دواوينها الرسمية ، وهو دور مكاتب العمل المنتشرة فى المدن ، تفتش اولا عن المؤسسات والشركات الخاصة ، لتعرف العاملين فيها .. من مواطنين وغير مواطنين ، تدرس طبيعة أعمال كل الفئات ، وحين تتجمع عندها المعلومات .. تعد دراسة دقيقة ، تتولى وزارة العمل مراجعتها .. ثم تعرض على مجلس الوزراء ، ليقرر فيما بعد .. شغل جميع الوظائف الادارية بمواطنين .. خلال فترة انتقالية محدودة الزمن .. لا تتجاوز خمس سنوات .. على ابعد مدى . تقوم الدولة خلالها .. باعداد نوعيات من الموظفين .. حسب طبيعة العمل فى هذه المؤسسات والشركات ، وكذلك الاعمال التى فى دواوينها الرسمية .. وذلك فى معهد الادارة ، يدرسون دورات .. بعد تخرجهم فى الجامعات ، وتكون هذه الدورات مكثفة وقوية .. فى كل التخصصات الادارية .. بما فى ذلك الاعداد النفسى .. لانه مهم ، ذلك ان المواطن عندنا .. يحتاج الى مرانة نفسية ، وان يحس .. ان العمل يتطلب صبرا واحتمالا فى المجاراة والمداراة والطاعة ، ليستطيع .. ان

يشغل من الاعمال الادارية .. ما يشغله غيره .. اذا أهل التأهيل الذى يؤدى الى ذلك بجانب كده وجده ، وان يكون الخلق الحسن .. سمة الذين يعملون ويحتكون بالناس ، وان يتحلوا بالصدق والاخلاص ، والا فلا مجال لهم فى الحياة الكريمة ، وسيبقون .. فى أدوار ثانوية .. اذا هم لم يحملوا انفسهم .. تبعة ومسؤولية أنفسهم ووطنهم .. الذى له كل الحقوق عليهم .. والواجبات . كما لهم كل الحقوق عليه اذا احسنوا العمل . اذن المسألة : اخذ وعطاء ، فلا يكون اخذ بغير عطاء ، ولا عطاء بدون اخذ ، الحياة والعمل مقايضة ، كما تدين تدان .

هذه مسائل اساسية ، ينبغى ان تكون هدفا ومنطلقا .. واسلوب حياة وممارسة بصدق . وانا ارى .. ان تجد هذه الدروس المهمة طريقها الى الطالب والطالبة فى المدارس .. مع بدء حياتهم الدراسية ، لنغرس فى نفوسهم حب الوطن والعمل له .. والتضحية فى سبيله ، والتفانى فى الاخلاص والحب له ، ليكون اثيرا عندهم ، والا يكون مفهوما هامشيا فى اذهانهم ووعاء يحتويهم .. لا قيمة له ولا حق . اننا مفرطون اشد التفريط .. الى حد الاتهام ، لانا مقصرون فى غرس الانتماء فى نفوس ابنائنا .. الى وطنهم . ومن المحزن .. ان الوطن لا يمثل شيئا فى نفوس ابنائنا ، لا يحسون به .. ولا يذكرونه على السنتهم ، لانه مجهول عندهم .. وان كانو فى وسطه وعلى ارضه وتحت سمائه ، أهذه حال تسر ، من يقول لى ذلك برب السماء ؟ لا أدرى .. لماذا نحن مقصرون فى ذات انفسنا واوطاننا ؟ ومن

المسـؤول عن هـذا التقصيـر ، منـاهجنـا ومعـدوهـا ، والمسؤولون عن التعليم والمدرس بعد ذلك ؟ تهمة كبرى .. نتحمل وزرها امام الله وامام الاجيال الحاضرة والقادمة . امر .. لا يكلفنا شيئا ، ولكنا اهملناه .. ولم نعن به .. لا من قريب ولا من بعيد ، بل لعلنا لم نفكر فيه .. حتى مجـرد تفكير .. ليكون قاعدة ، ننطلق من خلالها الى اصلاح ما فسد .. واستدراك ما فات .. وعلاج الخلل .. الذى تسببنا فيه سنين طويلة .

من العجيب ان غيرنا من الاوروبيين .. يغـرسـون فى نفوس ابنائهم اللدنة حب الوطن والالتصاق به .. الى حد التقـديس ، ليكون جـزءا .. ليس من تفكيرهم ، بـل من لحمهم ودمهم واعصابهم ومعتقدهم ، يمـوتون دونـه .. ويدفعون عنه غوائل الدهر ، ويفدونه بالغالى والنفيس ، هو كل شيء عندهم ، لانـه حياتهم .. وامنهم وامـانهم ، هو عـزمهم وبصرهم وصحتهم ، هـو نصـرهم ، وهـو رمـز مقـدس . هو الحيـاة التى يتنفسـون من خـلاله ، وهـو الحرية .. التى تجعل منهم اناسا صالحين للحياة والتطور والرفعـة والرقى . ويعلمـونهم كـذلك عـلى نفس المنحى النظام .. فيعشقونه ، والوطن هو نفوسهم ، والنظام حياة وعشق ومبدأ ، فهم اشبه بآلة فى الانتظام ، والوطن .. روح بالنسبة لهم . كما يغرسـون فيهم حب القراءة ، فتنشـأ الاجيال قارئة .. محبة للقراءة ، ممارسة لها فى حب عميق . بناء عجيب .. مدروس ، لا يكلف كثيرا ، ولكنه يعطى المزيد من الحصاد والاثمار . ولكن عالمنا العربى كله .. الذى يقلد

الغرب .. ويأخذ عنه كل شيء ، يأخذ القشور والتوافه والخنى ، ويترك المثل .. وما ينفع الناس ، فهو اذن تقليد أعمى ، ما قيمة ان ننفق .. ثم لا يكون لهذا الانفاق مردود يجدى ويغنى ؟ . ما أكثر .. الذين يضيعون جهودهم وأموالهم ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، لكنهم بعيد .. فيما يعملون عن العمل الذى يراد به وجه الله .. فى صدق ونية خالصة ، « يؤتى اكله يوم حصاده » ، يكون له ثمر وينع ، بل انه مثل من ينفق فى سبيل الله ، يؤدى الى ان الحبة تنبت سبع سنابل .. فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . العمل الصالح .. يزكى ويعم خيره .. ويصل الى القلوب ، ويتعمق النفوس .. ويؤثر فيها ويصلحها ، ويحقق اهدافه .. ونموه وازدهاره ، وهو باق دنيا وآخرة . والله سبحانه وتعالى .. يرى اعمال الناس ويجزيهم عليها . ونحن مكلفون ان نحسن العمل . ليس المهم الكثرة ، ولكن الله يبارك فى القليل .. الذى يراد به وجهه ، وهو خير من الكثير .. الذى يشبه السراب ، أو رماد اشتدت به ريح فى يوم عاصف . نسأل الله .. ان يوفقنا لما يحب ويرضى ، وان يوفقنا للعمل الذى يرضيه .. ويرضى به عنا ، انه هو البر الرحيم .

فى خلال معركتنا مع عبد الناصر الاعلامية ، اتيح لى زيارة ليبيا وقد رأيت ما يؤذى ، فالصحف المصرية .. التى تنتقد بلادى وتحمل علينا وتشتمنا ، تعلق على ابواب « المركز الثقافى المصرى » .. فى طرابلس وفى بنغازى ، ولكن صحفنا .. لا يهتم به هذا الاهتمام من قبل سفارتنا فى ليبيا

ولا يراها المواطن الليبى ، وكان ينبغى ان يكون ، لرد باطل الاعلام المصرى وغوغائيته وتهريجه ، وهو حق لنا كما كان حقا للسفارة المصرية هناك تمارسه ، فلا تعترض عليها الحكومة الليبية التى يسوءها هذا التجنى ، ولكن ليبيا .. تخشى عبد الناصر وتتقى لسانه وهجومه على الملوك ورؤساء الدول العربية .

حين رأيت الصحافة المصرية .. تعلق على واجهة المركز الثقافى وصحفنا مهملة فى دهاليز .. السفارة ومكاتب موظفيها ، قلت للدكتور « مدحت شيخ الارض » سفيرنا يومئذ فى ليبيا : لماذا لا تعلقون صحفنا التى ندافع فيها عن أنفسنا ونرد الكيد بمثله ، ونفند فيه اباطيل المبطلين ، لماذا لا تعلقونها مثل المركز الثقافى المصرى فلم اجد منه استجابة ولا حماسة كأن الأمر لا يعنيه ، وكأنه .. كان يؤثر العافية ويتجنب .. هذا الصراع الصورى ، ولكن واجبه كممثل لحكومة وشعب ، ان يصنع ما صنع الآخرون ،، جزاء وفاقا ، والسيئة جزاؤها .. سيئة مثلها ، ولكن الدكتور .. شيخ الارض لا يريد المشاركة ولا حتى الدفاع ، وهو من حقه ان يفعل ، وليبيا لا تعارض لو ان السفارة صنعت ما صنعت مصر . والانكار .. ليس باللسان وانما بالعمل اذا كان متاحا وكان فى مقدور الانسان ، والا اصبح مثل « نقص القادرين على التمام » كما يقول المتنبى .

غاظنى هذا الموقف .. السلبى من سفيرنا ، وكرهت هذا منه ،. فكتبت رسالة الى وزير الاعلام ، ولكنى .. لم ابعث

بها من طرابلس ، فقد خشيت ان تفتح فى البريد ، خشيت من فتح رسالتى ، فبعثت بها من « روما » وكنت فى طريقى اليها ، وجئت بعد مدة الى ليبيا ، وحين قابلت الدكتور مدحت ، قال : تعال « أبوسك » مع أنك شكوتنى الى الحكومة وهو يبتسم ابتسامة متكلفة . قلت اننى اغار على وطنى ، وكان ينبغى ان تكون انت اكثر غيرة منى ، ولكنك لم تفعل ، فعملت ما رأيته حقا . لم يغضب الرجل .. ولم يتجهم ، ولو صنع ما كان يعنينى فى شىء لأنى لم ارتكب خطأ ، ومن يصنع ما صنعت يشكر او يصمت عنه .. على الاقل ، ان لم يرضهم ما حدث ، وهل دفع الباطل .. زراية ونكر ؟ وسفارتنا تضيع جهودنا .. حين تحجب آراءنا عن غيرنا الذين يتاح لهم .. ان يقرؤوا الرأى المناقض ، ولابد ان يطلعوا على وجهة النظر الاخرى ، ودفع الظلم والباطل والاعتداء .. نحن الكاتبين واصحاب الصحف .. فى مقدمة الجبهة ، فلماذا لا يؤدى .. الذين فى المؤخرة شيئا من واجبهم اليسير الهين ؟ اقول فى نفسى .. ما اكثر الذين يقاتلون لتصحيح الافهام ، وما اكثر ما يتعرضون للاذى .. فى سبيل ممارستهم فى ركاب البحث عن المتاعب ولايجدون التقدير ، وهم اشبه ما يكونون بخبز الشعير .. مأكول ومذموم ومع ذلك قد لا يجدون النصير من الناس فى الدفاع عن الكيان الذى هو ملك المجموع ، كأن اصحاب الرأى موكلون بالهموم ، يقفون فى وجهها ويدفعونها .. ويقاتلون ، فهم جنود فى الجبهة .. طوال حياتهم ، لأنهم نذروا انفسهم للدفاع عن الحق والذود عن الوطن ، لان

الذين يقاتَلون ـ بفتح التاء ـ اذن الله لهم بأن يقاتلوا ، وان الله على نصرهم لقدير ، ذلك .. انهم ظلموا . والدفاع حق قد يكون فرض عين كما هو فرض كفاية ، اذن .. فأصحاب الرأى يمتشقون سلاحهم طوال اعمارهم حتى الموت ، لا يتقاعدون .. ولا يستريحون ، فالقلم لا يعرف الاجازة ولا التقاعد ، وانما هو يبدأ ليتوقف مرة واحدة ، هى نهاية المطاف ، وهو جهاد .. يختلف من انسان الى آخر ، على قدر الجهد والعزم .. والصدق والالتزام والوفاء بالعهد . نجد قوما .. فى مسار واحد ولكنهم مختلفون فى مشاربهم واهدافهم ومهماتهم ، النية والاخلاص والصدق ، هى المحك والمقياس ، ذلك .. ان الله سبحانه وتعالى كما يقول الحديث الشريف ، لا ينظر الى صورنا .. ولا الى اجسامنا ولكن ينظر الى قلوبنا « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » . نسألك اصلاح قلوبنا وحمايتها من الفساد والرياء ، وادفع عنا بفضلك .. الخيلاء والغرور والادعاء .. وسوء المنظر ، واحسن منقلبنا فى الامور كلها . اجعل اعمالنا .. كبيرها وصغيرها خالصة لوجهك الكريم ، واعزنا بعزك .. فى الدنيا والآخرة ، انك نعم المولى ونعم النصير .

العمل فى الصحافة .. يتيح للانسان معارف وعلاقات كثيرة مع الناس ، اذا كان مستعدا .. ان يمد جسورا بينه وبين الناس ، وقد تكون على قدر ، اذا كان لا يتطلع الى هذه العلاقات ، وانا اعرف .. ان تبعة التعارف إذا كان لايستطيع لا تنقصها المتاعب للانسان والإشغال . وقد

تكون على حساب العمل . وبعض الناس .. يستثمر العلاقات والعمل فى الصحافة للوصول الى مصالح ومنافع .. وما يجلب الخير ويحقق اهدافا ، لان هذه الفرص .. لا تدوم ولا تتكرر وتتاح كل يوم ، وهى تتيح للانسان .. ان يجوب الارض ، وان يرى ارض الله الواسعة ، ويحظى بالدعوات ، ويحاول عبر هذه العلاقات .. ان ينال التقدير والترحال ، ليرى ويكتب عما يشهد ويسمع ، ومادامت الحياة فرصا .. فلماذا تفوت علينا ونخسرها .. ثم نندم ، لانا لم نهتم ولم نعبأ بها .. حين كانت فى ايدينا ؟ ان شيئا من هذا نراه اليوم ونسمع عنه وقد يهبط بصاحبه الى حد الاستجداء ، والظهور .. بمظهر المنتفع الهزيل .

عرفتنا الصحافة على قلة من الناس ، لانى .. لم اكن لاحفل بالمناسبات التى تقام هنا وهناك ، وما كنت لأسعى اليها وانما افد بعض زملائى .. او لا يذهب احد منا ، ونكتفى بنشر خبر ، ونأخذ صورة من الحفل نفسه لننشرها ، فلم يكن عندنا مصور يومئذ لان راتبه مكلف ، وصحيفتى .. ادبية ليست سياسية ولا اخبارية ، على اننا كنا نعنى بعض الوقت بالصورة « الكاريكاتير » ، حين نجد من يرسمها ، ولكنها نادرة .

الناس يعرفوننى من خلال الرائد والاضواء ، ثم عرفونى من مقالاتى ، وانا اسعد حين ارى أى انسان فى داخل بلادنا أو خارجها فيقول : انت فلان ، اقول : نعم ، واعرف اسم من يقابلنى وسرعان ما أنساه . وكم

يسعدنى .. حين يقابلنى أخ فى اى مكان ناء .. فيتعرف علىّ ، ويقول : انه قرأ لى من خلال مقالاتى .. ايام الاضواء او الرائد وعدد عكاظ الاسبوعى ثم مجلة اقرأ . ان شهرة الانسان تسبقه ، ولاسيما الانسان .. الذى يؤثر برأى .. فى غيره ويمتد به الوقت ، واذا اختفى قد ينسى ، لان ذاكرة الانسان تزدحم بالاسماء ، ولكنه يتذكر .. حين يكون له دور ومواقف ، فان ذلك ينحفر فى ذاكرة الانسان .. لاسيما المنصف والمتبع ، والذى يهتم بالرأى وصاحبه .. ويقدر الصدق الذى يحسه ويلمسه فيما يقرأ ، ولا يخفى على القارىء أى كاتب ، فالقارىء ذكى جدا ، يفرق ويدرك من يتعامل معهم ، ويعرف مكان كل كاتب ، ويستطيع الحكم عليه .. مما قرأ له ويذكر متى كتب وماذا قال ، وفى موقف ما .. قال كذا ، احتفظ برأيه او تحول عنه ، أله موقف ؟ ولا يحفل القارىء .. بمن ليس له موقف . إنه يعرفه ولكنه لا يعنى به كثيرا ، يعرف أين يقف ، ويعرف كذلك اتجاهاته ، والاهداف .. التى يرمى اليها من كتاباته . بعضنا يظن .. ان ذاكرة القارىء تنسى ، ونرى خطأ ان القارىء لا يميز ، وان الكاتب يستطيع ـ ان يضحك عليه ـ ويلعب ادواره ويمارس تقلباته كيف شاء ، وان القارىء وعاء يتلقى ما يصل اليه ، ويلعب بعواطفه واحاسيسه ومشاعره ، مرة يمنة .. واخرى يسرة ، والذى يقدر هذا انسان غبى وجاهل ، لانه لا يعرف القارىء وذكاءه .. وقدرته على الادراك ، فالقارىء جواهرجى ، من النظرة العابرة .. يميز بين المجوهرات واقيامها ، والنفيس

من المغشوش ، لا يحتاج ان يعاير ويفحص ويختبر فى المختبر ، وانما بالفطرة والمرانة ، وهو غير محتاج الى اجهزة الاختبار ، لانه لا يحتاج اليها ، فهو فى غنى عنها ، فمعارفه تغنيه عنها ، لانه خبير بالفطرة والممارسة ، وبوعيه وذكائه .. وقوة ملاحظاته ، التى وهبت له . كذلك الحال بالقياس الى القارىء وما يصل الى بصره وبصيرته ، ومما يكتبه الكاتبون . ولذلك .. نجد قراء لكاتبين مخصوصين ، يتابعون ما يكتبون ، واذا غابوا فتشوا عنهم وبحثوا .. وسألوا ، لايعنيهم كثيرون ، ليس لهم تأثير فى نفوسهم ، وانما هم وقتيون ، لا يكادون يظهرون .. حتى يختفوا ، وان بقيت اسماؤهم .. تكتب بخط كبير بارز وصورة احدهم تتصدر ما يكتب كل يوم او كل اسبوع . القيمة .. ليست بالكثرة والمركز فى الصحيفة او المجلة ، وانما هى بمدى التأثير عند المتلقى ولا يكون التأثير .. الا نتيجة اداء جيد للمعالجة ، تعبيرا وربطا واحاطة واسعة وجمال اسلوب وشجاعة عرض ، وكذلك الصدق .. الذى ينبغى ان يصحب كل شىء ، والكتابة رسالة كريمة ، والغش يفسدها ، ويسقط قيمة صاحبها .. فى عين القارىء ، والذى لا يحترم نفسه لا يحترمه الناس .. ولا يعبأون له ، ولا وزن له عندهم ولا قيمة .

لذلك .. حين اجد اخا فى اية بقعة من الارض يحتفى بى ويتعرف علىّ ويقول : انه قرأ لى اويحدد ما قرأ وفق ما يهمه .. اذا كان قارئا محدود الاهتمامات ، اشكره واسعد ايما سعادة بما اسمع ، واعتبر هذا التقدير والاحتفاء

أوسمة وتعويضا عن العمر الذى ذهب بعد أن سرقته الكلمة .. فى الصحافة . إن الانسان يعمل ويجرى ولا يحسب الايام ولا قوة الشباب فلا يغنم شيئا ، حتى اذا انصرم العمر .. افاق فجأة ليرى : أين هو ؟ كم مضى من العمر ؟ ماذا كسب وماذا خسر ؟ . ليست المادة .. كل شىء عند النابهين .. الموقنين بمهام رسالة الحياة والاصلاح انهم لا يحفلون كثيرا بالجانب المادى .. الا ما يسد حاجتهم الضرورية . وانما يهتمون بالمكاسب المعنوية .. ورصيد الانسان من القيم ونجحه فى خدمة قضايا الناس أو قضايا الفكر والعلم ، حسب قدرته ودوره .. وما يستطيع ، هذا فى تصورى .. هو الباقى ، وماعداه « وسخ » يزول بالغسيل كما يذهب التعب بشىء من راحة .. تنسيه ذلك التعب .

لقد تأثرت كثيرا حين قرأت قبل سنين كتابا « كان ابى معلما ».. لعبد التواب يوسف صدر عن دار المعارف بمصر ، .. حين كان الابن يحاور اباه ، ماذا ربح من مهنة التعليم ؟ فرد الاب الواثق .. فيمن لا يضيع اجر المحسنين ، رد بأنه ليس عطارا ولا بقالا ولكنه صاحب رسالة(٢٥) .

كذلك الكاتب الصادق ، فانه صاحب رسالة ، وفى الصدق كل المثل ، لاسيما الامانة .. ومقولة الحق

---

(٢٥) انظر صفحة «٣٢٦» من كتابى فى معترك الحياة ، صدر عن النادى الادبى الثقافى بجدة عام ١٤٠٣هـ .

والارتفاع عن الصغائر . ومهما طال الطريق وامتد السير بالانسان الصادق .. مع ربه ونفسه وقومه ، فانه واصل باذن الله . ولا يعدم من يناصره .. اذا تناوشته سهام الجاحدين ، ذلك ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ومن هذا الدفاع .. انه سبحانه يقيض من يناصر الحق ، فللحق انصار اقوياء .. فى كل زمان ومكان ، اما الباطل فهو زاهق ، ولاصحابه الويل .. مما يدسون ويكيدون ويعمهون ، والنجاة فى الصدق .. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان الصادق .. يسير ويعمل فى رابعة النهار .. وفى نور خالقه .

فى ايام الرائد ، كان الشيخ « حسن بن عبد الله آل الشيخ » .. وزيرا للمعارف ، وكان قد الغى « امتحان الدور الثانى » .. فى مدارسنا ، واخذت اكتب عن ذلك وعن بعض المناهج . ولم اتلق أى رد .. أو تعليقات على ما كنت اكتب ، وأنا حين يكون الصمت هو الرد فى تقديرى اعود لما كتبت .. فأمارس القسوة فى اسلوبى . ومضت الايام ، وانا من طبعى .. الا اسعى الا فى شأن من شؤون عملى الصحافى ، وهو شىء نادر جدا عندى ، ولا أذهب الى الاحتفالات والمقابلات .. التى يعنى بها بعض الناس لذلك فأنا بعيد عن الاضواء الا من خلال ما يخط قلمى .. أو لأداء واجب .

التقيت بمعالى الشيخ حسن .. بعد انتهاء الرائد ، فى مكتب سفيرنا يومئذ فى ليبيا الشيخ « عبد المحسن الزيد » . وكان الوزير قد جاء الى ليبيا مشاركا فى مؤتمر

وزراء التــربيــة والتعليم ، وانــا اعــمــل فى السفــارة « متعاقدا » .. كمــا أشرت آنفــا فى هذا الكتــاب . واخذ الاستاذ حسن .. يعاتبنى عتابا هينا ، لانه رجل .. يتميز بأدب النفس وأدب الدرس ، ورغم مرور سنين فقد كان الشيخ حسن يختزن فى ذاكرته الفاظا وجملا .. يبدو انها اثرت فى نفسه وانا قد نسيتها ، فــ « اختلاف النهار والليل ينسى » .. كما يقول « احمد شوقى » . وقال الوزير : انه كان فى مقدوره ان يشكونى للدولة ويؤثر فى وفى صحيفتى !! وان زملاءه فى الوزارة .. دفعوه الى ذلك ، ولكنه كان يرى ان اغلاق صحيفة مثل اغلاق مدرسة ، لذلك فلم يفعل . واكبرت الرجل لموقفه وصدقه ، وقدرت له .. انه صبر وآثر الحسنى ، وقلت لمعاليه : إنى كنت اهدف الى الاصلاح ، وليس لى غرض .. ولا فى نفسى مرض والحمد لله ، وقلت له : حين كتبت يومئذ لم يكن عندى ابناء فى المــدارس ظلموا فانعكس ذلك فى نفسى ، وبالتالى .. احمل على وزارة المعارف كرد فعل ، ولم يكن عندى مؤلفات مدرسية .. رفضت وزارة المعــارف شراءهــا منى ، فأثــر ذلك فى نفسى ، وأدى الى مهاجمة الوزارة . ولم يكن عندى عقار .. لم استطع تأجيره على الوزارة .. لأتشفى منها . لم يكن شيء من ذلك ، وهذا فى تقديرى .. دافع لبعض النفوس ان تنتقم وتشط فيما تكتب وتعامل من واقع الحرص على المكاسب والمصالح ، وقلت لصاحبى : اذا ابعدنا هذه الامور .. التى تمارسها بعض النفوس فتخلق منها قضايا .. فيها حق أو باطل ، فانك يا سيدى تجد .. ان كتاباتى كان هدفها الاصلاح ،

فقال : لماذا لم تكتب الىّ بآرائك ؟ قلت انا صاحب رأى وصحيفة ، ثم لماذا لا يتنازل اصحاب المعالى .. للرد على ما يكتب ؟ اذا كان خطأ .. فيصحح ، واذا كان حقا ، فلتكن الشجاعة منطق الحوار ، ويؤخذ بالرأى .. الذى يلقى لمصلحة المجموع . فطابت نفس الرجل كثيرا .. وقدرته ، وصرت ازوره ، انه اثير عندى ، وهو من القلائل فى الرجال الذين كسبوا قلوب الناس وحبهم وتقديرهم ، وهذا هو الباقى .. فى موازين الرجال . وكان الاستاذ « عبد الوهاب عبد الواسع » ، وكيل وزارة المعارف يومئذ يقول لصديقى الشاعر المحب .. الاستاذ « يحيي توفيق حسن » : ان فلانا - يعنينى - شوانا بكتاباته ، وأنا لا أقصد الشىء لذاته ولكنى كاتب .. أتلمس الحق والصدق فيما أكتب ، وليس لى هدف آخر ، والله هو العليم بالسرائر والخفايا ، فهو وحده سبحانه .. الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، وهو جل وعلا .. الذى يحاسب على العمل خيره وشره ، صحيحه وزائفه ، لا يضيع عنده شىء .

○ ○ ○

مقابلاتى الصحافية

إن مقابلاتى الصحـافية .. التى كنت اؤديهـا بنفسى كانت محدودة جدا ايام ممـارساتى فى الرائـد ، وهى فى الدائرة المحلية وحدها .. فيمـا اراه مهما ، ويستحق ان اعنى بـه من الموضـوعات التى اراهـا جديـرة بـالبحث والحوار ، وماعدا ذلك .. فان الكتابة المتصلة الاسبوعية تغنينى عن المقابلات والاحاديث .. وتكلف المقابلات ، التى يمارسها بعض الناس .. فى مقابلة المسؤولين تصل الى حد الحرج ، وانا انفر .. من هذه الاسـاليب ، لانها لا تتفق ومزاجى ونفسى .

فى ايام عكاظ الاسبوعية ، كـان من المقرر .. مقـابلة بعض رؤساء دول شمال افريقية ، تونس والجزائر . وتمت مقـابلة الرئيس « الحبيب بـورقيبـة » ، ولم تتم مقـابلة الرئيس الجـزائـرى « هـوارى بـومـدين » ، وذهبت الى تونس .. بعد اتصالات .. عن طريق السفارة التونسية فى جدة ، مع الصديق .. الاستاذ « موسى الرويسى » سفير تونس فى بلادى .. وعميـد السلك السياسى ، لانـه مكث سفيرا لبلاده اربع عشرة سنة ، وكان رجلا كريما لطيفا

شأن اخواننا التوانسة ، طلب الىّ أن أسافر وان اتصل بوزير الاعلام التونسى ، وكان يومئذ .. الاستاذ « مصطفى المصمودى » . ذهبت الى هناك فى آخر رمضان من عام ١٣٩٤هـ ، واتصلت بوزارة الاعلام وحددت المكان الذى اقيم فيه ، وقيل لى انهم سيكونون على اتصال بى الى ان يحدد موعد اللقاء بالرئيس بورقيبة ، وفى ثالث ايام عيد الفطر .. ذهب موكب الرئيس الى « بنزرت » فى شمال البلاد على البحر الابيض ، وهى مدينة جميلة . وزيارة الرئيس كانت للاحتفال بيوم بنزرت المجاهدة التى وقفت فى وجه المستعمر المحتل .. ببسالة وصبر حتى قيض الله للشعب التونسى النصر ، وخرج المحتل ، وزال ظله البغيض عن الارض العربية ، ولذلك .. تحتفل تونس بهذا اليوم المشهود .. لانه يوم النصر . ودعيت لأشهد هذا اليوم ، ورأيت الرئيس بورقيبة عن كثب بعد ان عرفت جهاده مما قرأت من سيرته ، وما لاقى من عنت المستعمر المتعجرف وصلفه ، فقد حارب بورقيبة وحورب ونفى وسجن .. فى سبيل تحرير بلاده . وكان رجلا شجاعا قويا ذا ارادة وتصميم على الجهاد .. الى النصر ، والتف حوله رجال فكانوا رفاق السلاح ، يواجهون الموت والموت رخيص فى سبيل عزة الوطن ورفعته وتحرره من الغاصبين ، حتى قيض الله النصر لتونس وتوج المنتصرين أكاليل الغار .. بجلاء المستعمر وذهاب ريحه ، واصبحت تونس منذ عام ١٩٥٦ دولة مستقلة ، وجنى المجاهدون ثمار جهادهم الذى كان .. ضحايا ودماء ، رخصت النفوس ليبقى

الوطن .. حرا ابيا مرفوع الهامة ، يفاخر بأبنائه .. الذين ماتوا فى سبيله . وتولى من بقى منهم دفة الحكم وسدة السلطة .. ليعيش الوطن حياة جديدة .. فى ظلال الحرية وارف الظلال ، ينعم بالاستقرار والامن والحياة الكريمة .

عدت من بنزرت ومكثت فى فندق « افريقيا » وبعد يومين .. حدد لى اللقاء فى اليوم التالى ، على ان اكون فى وزارة الاعلام .. لاذهب من هناك الى قصر « قرطاج » ، حيث سكنى الرئيس وهو قصر جميل قليل التكاليف ، ولكنه ذو طابع اسلامى ، طابعه البياض ، وتحوط به الحدائق ، وجمال الطبيعة يضفى جمالا على الاشياء .. التى يكون للذوق فيها لمسات وتوشية وتنسيق . ليس بالمال يكون كل شىء ، ولكن الذوق يجعل من الاشياء البسيطة جمالا وروعة وجاذبية .

كانت اسئلتى كثيرة ، اكثرها سياسى ، ولكن وزير الاعلام .. اختصرها الى ثلاثة واصررت على اربعة ، لانه اقل شىء يقدم ليغطى مشوارى .. من جدة الى تونس . وكان رئيس الديوان .. فى ذلك الوقت الاستاذ « الشاذلى القليبى » ، امين عام جامعة الدول العربية اليوم . دخلت صالة القصر ورأيت رئيس الديوان فى مكتبه ، وهو رجل مثقف واع ، تولى وزارة الثقافة .. بعض الوقت ، والاستاذ الشاذلى .. رجل مهذب متواضع حى . وبعد دقائق .. كنت امام الرئيس الحبيب بورقيبة وجها لوجه ، فقام من مكتبه ساعيا الىّ يقابلنى بالاحضان والترحاب ففرحت بهذه المقابلة الكريمة ، وبعد الترحاب .. بدأت القى بأسئلتى

عليه ، كان يتحدث بطلاقة وشجاعة ، والرئيس بورقيبة .. فى طليعة رؤساء العرب شجاعة واجهارا بالرأى الشجاع ، إنه رجل صقلته الايام وبالجهاد والفقر علمته الحياة معنى الحياة ، علمه الكفاح والصبر والاحتمال .. وتقدير العمل ، وان البناء هو الحياة والحكم .. ليس سلطة فقط ولكنه هموم المسؤولية والاضطلاع بها وتلمس حاجة الامة ومعايشتها وتلمس احاسيسها ومشاعرها وتخفيف أعباء الحياة عن كاهلها ، ودفع همومها واتراحها والمشاركة فى افراحها وسعادتها .

اكملت مقابلتى التى اخذت ثلاثة ارباع الساعة ، وغادرت القصر مع وزير الاعلام الى الفندق ، وفى المساء .. ظهرت صورتى فى التلفاز مع الرئيس بورقيبة ، وفى اليوم التالى جاءتنى اتصالات هاتفية .. من مسؤولين فى الحزب الدستورى التونسى ومن بعض المسؤولين ، يرحبون بى .. ويدعوننى الى ضيافتهم بترحابهم وحفاوتهم ، وبعضهم جاء لزيارتى فى الفندق . وقبل مقابلة الرئيس .. لم يكن يعرفنى سوى وزير الاعلام وبعض موظفيه . وقديما قالوا : من جاور السعداء .. سعد .

واتيح لى ايام عكاظ .. ان احضر احتفالا فى مسقط « عاصمة عمان » ذكرى تولى السلطان « قابوس بن سعيد ».. زمام امور البلاد . وشاركت فى حضور مهرجان .. مرور عشر سنوات على استقلال ليبيا فى عام ١٩٦١م . غير ان زلزالا مدمرا .. قطع بهجة الحفل ، الزلزال كان فى مدينة « المرج » شرق مدينة بنغازى « بمائة

كم » . وذكرى الاستقلال .. تـأتى فى كل سنـة يوم ٢٤ ديسمبر . اى فى قلب الشتاء .

لابد اذن .. من الذهاب الى المـرج . كان فى بنغـازى صديقى الكريم الاخ الاستـاذ « يحيى توفيق » .. مـدير شركة الحاج عبد الله على رضا ، الذى كان يشغل مـدير فرع الشركة فى بنغازى ، وكان فى طرابلس .. بعض رجال آل رضا ، كان فى فترة من الفترات الشيخ على عبـد الله رضا ، ثم تولى الاخ يحيى الشركة فى طرابلس واستغنى عن فرع بنغازى . وكان فى جامعـة بنغازى الاخ الحبيب المـرحوم « يـاسين صالح صـلاح » نجم النادى الاهـلى الرياضى بجدة ، الحارس اللامع الماهر ، الشاب اللطيف ، يرحمه الله .

زرت اخى يحي .. وقلت له : اريـد ان ارى المرج ، واخى يعرف هذه المناطق واهلها ، لانه كان يبيـع عليهم « حراثات » وحصادات ، ويذهب الى البادية ويجلس اليهم ويسمـع منهم ، ويعيش معهم خـواطرهم .. فى « الجبـل الاخضر » الجميل .. على البحر الابيض ، عرف النـاس هنـاك ، واكبر الظن .. انـه اعجب بأخـلاقهم وصدقهم وشجاعتهم وكرمهم وذكائهم والمعيتهم وسرعـة البديهـة فيهم .

رحب أخى بمصـاحبتى الى المرج واقتـرح ان يكـون ياسين معنا ، وعند صديقى يحيى سيارة فورد فـارهة ، وطريق الجبل رائع جميل .. لانه اخضر ، وجو الشتاء .. رغم انه بارد الا انه ممتع وجذاب .. فالارض نضرة تشد

الناظرين ، فالاخضرار بهجة النفس ترتاح اليه وتحتفى به ، فهو سلوى ومتاع ، وحسبك انه جمال .

ذهبنا الى المرج ، المطر يهطل بغزارة ، وهى عامل فى زيادة آلام الهزة الارضية ، فالبيوت مبنية من حجارة وطين ، والمطر يهطل الطين ، فأنهار البناء . وبلدة المرج اسم على مسمى ، لانها خضراء ، تنبت الحبوب بكثرة وكذلك العسل والعنب والتين والرمان واللوز .. والحمص والفول وغير ذلك من نعم الله التى لا تحصى .

وصلنا الى مقهى نصفها مهدم والنصف الآخر « يريد ان ينقض » ، وقلت لاخوى .. دعونا ندخل لاخذ فنجان قهوة ، فقالا لى معا : ادخل انت .. اما نحن فدعنا ههنا فلا نريد ان نموت ، ألا ترى حال السقف والتصدع ؟ قلت دعونى من الخوف ، وابقيا .. حيث شئتما ، اما انا فانى داخل .. لأحضر لكما ولنفسى القهوة ، ودلفت الى داخل المقهى ، الارض وحل .. ماء وطين ، فوجدت « القهوجى » ، ملتفا من البرد ، يستعين بالنار ليتدفى ، وخارج المقهى بعض الرجال . غادين ورائحين ، طلبت منه ثلاثة فناجين قهوة ، وأخذت اسأله عن الزلزال ونتائجه ، فأخذ يحدثنى عما حدث ،، مما اضطر الجيش الانجليزى الى التدخل للانقاذ ، اخذت القهوة منه .. وخرجت الى زميلىّ فشربناها ثم قلت لهما نريد ان ندخل الشوارع .. لاصور الانهيار ، وكانت الحال صعبة ، مطر وطين وهدميات وخراب ، وحال كلها كرب . ومشى يحيى فى حذر حتى اذا جاء قريبا من الخطر قال : نحن سنبقى هنا

واذهب انت صور ما شئت ، واذا عدت تجدنا هنا فى انتظارك ، وتعمقت بين الانقاض ، لم اتهيب ما أردت ، ذلك أن الخوف .. بينى وبينه عداء ، مكثت زهاء الساعة ، ولابد ان اخوى .. قد ظنا اننى اصبحت فى خبر كان ، ويحيى يعرف اننى رجل مغامر ، لا أخشى الكروب واهوالها ، عدت اليهما وفرحا بعودتى واسرع يحيى عائدا .. الى بنغازى . وكتبت تحقيقا صحافيا .. من واقع الكارثة . واعطانى يحيى وياسين رسالة للامير عبد الله الفيصل حملتها معى فى عودتى الى جدة ، وما كان فى نيتى .. ان اشير الى حذر زميلىّ ولم اسمه خوفا وهو احتياط واجب ، غير ان الصديقين .. قالا للامير : اذا قال لك فلان اننا غير شجعان واننا نخاف .. فلا تصدق . والامير عبد الله لا يكتم مثل هذه الامور ، فقد جابهنى فى اليوم التالى .. بما قال صديقاى . وقصصت عليه الحكاية . وعجبت لهذا الاتهام .. وانا لم يكن فى بالى ان اتهم صديقى بشىء ، فهما حريصان على حياتهما وانا كذلك .. لا القى بها الى التهلكة ، ولا محل لأن اقول فيهما .. مالا يرضيهما . كتبت حكايتى معهما بصدق وبعثت بالجريدة اليهما .. وتولى الاستاذ يحيى الدفاع .. عن نفسه وصديقه ، فكتب .. فى جريدة البلاد موضوعا يرد فيه على ما كتبت .. واخذتنى الحماسة وكتبت ردا على الرد ، ولكنى كنت رفيقا بالصديقين ، فالامر .. لا يتجاوز مزاحا ودعبا ، ولهما على فضل المصاحبة ، وليحيى حملى ، وهو ذو افضال على كثير .. لا يسره .. ان ابديها ، لانه رجل كريم ، والكبير ..

لا يحب الجهر بما يصنع من معروف ، وانا مدين له بجانب ذلك .. بالكثير من النصح الذى يهدف به الى خيرى وسعادتى ، لانه يدرك .. اننى اغامر فى بعض المواقف واتحمس ، بل واندفع .. فى بعض المواقف الى ما قد اندم عليه فيما بعد ، و ـ قاتل الله العجلة ـ . وتبا للغضب .. الذى يدفع الى المكاره وما قد يؤدى الى الاعتذار بعد ذلك . وقديما قالت العرب : « اياك ومايعتذر منه » . انا مدين اذن لاخى الاستاذ يحي توفيق بالكثير من الفضل فهو رجل ندرة فى الوفاء ، ففيه حب الوفاء ووفاء الحب ، كما يقول الاستاذ محمد حسين زيدان .

ويذكر لى يحي مرة ، انه بعث الى بمحاولة شعرية .. حين كان مسؤولا .. عن مكتب الحاج عبد الله على رضا فى المنطقة الشرقية فرددنا عليه فى بريد القراء .. بأن يحاول مرة اخرى وان يقرأ المزيد .. من الشعر الجيد ، فقد يكون شاعرا ، وقد كان ، ومازال يذكر ذلك الرد .. الذى لم يتوقعه . وليس سرا ان اقول .. اننى قرأت لأخى يحيى فى عام ١٣٦٨هـ فى جريدة البلاد السعودية « قصة » وانا يومئذ .. لم احاول بعد ان اكتب شيئا ، فمازلت اقرأ على استاذى محمود عارف نظرات المنفلوطى ، ولا احسن شيئا من التعبير ، وانا اسن من يحي ، ولكنه سبقنى الى القراءة والظهور ، وهو صاحب الانشودة .. التى بلغت الشرق والغرب والشمال والجنوب « سمراء » .. التى غنتها المطربة اللبنانية « هيام يونس » .. قبل اكثر من عشرين سنة ، فكانت رائعة وكان صاحبها رائعا ، ولقد

كنت حركته بالحاج .. ان يكتب لعدد عكاظ الاسبوعى ، فكتب مرات متقطعة بعنوان : « تطور » ، فكان راكزا وجيدا وجادا ، ولا أقول موضوعيا ، لان الموضوعية .. جزء من نفسه وكيانه واسلوب حياته ومنهاجه ، فهو يكتب بعقله وادراكه ووعيه وحسه ، وسمعت منه قصائد جيادا ، يعزف .. عن نشرها ولكنه مع ذلك يشارك .. فى بعض المناسبات بانشاد قصيدة يكتبها للمناسبة ، وربما بدر منه تهيب فى البداية ولكنه شجاع ، لان فى نفسه ثقة .. لما يصنع ولما يقول . وهو يأتى بالجيد من الشعر ، لانه يكتبه عن تأثر لانه يعنى بالمواقف ، هو عاطفى وهو غيور وحساس ، لذلك تجيش نفسه .. حين يرى موقفا ، يكون معه او يكون ضده ، فيندفع ينسج الشعر بدافع غريزى وحماسى ، فتجده .. قد ادى وظيفة الشعر فى هذه المواقف ، واستطاع ان يعبر بصدق ، وهو من الصادقين فى عمله وتعامله ، مع نفسه واخوته واصدقائه . واحمد الله .. لان الحديث عن زلزال ليبيا قادنى الى الحديث عن صديق غال كريم ، ما كان لى .. ان اتحدث عنه بدون مناسبة .

وأخى يحي لا يحب اطراء ، وأنا لم اتحدث الا من خلال معرفة وعلاقة حميمة ، ولم اعط الرجل حقه من الثناء ، لأنه يؤثر البعد .. عن الأضواء دائما ، ولذلك فلن ازعجه واتحدث عن معروفه .. وما يصنع من خير يريد به

---

(٢٦) صدر له فى رمضان ١٤٠٥هـ ديوان شعر بعنوان « أودية الضياع » .

وجه ربه . أما ما يصنع مع احبته ولداته وضيفه فى كل مساء « أربعاء » .. فى داره العامرة ، فحدث عن البحر ولا حرج كما يقولون ، فهو ملء السمع والبصر ، يحتفى بضيفه ويكرمهم ويتبسط معهم ، ويتفقدهم .. اذا غابوا ، ويسعد بهم اذا حضروا ، ويعودهم اذا مرضوا ، ويقف معهم .. اذا انتابهم مكروه . ذلك انه محب وانه يؤثرهم على نفسه ، ولى معه تجارب .. لا أريد ان اجعل منها موضوعا ، لان يحيى لا يحب ذلك ، احسن الله اليه واثابه .. على سماحة نفسه وحبه للناس ، وعلى معروفه .. وسخاء نفسه وبره لاخوته الذين احبوه ، لان من يجد الاحسان قيدا تقيدا ، كما قال الشاعر .

كانت لى رحلة الى « بيروت » .. بدعوة من « جنرال ماتورز » للسيارات عن طريق وكالة مكة للاعلان لمدة يومين . ايام عكاظ الاسبوعية .

ورحلة فى « المسيرة الخضراء » التى نظمتها حكومة المغرب .. الى الصحراء نحو « طرفاية » واعد لها المغرب اعدادا اعلاميا كبيرا من مختلف انحاء العالم ، ليريهم موقفه ازاء قطعة من ارضه ، والحرب القائمة بينه وبين البوليزاريو » الذين يطالبون بالاستقلال بهذه القطعة من الصحراء ، وعجبت .. كيف يتقاتل مسلمون على حفنة تراب .. فى ارض قاحلة ؟ وحدث ما شئت عن « حرب العراق وايران » .. عن امتار من ارض ، انه الفساد فى الارض وجنون العظمة والغرور والغطرسة ، وغياب

العقل .. والحكمة ، ويبقي صوت المدفع والدبابة والطائرة والتدمير ، انه لامر عجاب !

والرحلة الاخيرة كانت الى نيس .. بفرنسا .. بدعوة من « الروس رويز » فقد كان معرضها فى مناخ اختيرت له فرنسا للاستفادة من الجو الملائم ، وركبنا السيارة الفاخرة .. التى قيمتها يومذاك ، ربع مليون ريال ، .. وقد تذهب فى « شربة ماء » كما يقال ، نتيجة سوء سلوك قيادة السيارة عندنا او فى كثير من بلاد العروبة ، لاسيما حين لا يكون لهذه السيارة الغالية « جراج » يحفظها من عبث العابثين ، الذين لا يبالون بحقوق الآخرين ، ولا يحترسون فى الحاق الاذى بها ، ثم يمضون وكأنهم غير مسؤولين عما كان .. وما اكتسبت ايديهم . انه غياب الاخلاق والضمير ، تجعل من يسىء .. لا يبالى ، ولكن اذا حل به مثل ما صنع .. اتراه يبارك ما كان ، فلا يجزع ولا يفزع ولا يهتم ؟ لا اعتقد لان الانانية .. هى التى تصنع هذه المتناقضات ، والجهل عدو صاحبه .. وعدو المجتمع فى كل عصر وفى كل زمان ، وهى سمة تخلف مقيت .. ومرض عضال ، ينخر فى جسد الامة العربية ، ولا برء منه .. حتى تعى الحق اخذا وعطاء ، وحتى تصحح سلوكها الهابط ، وحتى تتعلم من قيمها ودينها القويم ، لتكون قدوة .. فى اخلاقها ومثلها فى حياتها كلها .

○ ○ ○

فى تونس

فى شهر ابريل من عام ١٩٧٦م وكنت قد تزوجت للمرة الثانية .. فى نهاية شهر مارس ، اتفقت وزوجى .. ان نقضى بعض الايام .. فى تونس ، لاسيما وان هناك اقارب للسيدة قرينتى تريد ان تراهم ، وهى لا تعرفهم .. وانما تسمع عنهم سمعا . اخذنا تأشيرة من السفارة التونسية بجدة ومضينا الى تونس ، قضينا فيها أياما جميلة ، لاسيما فى مدينة الحمامات .. المصيف الجميل . ثم رأينا زيارة شقيقتى وزوجها اللذين يقيمون فى جنيف .. ثم نعود الى تونس بعد ايام خمسة لنرجع منها الى جدة .. وكنت حريصا ألا أقع فى حرج .. مع السلطات التونسية فى جوازات المطار ، لكن مرورى بعاصمة سويسرا .. كان يوم احد ، فلا فرصة لأخذ تأشيرة جديدة لدخول تونس بها ، وتأشيرة جدة .. لم تكن لعدة سفرات .. غير انى قدرت ان الامر هين ، فتونس بلد سياحى .. وعلاقة بلادى بها ممتازة ، فنحن اكثر من اخوة .

عدت وزوجى الى تونس .. على الخطوط الجوية السويسرية ، واخذت طريقى الى الجوازات فى مدخل

المطار ، وكان الفرنسيون والسويسريون والالمان .. يدخلون ببطاقات شخصية ، هى جواز سفرهم ، وجاء دورى وزوجى فقدمت جوازينا ، وبعد فحصها قال لى موظف الجوازات : ليس عندك تأشيرة لدخول تونس ، فقلت : اننى كنت عندكم قبل خمسة ايام وامامك ختم الجوازات فى الخروج وكذلك الدخول الاول وانا قادم من جدة .

وقال لى الرجل بلطف : انتظروا على تلك المقاعد .. وانتظرنا وحدنا ، اما الباقون قد اجتازوا محطة الدخول الرسمية ، وكان الوقت ظهيرة ، وانتظرنا .. وامتد انتظارنا ساعتين ونصفا تقريبا ، وضقنا بهذا الانتظار الثقيل ، بل اسفنا على هذه العودة .. التى جاءنا فيها هذا الكرب ورد الفعل المزعج . ثم طلبنا وقيل لنا انه قد سمح لكم بدخول تونس ونأسف على التأخير ، فاذهبوا واحضروا « طابعين بجنيهين » لاعطائكم جوازيكم ، فقد نفدت « الدمغة » عندهم . والذهاب لوسط المدينة والعودة منه مشقة ، لاسيما بعد ذلك الانتظار الثقيل .. الذى لا داعى له ، ومضينا الى منزل اقرباء حرمى فبتنا عندهم ، ولو كان الذهاب الى فندق ما ، ما كنا لنقبل بدون « هوية » ، لانا مجهولو الهوية . وفى اليوم الثانى .. عدنا بالطوابع واخذنا جوازينا ، والموقف يثير فى نفسى الاشمئزاز ، فكتبت خلال اقامتى فى تونس التى .. لم تتجاوز ستة ايام مقالا صارخا ، تحدثت فيه عن هذا الموقف والانتظار على ابواب مطار قرطاج ، انتظارا لاذن الدخول .. الذى حصله

الفرنسى والسويسرى والالمانى .. ولم يتح لنا الا بعد استئذان ، وقد لا يتاح لنا الدخول ، فالامر قد يخضع لمزاج مدير الجوازات ، فيقول : ليعودوا من حيث أتوا او الى بلادهم . ومن لطف الله .. اننى طوال حياتى لم اكتب فى جواز سفرى .. اننى صحافى ، وانما اسم وظيفتى « كاتب » ، وهى كلمة واسعة المدلول ، فقد تكون .. كاتبا فى ادارة او مؤسسة او ممارسا للكتابة الادبية .

وحين عدت الى جدة .. نشرت مقالى العنيف ، واتصل بى صديقى الاستاذ موسى الرويسى .. فى اليوم الثانى ليعاتبنى عتابا رقيقا وقال لى : اننى رأيت صورتى فى مقالك فقلت ان فلانا .. يرحب بى ، لانى كنت مسافرا ، واذا بك تهاجم بلادى وتنتقدها قلت : اننى صورت ما حدث ، ولو كنت مكانى ماذا تصنع ؟ ثم ما قيمة العلاقات الاخوية الجيدة .. اذا كانت لا تسمح لمواطن مثلى ان يدخل تونس ، البلد السياحى الذى يدخله كل سائح ؟ حاول الاستاذ الرويسى .. ان يبرر ما حدث بأنه مقابلة بالمثل مع دول اوروبا ومعنا ، وقلت : اننا لا نقاس عليهم ، فوضع بلدنا يختلف ، وكذلك .. فالدخول الى بلادنا بغير تأشيرة فى وضع مطلق لا يمكن ان يحدث ، وربما كان عبر تعاون مماثل .. بين دول منطقة واحدة كما يجرى الآن درس وبحث هذا الامر مع دول التعاون فى خليجنا .

وبعد حوار مع صديقى الرويسى احس فيه بغضبى ، واننى مستعد ان اجدد الكتابة فى هذا الموضوع .. فى مجلة اقرأ لانه مؤلم ومزعج ، ودعنى على امل ان يكتب الى

حكومته ، وان تكتب سفارتنا فى تونس .. لمعالجة هذه القضية . وكم كنت سعيدا حين علمت بعد شهرين من نشر ذلك المقال الصاخب . وان اسمع .. ان تونس الغت التأشيرة عن المواطن السعودى . وحمدت ربى لتوفيقه ، وفرحت بهذا التسهيل ، وشكرت لتونس ودها وديمقراطيتها .. وتقبلها للنقد ، وتذليل هذه الحال الصعب علينا ، فنحن نحب تونس .. بلدا وشعبا ، وهذا الحب ينبغى ان يكون له مقابل ، وقد كان ، فان المواطن السعودى يتملك فى تونس وغير مطالب بأن يسجل فى الجوازات بعد وصوله البلاد ولا الحصول على اقامة .. ولا ما يتعلق بنفقته ، وكم يحمل من المال معه .. او كم يصله كدخل يعيش منه .

اقرر .. ان هذه حال تذكر فتشكر ، وهى جديرة بالمزيد من الاشادة . لانها خطوة واعية .. وتقدير كبير لبلدنا ولنا ، نحن خليقون بأن نكون موضع هذه الثقة وان نكون اوفياء لهذا الجميل ، وشعب تونس .. شعب شقيق ، حبيب الى نفوسنا وقلوبنا لانه شعب وديع طيب ، لا نتعب ولا يتعب فى التعامل بيننا وبينه وقد اكدت الايام ذلك ، وتونس بلد جميل .. عبر فصول السنة الاربعة ، والحياة هناك رائعة ووادعة ، وسهل الانسجام مع هذا الشعب ، والحياة معه .. ليست مكلفة ولا متعبة . ان تونس جميلة واهلها قوم كرام لطاف ، مجاملون ومحبون حين يألفون ، ومن السهل ان يألفهم المرء سريعا ، فهم ليسوا منعزلين ، ولكنه شعب مرح غير مغلق .. وغير معقد ولا حاقد .

وشعب هذه خصاله من السهل ايلافه ، ونحن كشعب .. قادرون على التأقلم والتآلف مع كل الشعوب أو أكثرها ، لان الاختلاط بها .. وسع مداركنا وعرفنا بهم ، فأصبحت عندنا خبرة ومرانة . ومراد الانسان .. ان يريح ويستريح مع من يتعامل ، اعنى الانسان الطبيعى السوى ، وهذا لا يقابل مصاعب فى اختلاطه ومعايشته .. لأى شعب على وجه الأرض ، من معطيات الخلق والصدق والنزاهة ولين الجانب ، ومبدأ : دع ما يريبك الى ما لا يريبك .. وخالق الناس بخلق حسن .

○ ○ ○

النقد الأدبى

سألنى .. أخى وصديقى ، الناقد المبدع الاستاذ سعيد السريحى : ما الذى صرفنى عن النقد الادبى ؟

ان هذا السؤال .. ينبهنى الى شىء بعد عن تفكيرى منذ زمن ، ذلك .. ان الكتابة الصحافية سرقتنى وصرفتنى عن متابعة مسيرة النقد ، والنهج .. الذى اخذت فيه منذ السبعينات الهجرية ، فكان منه الثمرات المبكرة .. بكتابى « امواج واثباج » ، ثم دخلت معركة الصحافة منذ عام ١٣٧٦هـ .. فى صحيفة الاضواء ، فظهر على كتاباتى .. طابع الكتابات السريعة ، على حين ان الادب يرفض السرعة ، ذلك انه محتاج الى الاناة والريث . والسرعة تضر بالادب فتؤدى الى ادب هزيل ضعيف ، ورؤيته محدودة ضيقة ، والاداء فيه غير جيد .. وغير عميق ، فيكون ادبا سطحيا مهزوزا ، قاصرا .. قريب الغور .

والعمل فى الصحافة لا يتيح لصاحبه التفرغ للتأمل والاناة ، ثم ان الصحافى الجاد .. يفتش عن متطلبات الحياة .. ومطالب الناس ، ليقدم اليهما ما يريدان ، ليكون لصحيفته الرواج والنجاح . وانا قد ادركت ذلك .. منذ ان

عملت فى الصحافة مسؤولا ومشاركا ثم صاحب صحيفة ومسؤولا مرة اخرى عن عدد اسبوعى ، فحولت قلمى من ناقد ادبى .. الى كاتب قضاياالجتماعية ، فذلك ادعى .. فى تقديرى من الانصراف الى النقد الادبى ، الذى يتطلب التفرغ وطول التأمل والخلوة للقراءة الجادة الطويلة ، ليكون بعد ذلك العطاء .. من متابعة الحركة الادبية والنقدية خاصة ، وهذا لا يتاح لانسان يعمل مسؤولا فى صحيفة سيارة ، مسؤول .. عن نجاحها وفشلها ، وحريص على نجحها ، لانه نجح له .

سرقتنى الصحافة اذن .. وسرقت منى الزمن حين شغلتنى والتهمت وقتى كله ، افكر فيها .. وما سأقدمه لقرائى من جديد .. يتطلعون اليه منى ، والا انصرفوا عن كتاباتى وصحيفتى . وقدرت .. انه فى قدرة المرء شراء كتاب ادبى لعلم من أعلام ادبنا بريالات .. ليستمتع به ، فليس اذن هو محتاج الى ان اقدم اليه مقالة ادبية نقدية لكتاب او ديوان شعر ، فكتب النقد كثيرة ، وانما هو يرد منى غير ذلك ، يريد اهتماماتى بقضاياه اليومية التى لا يجدها فى الكتب .. التى تعج بها المكتبات . من اجل ذلك .. انصرفت الى تناول القضايا الاجتماعية . ولا اعدو الحق .. اذا قلت فى ثقة اننى استطعت ان اكون فى المقدمة .. بهذا التناول المركز الجاد ، الذى يشد القارىء واهتماماته فى تناول قوى .. يصل الى الداء ويصف الدواء .

ولقد عاب على بعض الفارغين بان ما اقدمه لا يساوى شيئا ولكنهم هم الذين لا يساوون شيئا ، لانهم بعيدون عن

الاحساس والتقدير ولانهم يرون انفسهم « فوق » وما اتناوله دون ، وهم فوق الدون ، كأن قضايا الناس لا تستحق ان يعنى بها كاتب .. وانما ما يكتبون من سخف وهوس هو ما يستحق ان يشاد به وان يكون فى المقدمة ، لانه .. ما لم تأت به الاوائل .

ومرة اخرى .. يلغطون بجهلهم ان ما اكتب يخصنى شخصيا ، وينسون حين اتناول قضية ما .. وان كان يخصنى طرف منها ، فان لى شركاء فيها ، يألمون لما يجدون من تقصير ونقص ، ويبحثون عمن يلامس شكواهم ، حتى يأتى الانفراج وتحل الازمة .

ذلك .. هو المهم عند الذين يقدرون الحياة ويدركون متاعبها واحنها وهمومها وحال المحتاج والمطحون فيها . اما الفوقية الجوفاء فلا يعبأ لها ، وليست بذات خطر فى موازين العقلاء ذوى البصيرة ، وان تظاهر هؤلاء بما هو اكبر منهم مما يتمسحون به ، ليجعل منهم قيمة ، والقيمة ليست مظاهر وشيكات وارصدة ، ولكنها معنى يجدها الانسان من الآخرين ، لتعمق فى قرارة نفسه ويرضى فى تواضع عنها ، لانه قدم لها بصدق وانسانية .. ما هو مطلوب منه ، ولم يدع ولم يتعال على الناس ولم يشمخ بأنفه ، ظنا منه انه من الذين يحسنون صنعا ، وانما هو مركب النقص .. الذى يحاول المكابرون .. ان يتظاهروا بمعطيات العنجهية ، ليعوضوا النقص فى نفوسهم وسخف عقولهم وبلادة الحس عندهم ، وليقول عنهم من لا يعرفهم : إنهم ذوو شأن وخطر .. فى اصلاح وتغيير مصير

الانسانية ، والى اسعادها ورفاهيتها .. واثـراء معارفهـا وعقولها ، بما يقدمونه الى البشرية .. من اكتشافات وعلوم وثقافة ، فيهـا الانفراج ورغـد العيش .. واطالة الاعمار والحياة مرتين او اكثر فى الدنيا . وانهم يقدمون كذلك سبل الترفيه .. مثل المهرجين وساسة السيرك فى العالم . مـا أغبى واجهل .. من يركب رأسه هذا الاعتقـاد الفارغ ، ذلك .. ان الفراغ النفسى والروحى هما الدافـع الى هذه الاوهام السرابية الخادعة التى سرعان ما تختفى .. ويبقى صاحبها حبيس الاوهام والتخيلات الهلامية ، من بـريق السراب .. الذى يحسبه الظمآن ماء .

رددت على اخى سعيد السـريحى وهو يسـألنى ، ان اشتغالى بالصحـافة .. بـاعد بينى وبين وظيفـة الناقـد الادبى ، ومرت السنون وفاتتنى المتابعة ، لأنى بعدت عن القراءة الجادة ، وحتى حين بعدت عن الصحافة .. جاء ما يشغلنى وهو عملى فى النادى الادبى .. فقد شغلنى وسرق وقتى وزمنى ، ثم ان الاشتغال بالنقد .. لا يدع للانسان صديقا ، وانما يكثر الاعداء من حوله . واذا تحول النقد الى مجاملات وتربيت على الاكتاف .. فانه يصبح مهـزلة كبرى ، وعبثا من العبث الكثير .. الذى نراه على الساحة الادبيـة ، الطافحـة بـالكثيـر من الهـراء والسـطحيـة والتراكمات ، يمارسها من لا يحسن الكتابة ، فضلا .. عن التصدر للنقد واعبائه ومسؤولية الناقد .. الذى يحتـرم نفسه ليحترمه الآخرون ، فالنقد ليس ملهاة .. يتسلى بها النـاس ، وانما هـو وعى وثقافـة وحس .. وعمق تـأمـل

وشفافية نفس وقدرة . هو علم جامع .. ومتـابعة متصلة للقديم والجديد .. وربط بينهما . وهو صدق فى النظرة . وعمق فى التناول ، ودقة فى الاداء ، وبعد فى الادراك ، وليس سطحية منداحة .. يتفيهق بها الجاهلون وقصيرو النظر ومحدودو البصيرة . النقد مهمة صعبة .. لا ينهض بهاالا اولو العزم والعلم ، القادرون .. على التصدى والثبات على المبدأ القويم ، من نفس صافية كالماء الزلال .. عبر مجرى من قوارير ذات شفافية عالية . لا يقدر جمالهـا الا ذوو البصيـرة .. قبل الإبصـار ، ومـا يعقله الا العـالمـون ، الذين .. تتوافر فيهم نعمة الحس وعندهم نعمة الإبصار ، وليس الذين .. تعلوا انـوفهم اطارات زجاجيـة معتمة ، فهؤلاء لا يبصرون ، وان كان لهم الف عين وعين ، ذلك .. انهم مثل الاعمى فى هذه الحياة ، وهم فى الأخرة اكثر عميا واضـل سبيلا .. كمـا يعلمنا القـرآن الكريم . مـا أكثر العبر .. ولكن اين المعتبرون ؟

ان الادب .. جمال فى النفس ومتاع حيـاة .. والنفس الجميلة ترى الحياة اكثر جمالا .. كما يقول ابو ماضى . اما النفس المظلمة فانها ترى كل ما حولهـا ظلاما حـالكا .. وضبابية لا ضياء فيها .. ولا قدرة لها على الابصار ، لانها وطنت حالها .. على التعتيم ، فلا ترى اشراقة الجمال ، لان نفوسها خلت منه ، فهى فارغة .. من القيم الروحية والخلق العالى . فالنفوس المراض .. غيـر قادرة عـلى ان تكون مثلا ، ينعكس فيها الجمال لانها لا تراه .. ولا تحس به ، ولا انعكاس له فيهـا ، فالعين المـريضة تنكـر ضوء

الشمس من رمد ، كما ينكر الفهم .. طعم الماء من سقم ، حسبما يقول الشاعر القديم ، نعوذ الله من ظلمة النفس وغشاوة العين .. وديمومة الجهل وسوء المنقلب وصدق ابو ماضى القائل :

والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الحياة شيئا جميلا

ooo

وبعد :

هذه خلاصة حكايتى مع الصحافة ، لم أشأ ان أتوسع فى تفاصيل احداثها ، وقد تركت الكثير .. من اشياء يسيرة أو قل صغيرة لم امر بها ، بل لم اذكرها .. مجرد ذكر لئلا يفقد الكتاب قيمته حين يطول الوقوف عند كل شىء . وكذلك .. فانى لم اتعرض لكل الاحداث التى تستحق الذكر ، وانما سقت نماذج منها ، ليتاح لهذا الكتاب .. ان يجد طريقه الى القارىء باذن الله ، وحتى لا تكون كثرة الاحداث سببا .. فى تأخير صدوره ، وليس هذا الكتاب احصاء لمساحات المتاعب .. فى هذ التجربة ، ولكنه عرض لشرائح منها .. ومرور سريع بنماذج ، ثم تجاوز لمواقف بعينها أو حالات .. رؤى انه لا داعى للوقوف عندها ، فالتوقف امام كل شىء .. قد يفقد القيمة الاساسية .. بعض خصائصها ، وقد تضعف حين تتزاحم مع سلوكيات او انماط من وعثاء الحياة .. وما تفرزه من معطيات ليست

كلها ، أو ليس كثير منها خليق بأن يدون وان يسجل وان يعنى به .. العناية الفائقة ، ليكون مقدما ، وليكون اثيرا وذا اهمية .. قد لا تكون فيه .

وانا قد سجلت حكـايتى الصحافيـة .. بغير تكلف فى حشـد الفاظ رنـانة وجمـل بليغة ، فيـظهر هـذا التكلف الثقيل .. حين يصبح سمة الكتاب ، فيضيق به القارىء ، وقد يعرض عن الكتاب لانه لم يجـذبه اليـه ، وانما هــو مجموعة من الفاظ وجمل مركبة .. وقد تكون متنافرة غير منسجمة ولا دالة على شىء ، وانما هى تراكيب معقدة ثقيلة على النفس والذوق ، فلا حاجة .. لان يشغل الانسان بها يقرأها ويضيع فيها وقته .

لذلك ، فقـد تركت نفسى عـلى سجيتها ، تمـلى هـذه التجربة .. فى غير تكلف ولا شطط ، بأسلوب سهل والفاظ اكثر سهولة ومواءمة لظروف الحياة اليوم ، والسرعة .. التى تغلف حيـاة النـاس .. وتـدفعهم الى ان يستعجلوا الحياة ، لانه لا وقت عندهم لاطالة الوقوف .. واطالة النظر فى لـب الاشياء . وحياة طابعها السرعة فى كل شىء .. لابد ان يقدم اليها ما يلائمها .. وان اضطر الانسان الى ذلك اضطرارا ، اذا كان يريد ان يكون فى هذه الحياة مستجيبا لمتطلباتها ، مع الحفـاظ على القيم والابـداع وجماليـات الحيـاة ، وما تحفـل به .. من روائـع فى الفنون والعلوم والثقافة .

كان بودى .: ان اؤرخ لصحافتنا لفترة من مسيرتها تصل الى نصف قرن ، أو تتواضع الى ربع قرن ، وليس

ذلك بالامر الصعب عندى ، وكل ما احتاج ان اجمع مصادرى .. واتفرغ لهذه المهمة لمدة سنة على الاكثر . ثم رأيت ان اترك ذلك الى الدارسين والباحثين من الشباب فى جامعاتنا ، الذين يعنون بالبحوث العلمية والادبية ، فقد يكون فيهم .. من هو اقدر على المهمة . ولعل المهم الا تكون الدراسة اكاديمية .. جافة منفرة ، وانما تقدم سلسلة مشوقة .. تغرى بقراءتها .

اذن انا اقدم فى هذا الكتاب .. نماذج من علاقة بالصحافة ومصاحبة دامت بعض الوقت .. واخذت منى الوقت ، اخذت الكثير الغالى ، وهو العمر ، واعطتنى القليل .. وهو صبابة من شهرة ، وقد اسمى هذا غرما ، غير ان الحياة كلها مغارم ، فهل انا .. اول او آخر من خسر فى سوقها .. وانشغل بهمومها وانطحن فيها ، والحياة اولا وآخرا كبد ، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم ، والسعادة فيها لمحات خاطفة ، كل انسان يصورها بمقدار ادراكه لها واستمتاعه بها ، وتختلف النظرة .. بين انسان وآخر ، بحسب حاجته واطماعه وطموحاته .. وتقديره لمفهوم السعادة .

اذا كان عمر الانسان .. لا يقاس على السنين الطوال أو القصار التى يعيشها فى هذه الحياة ، وانما يقاس على مقدار اسهامه وعطائه فيها ، فان السعادة .. اشبه بوميض البرق الذى تمتد اشعاعاته وقتا قصيرا .. ثم تختفى . والسعادة عندى اطمئنان نفس .. وصحة بدن

وشباب يبقى مع الحياة ، استشعارا به وعمقا فى الروح والشعور .. وان تقدمت بالانسان السن ، بعيدا عن القلق والترويع ، ولا يهدم الانسان .. سوى القلق والخوف ، واطمئنان القلوب اكبر نعمة ، ولا يكون الا بذكر الله سبحانه وتعالى « الا بذكر الله تطمئن القلوب » والحمد الله اولا وآخرا . » ،،

ان هذا الكتاب .. لم يكن الغرض منه الاساءة الى احد ولا النيل من احد ، وانما الهدف منه تسجيل حالة .. امتد بها الزمن بعض الوقت ، وكان لابد من قيدها .. بكل ملابساتها وسلبياتها وايجابياتها ، ليقرأها جيل تال ، من اجل ان يقف على حال مرحلة فى تاريخ صحافة بلاده ، او قل جانب من زاوية حادة .. من هذه المرحلة ، ولكنها تلقى .. بعض الضوء عليها ، ومن خلال الممارسات .. تتكون الصورة التى أتيت على بعضها فى هذه المحاولة التسجيلية ، وقد هذبت اسلوب العرض ، ليلقى قبولا او هكذا يتراءى لى ، واعرضت عن اشياء .. لا أقول كثيرة ، ولكنها .. كانت تستحق ان تثبت وان تكون ملمحا .. يشغل مساحة من الزمن والحياة .. فى تلك الحقبة الانتقالية ، والتى اكتنفها شىء من قلق .. فى اكثر من جبهة . كانت له اصداؤه وردود فعله .. وارهاصاته ، وسلبياته وايجابياته فى حياتنا .. وحياة من حولنا . مهما يكن من شىء .. فان هذا الكتاب اهتم بالتناول المتزن الصادق ، وليس من ورائه اى توجه .. يرمى ال التعالى أو اختلاق قضايا لم تحدث ، او

تضخيم اشياء لا تستحق الوقوف .. او التحدث عنها ، وانما هى خواطر وددت ان اسوقها على بداهتها وعفويتها ، كانت فى وقت من الاوقات .. له ظروفه وارهاصاته وملابساته المختلفة .

○ ○ ○

كلمة شكر

بذل أخي الدكتور عبد الله الغذامي جهدا كبيرا .. في مراجعة هذا الكتاب ، ودلني على كثير من الملاحظات .. التي ينبغي استدراكها ومعالجتها ، وقد اخذت برأيه ، كما استدرك سبق القلم رغم انشغاله المتصل في الجامعة والنادي ، وهو احد الدوافع الى كتابة هذه التجربة أو قل بعض التجربة ، لاني تجاوزت اشياء اخر .. لم آت عليها في هذا الكتاب ، وجعلته نموذجا من التجربة الخصيبة وليس كلها .. بجميع ابعادها واتعابها .. على نحو ما قصده « ابن مالك » في قوله : وكلمة بها كلام قد يؤم . فلأخي الناقد البعيد الصوت والاديب الفذ ، والمتواضع .. الذي يأسرك بخلقه وأدب نفسه .. أخلص التقدير والعرفان بالجميل .

كما لا أنسى ان اشكر أخي وصديقي الاديب الناقد النابه .. الدكتور عبد الله المعطاني الذي تفرغ لقراءة كتابي السابق « امواج واثباج » قبل طباعته ، وعدل عليّ واستدرك اخطائي .. فدلني عليها ، من واسع علمه وثقافته ومعارفه العريضة . وانا سعيد بهذه الرفقة .. التي جمعت بيننا في النادي ، وحفي بهذه الصداقة الحقة ، لانها مبنية على الود والتقدير .

وأن أزجي الشكر لأخي وصديقي الناقد النابه المجلي .. الاستاذ سعيد السريحي .. الذى قرأ هذا الكتاب واستدرك اخطاء فات علي استدراكها ، فالصديق الفاضل ذو بصيرة نافذة .. من واقع رؤيته الثقافية الواسعة ، زاده الله من فضله .

ولن أنس قرينتي الفاضلة .. التى تتحمل معى مسيرة حياتى .. وتعيننى عليها . بحنانها وصبرها ، وتدفعنى الى العمل وترعى حياتى .. وتشاركنى متاعبى واعباءها ، حرصا ووفاء وتضحية واخلاصا . أنا مدين لها بدين ثقيل .. لااستطيع اداءه ، غير أنى أرجو الله مخلصا ان يحسن اليها وأن يجزيها ماهى له اهل ، كفاء عونها وتحملها وغيرتها .. ودفعى الى العمل بشجاعة واصرار . لها شكر .. أقل مافيه انه اعتراف بالفضل .

والشكر خالصا .. لكل من أسهم بالعون وحتى بالمشاعر والاحاسيس .. فى انجاز هذا الكتاب الذى يغلب عليه عامل التواضع .. لانه بسيط ، كتب فى سرعة وقدم فى سرعة ، وأخرج كذلك فى سرعة ، ليكون لبنة أمام الدارسين لمرحلة صحافية ، تستحق العناية والدرس والمراجعة .

والله الموفق ،،،

○ ○ ○



الفهرس

الموضوع	الصفحة

○ ○ ○